

المدينة المنورة

فى عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة

(٧٨٤-٩٢٣ هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م)

حسن أحمد حسن بركة





الهيئة المصرية العامة للكتاب

هذا الكتاب :

يلقى الضوء على الأحوال السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، التى أحاطت بالمدينة المنورة فى عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة؛ حيث فرض سلاطين الجراكسة سيطرتهم السياسيه الكاملة على مدينتى مكة المشرفة والمدينة المنورة، كما ارتبطت أحوالهما الاقتصادية بظروفهم السياسية والبيئية .

وفى الحركة العمرانية حظيت المساجد الإسلامية، وخاصة المسجد النبوى، بنصيب وافر من الاهتمام، فضلاً عن منشآت غاية فى الحسن حظيت هى الأخرى بالعمران أيضاً .

وتميزت الحياة الاجتماعية بالهدوء بين فئات المجتمع، أما الناحية الثقافية؛ فكانت المدينة المنورة منارة للعلم والعلماء.

تصميم الغلاف : الحبيبة حسين





المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة

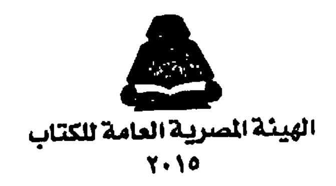
(٧٨٤ ـ ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م)

تأليف

حسن أحمد حسن بركة

تقديم

د. حامد زيان غانم زيان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٥

بركة، حسن أحمد حسن.
المدينة المنورة فى عصر دولة سلاطين المماليك
الجراكسة (٧٨٤ - ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢ - ١٥١٧م)/
تأليف: حسن أحمد حسن بركة؛ تقديم: حامد زيان
غانم زيان. - القاهرة : الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠١٥.
٣٠٤ص؛ ٢٤سم.
تدمك ٧ ٠٥١٤ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - المدينة المنورة - تاريخ.
٢ - دولة المماليك.
أ - زيان، حامد زيان غانم. (مقدم)
ب - العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٦٣٧/ ٢٠١٥
I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 0514 - 7
ديوى ٩٥٣,١٢٢

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج على

اسم الكتاب : المدينة المنورة فى عصر
دولة سلاطين المماليك الجراكسة
(٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م)

تأليف : حسن أحمد حسن بركة

تقديم : د. حامد زيان غانم زيان

حقوق الطبع محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب

الإخراج الفنى : علا عادل

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

● إهـداء

أهدى عملى هذا:

- إلى روح عمى العزيز الدكتور/ محمود حسن بركة

تذكرة للعالمين بأن مَنْ مات تبقى ذكراه فى قلب محبيه عدد سنين

- إلى ابنى الغالى أحمد قرة عينى

جزم الجميع بأن خير الأرض ما .. قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعـم لـقد صـدقوا بسـاكنها .. كالنفس حين ذكت ذكى مأواها

جـزء من قصيدة للإمام العـارف بـالله أبـى محمد البكرى
موجودة فى كتاب «وفاء الوفا فى أخبار دار المصطفى ﷺ» للسمهودى

تقديم

المدينة المنورة.. مدينة رسول الله ﷺ إليها تهفو القلوب من كل حدب وصوب، وإلى مسجده صلوات الله عليه تشد الرحال...

وعبر التاريخ، كان وما زال لم ينقطع اهتمام الداني والقاصي بأمر هذه المدينة، وأمر هذا المسجد الشريف، مماجعلها تبدو دائما كالزهرة في البستان.

منذ أن تبوأت مصر زعامة العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، تشرفت بأن وقع على كاهل حكامها أمر الإشراف على المدينة المنورة ورعاية شئونها.

ولم يتوان سلاطين المماليك ـ بحرية كانوا أم جراكسة ـ الذين آل إليهم حكم مصر في بذل ما وسعهم من جهد من أجل العمل على راحة أهل المدينة المنورة والحجاج والزائرين، ولم يقصروا في تقديم العون المطلوب، وفي الإشراف على مختلف شئون الحرم المدني الشريف حتى يعم الاستقرار والأمن والأمان.

بين أيدينا دراسة قيمة عن: "المدينة المنورة في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة" (٧٨٤ـ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م)، اعتمد فيها الباحث الأستاذ/ حسن أحمد حسن بركة على عدد كبير من المصادر والمراجع التي استطاع استخلاص مادة علمية منها، ساعدته كثيرًا على كتابة هذه الدراسة وفق منهج علمي تاريخي قائم على التحليل والتحقيق بأسلوب قويم.

تمتع الأستاذ/ حسن بركة بهدوء وخلق طيب، ومثابرة على البحث العلمي، ساعده كثيرًا على تحمل مشاق الغوص في بطون مصادر التاريخ المختلفة، مخطوطة ومطبوعة، فضلًا عن تمتعه بفكر ثاقب، ورؤية ناضجة للأحداث، كل ذلك كان عاملًا أساسيًا في إخراج هذه الدراسة في ثوب جميل.

تناولت هذه الدراسة عدة موضوعات، ففي الفصل الأول كان الحديث عن الأحوال السياسية في المدينة المنورة زمن المماليك الجراكسة، وكيف وطدوا حكمهم ونفوذهم بها، ثم تطرق إلى طبيعة علاقة المدينة المنورة بمكة المكرمة في تلك الفترة.

أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن الأحوال الاقتصادية في المدينة المنورة موضحًا مختلف الأنشطة الاقتصادية بها، ودور الأوقاف في ازدهار تلك الأحوال.

وتطرق الفصل الثالث إلى البحث في الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة عارضًا لمختلف الطبقات الاجتماعية التي وجدت بها، وما كان بها من مظاهر للحياة الاجتماعية، كما تحدث عن الدور الذي قام به المجاورون في تلك الفترة.

في حين تحدث الفصل الرابع عن الحركة العمرانية بالمدينة المنورة، وما حدث من توسعات وعمارة بالمسجد النبوي الشريف في تلك الفترة، وكذلك اهتمام سلاطين المماليك الجراكسة بالمساجد الأخرى، ومختلف المنشآت المدنية بالمدينة المنورة.

والفصل الخامس والأخير تناول تلك الحركة العلمية النشطة التي شهدتها المدينة المنورة في تلك الفترة، وما اشتملت عليه المدينة من دُور للعلم وخزائن للكتب (مكتبات)، وازدهار لمختلف العلوم.

وجملة القول... هنيئًا للمكتبة العربية على هذه الدراسة التي تلقى مزيدًا من الضوء على تاريخ مدينة رسول الله ﷺ.

والله ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ.د. حامد زيان غانم

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب ـ جامعة القاهـرة

١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ

٧ أبريل ٢٠١٥م

مقدمة

إن الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة هما دُرتا العالم الإسلامى؛ ففيهما مولد الإسلام ومبعثه، فمكة المكرمة تحتضن المسجد الحرام أول بيت وضع للناس ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، والمدينة المنورة حاضنة جسد المصطفى ﷺ، وفيها مسجده الذى أسس على التقوى[2] ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[3]؛ ولذلك فلا غرو أن تتعلق ببلاد الحجاز أفئدة المسلمين فى جميع أنحاء العالم، وكان لها فى التاريخ الإسلامى شأن عظيم.

---

(١) (سورة آل عمران، آية: ٩٦).

(٢) اختلف أهل العلم فى تعيين المسجد الذى أسس على التقوى فى قوله تعالى ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ إلى ثلاثة أقوال الأول: أنه مسجد قباء، والثانى: أنه مسجد المدينة، والثالث: أن المراد به كل مسجد بنى فى المدينة. قال ابن الجوزى -رحمه الله- «وفى هذا المسجد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة الذى فيه منبره وقبره وأدلة ذلك ما روى مسلم -رحمه الله- من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: «مر بى عبدالرحمن بن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه فقلت له: «كيف سمعت أباك يذكر فى المسجد الذى أسس على التقوى؟ قال: قال أبى: دخلت على رسول الله ﷺ فى بيت بعض نسائه فقلت: يا رسول الله أى المسجدين الذى أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ثم قال: «هو مسجدكم هذا» لمسجد المدينة، قال: فقلت» أشهد أنى سمعت أباك هكذا يذكره» وقال الطحاوى -رحمه الله- رادًا على أصحاب القول الأول الذين قالوا: إن الأنصار كانوا فى مسجد قباء وهم الذين نزلت فيهم الآية «وكان من حجتنا على قائل ذلك القول إن أولئك الرجال كانوا فى مسجد النبى ﷺ؛ لأن مسجده كان معمورًا بالمهاجرين والأنصار ومن سواهم من صحبه... فثبت بذلك أن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد النبى ﷺ الذى بمدينته لا ما سواه من المساجد.(انظر: الطبرانى، المعجم الكبير، ج ١٨، ص ٤٣٨ ؛ الطحاوى، مشكل الآثار، ج ١٠ ، ص ٣٦٧ - ٣٧٠؛ صحيح مسلم، الحديث ١٣٩٨)

(٣) (سورة التوبة، آية: ١٠٨).

وفى العصر المملوكى (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م)، حرص سلاطين المماليك على الاهتمام ببلاد الحجاز ورعايتها؛ لأن القوى السياسية التى كانت تسيطر على مصر، كانت تسعى للإشراف على الحجاز؛ لتحظى بشرف رعاية المقدسات الإسلامية، ولتستكمل ركنًا أساسيًا من أركان سيادتها فى العالم الإسلامي، فمنذ القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، كان من يهيمن على الأماكن المقدسة فى بلاد الحجاز (الحرمين الشريفين)، أو يوليهما بالرعاية الواجبة هو الأحق بالاتباع، ولذلك كان الصراع متواصلًا على نيل شرف خدمتهما والسيطرة عليهما.

ومما يدل على ما يتمتع به الحرمان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة من اهتمام، أن جدلًا كبيرًا حدث بين العلماء، حول أفضلية الأماكن المقدسة على بعضها، أو بالأحرى أفضلية مكة المكرمة على المدينة المنورة، أو العكس، شارك فيه كثير من علماء المذاهب الإسلامية، حتى أن الإمام جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، ألف في هذا الشأن رسالة صغيرة سماها:

«الحجج المبينة فى التفضيل بين مكة والمدينة»[١]، قرر فيها تفضيل المدينة المنورة على مكة المكرمة بقوله: «الذى إليه تميل النفس تفضيل المدينة»[٢].

وذلك يدل على أن المدينة المنورة كان لها فى العصر المملوكى مكانة بارزة لا ينافسها فيها إلا مكة المكرمة، وفى العصر المملوكي الثانى المعروف بعصر سلاطين المماليك الجراكسة، عاشت المدينة المنورة فترة من أهم فتراتها، ولعبت دورًا بارزًا فى الأحداث التاريخية، فلم يكن دافع سلاطين الجراكسة من السيطرة عليها دافعًا سياسيًّا فقط، وإنما اقترن ذلك بالدافع الدينى، الذى يعد من أقوى الدوافع وأهمها، كما كانت للنواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أهمية كبيرة أيضًا.

ولذلك فإن الدراسات حول المدينة المنورة تحظى بالخصوصية والاهتمام؛ لما للمدينة من أهمية كبيرة في تاريخ الإسلام، وفيها إحدى المقدسات الإسلامية التى يشد إليها

---

(١) السيوطى، الإمام جلال الدين السيوطى ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، الحجج المبينة فى التفضيل بين مكة والمدينة، تحقيق د/ محمد زينهم محمد عزب، دار الأمين، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ٤٣.

(٢) السيوطى، المصدر نفسه، ص ٤٣.

الرحال، كما إنها عاصمة الدولة الإسلامية الأولى؛ ولذلك كانت موضوع هذه الدراسة، التي تم تقسيمها إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة، فضلًا عن بعض الملاحق وقائمة المصار والمراجع.

تناولت المقدمة أهمية الدراسة وسبب اختيارها مع دراسة تحليلية لأهم المصادر التى تم الاعتماد عليها، وفى التمهيد تناولت دراسة جغرافية المدينة المنورة، من النواحى الجغرافية والطبيعية، مع ذكر الأسماء التى شرفها الله بها، وكذلك المدينة المنورة قبل عصر سلاطين المماليك الجراكسة، مما يساعد على فهم الكثير من الأحداث خلال عصرهم.

وتناول الفصل الأول الأحوال السياسية فى المدينة المنورة؛ حيث درس النفوذ السياسى لسلاطين المماليك الجراكسة، وتحدث عن موقف أمراء المدينة من مراسم تولية الإمارة من قبل سلاطين الجراكسة، وعن العلاقات السياسية بين المدينة المنورة ومكة المكرمة.

أما الفصل الثانى فجاء عنوانه الأحوال الاقتصادية فى المدينة المنورة، فتحدث عن النشاط الاقتصادى فى المدينة المنورة بتنوعه ما بين الزراعة والصناعة والتجارة، وتحدث عن السياسة الاقتصادية للمماليك الجراكسة، وعن أثر الأوقاف والصدقات على الحياة الاقتصادية فى المدينة المنورة، وكذلك الأزمات الاقتصادية وأثرها على المدينة المنورة.

أما الفصل الثالث الذى جاء عنوانه الحياة الاجتماعية فى المدينة المنورة، فتحدث عن طبقات المجتمع، وعن مظاهر الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد وأطعمة وأشربة وملابس، كما تحدث عن المجاورين وأثرهم داخل مجتمع المدينة المنورة، وعن الأوقاف والحياة الاجتماعية فى المدينة المنورة.

أما الفصل الرابع وعنوانه الحركة العمرانية فى المدينة المنورة، فتناول عمارة المسجد النبوى الشريف، واهتمام سلاطين المماليك الجراكسة بمساجد المدينة المنورة الأخرى، كما تحدث عن سلاطين المماليك الجراكسة وسائر المنشآت المدنية فى المدينة المنورة.

أما الفصل الخامس بعنوان الحياة العلمية والثقافية فى المدينة المنورة، فتحدث عن دُور العلم فى المدينة المنورة من مساجد أهمها: المسجد النبوى الشريف، وكتاتيب

ومدارس وبيوت للصوفية، كما تحدث عن خزائن الكتب، وعن أنواع العلوم، وأثر الأوقاف على الحياة العلمية والثقافية فى المدينة المنورة.

أما الخاتمة فتناولت أهم نتائج الدراسة.

عرض لأهم مصادر الدراسة

اعتمدت الدراسة بشكل أساسى على الكثير من المصادر المخطوطة والمطبوعة، إضافة إلى كتب التراجم والرحلات، فى سبيل استخلاص المادة التاريخية وإخضاعها للتحليل والنقد؛ وهى على النحو التالى:

أولًا ـ المخطوطات

اعتمدت الدراسة على العديد من المخطوطات منها:-

- مخطوطة "نبذة لطيفة فى مباحث شريفة فى تاريخ الحجاز ومعالمه" لشهاب الدين أحمد القليوبى الأزهرى الشافعى، توفى أواخر شوال سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م، استفادت منها الدراسة فى النواحى الاقتصادية والعمرانية.
- مخطوطة "رسالة فى مساجد المدينة النبوية" لإبراهيم العباسى، كان موجودًا سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٨٦م، استفادت منها الدراسة فى تتبع مساجد المدينة المنورة، وما حدث فيها من عمارة فى عصر سلاطين المماليك الجراكسة.
- مخطوطة " رسالة فى وصف المدينة المنورة"لعلى موسى، كان موجودًا سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٩٣م، استفادت منها الدراسة فى العديد من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للحياة فى المدينة المنورة.
- مخطوطة تاريخ المدينة الشريفة المسمى " التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة " للمطرى المعروف بجمال الدين محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى أبو عبد الله الأنصارى الخزرجى المدنى الشافعى، والمطرى نسبة إلى المطرية، التى انتقل إليها جده، ثم انتقل إلى المدينة، ولد سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م، وتوفى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م.

وغلب على هذه المخطوطة الاختصار، وتناول فيها المطرى أبرز معالم المدينة المنورة المسجد النبوى الشريف والروضة الشريفة، وكذلك آبار المدينة وعيونها وأوديتها، واستفادت منها الدراسة فى تناولها لكثير من تلك الموضوعات.

ثانيًا ـ المصــادر المطـبوعـة

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر منها:

- كتاب "الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة" لابن النجار، محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن النجار، وشهرته أبو عبد الله البغدادى، ولد سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م، وتوفى ٥ شعبان سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، وهذا الكتاب عظيم الفائدة يحتوى على كثير من المعلومات التاريخية عن المدينة المنورة والمسجد النبوى الشريف، وهو يكاد يكون من أقدم المصادر التاريخية التى وصلتنا فى تاريخ المدينة، بعد كتاب تاريخ المدينة لابن زبالة الذى ألفه سنة ١٩٩هـ، كما يعد هذا الكتاب مصدرًا مهمًا لا غنى لأى باحث أو محقق عن الرجوع إليه والاستفادة منه، واستفادت منه الدراسة فى معرفة أحوال المدينة، وما يخص المسجد النبوى الشريف.

- كتاب " المغانم المطابة فى معالم طابة " للفيروزآبادى، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادى الشيرازى الشافعى، المتوفى سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٥م، جاء الكتاب فى ستة أبواب، وتأتى أهميته فى أنه أوسع مصدر لتاريخ المدينة قبل جهود السمهودى، استفادت منه الدراسة عند الحديث عن بناء المسجد النبوى، وكذلك فى تراجم من وجد فى المدينة على مختلف طبقاتهم؛ فهو من المصادر المهمة فى تاريخ المدينة، ويعلل الفيروزآبادى سبب كتابته لهذا الكتاب بقوله: "أنه لما زار المدينة سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م، لم ير كتابًا حاويًا يجمع تاريخها، فقام بوضع كتاب جامع لما ذهب فى كتب المتقدمين بددًا ".

- كتاب "صبح الأعشى فى صناعة الإنشا " للقلقشندى، شهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندى، المتوفى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، ويعد من أبرز الموسوعات التى صدرت فى العصر المملوكى، حيث يعطى صورة كاملة عن حضارة ذلك

العصر، ويقع هذا الكتاب فى أربعة عشر مجلدًا، ويحتوى على فنون كثيرة مثل: التاريخ والأدب ووصف البلدان والممالك، فقد جمع فيه الكثير من الوثائق الرسمية والمراسلات السياسية والتقاليد والوظائف والألقاب، وقد تحقق له ذلك من خلال وظيفته كاتبًا للإنشاء سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، وموسوعته هذه تعد سجلًا ضخمًا للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وتمثل صورة حية لحضارة العصر المملوكى، حيث تضم معلومات قيمة عن طبيعة حكم أمراء الأشراف فى الحرمين الشريفين، وكذلك المعاملات المالية والتقسيمات الإدارية لبلاد الحجاز، وطرق الحج البرية والبحرية بين مصر والحرمين الشريفين، واستفادت منه الدراسة فى التعرف على طبيعة حكم أمراء المدينة، والتعريف ببعض المصطلحات المملوكية التى وجدت بالدراسة.

- كتاب " السلوك لمعرفة دول الملوك " للمقريزى، تقى الدين أحمد بن على الشافعى، المتوفى سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، كتاب يتفوق على معظم كتب التاريخ فى عصره، وقد كتبه المقريزى ليكون خاتمة مؤلفاته فى تاريخ مصر، واستفادت منه الدراسة فى التعرف على الأوضاع السياسية فى الدولة المملوكية، والعلاقات السياسية بين السلاطين وأمراء الحجاز، وكيفية سيطرة سلاطين الجراكسة على الحجاز، كذلك ما كان يرسله سلاطين المماليك إلى بلاد الحجاز من مؤن وهبات مالية، فضلًا عن التعرف على اهتمامهم بالمسجد النبوى الشريف، وكذلك أبرز المقريزى فى كتابه هذا اهتمام المماليك بإصلاح ذات البين بين أفراد الأسرة الحاكمة فى المدينة المنورة من البيت الحسينى.

- كتاب " إنباء الغمر بأبناء العمر " لابن حجر، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد العسقلانى، المتوفى سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م، خصصه ابن حجر للأحداث بين سنتى ٧٣٣- ٨٥٠هـ / ١٣٣٢-١٤٤٧م؛ أى قبل وفاته بسنتين، وقد شمل الكتاب الحوادث التى وقعت فى تلك الفترة فى أنحاء العالم الإسلامى، وركز فيه على أخبار مصر والشام، وهو يحتوى على معلومات مهمة عن أبرز مدرسى الحرمين الشريفين، واستفادت منه الدراسة فى النواحى السياسية والحضارية فى العصر المملوكى.

- كتاب " النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " لابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، المتوفى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، وهو من المصادر الموسوعية، رتبه ابن تغرى بردى على السنين، وتحدث فيه عن الأمراء والملوك والسلاطين الذين تولوا حكم مصر، كما لم يفته الإشارة إلى وفيات بعض العلماء فى الحجاز، استفادت منه الدراسة فى التعريف بسلاطين المماليك الجراكسة، وما قدموه من هبات وصدقات للحرمين، والتعرف على كثير من العلماء الذين ذهبوا إلى بلاد الحجاز للحج والمجاورة.

- كتاب " التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة " للسخاوى، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى، ولد بمصر سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م، وتوفى بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م؛ خصص السخاوى هذا الكتاب لتراجم أعلام المدينة من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم من الأعلام والعلماء، ممن جاء إلى المدينة أو أقام بها، وهو مرتب على حروف المعجم. ابتدأه بسيرة نبوية مختصرة، وتحدث عن المسجد النبوى الشريف وما به من أبواب، وعن الروضة والحجرة النبوية والمنبر، وعن المدارس والأربطة والآبار والمساجد، وتطرق لأئمة المسجد النبوى والخطباء والقضاة والخدام والفراشين والنظار والمحتسبين.. إلخ وقد استفادت منه الدراسة فى تراجم أعلام المدينة المنورة فى عصر المماليك الجراكسة، ومن المعلومات الكثيرة الواردة فيه عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كذلك فى تراجم أهل المدينة وأمرائها والمجاورين بها، فضلًا عن علمائها؛ حيث يعد من أوسع الكتب وأجودها فى ذلك، فقد كان السخاوى معاصرًا للأحداث؛ حيث أقام فى المدينة المنورة وجاور بها، وقد أراد السخاوى لكتابه هذا أن يكون كتابًا شاملًا وجامعًا لأكبر عدد من تراجم علماء المدينة المنورة، كما اشتمل هذا الكتاب على الكثير من الحقائق التاريخية المهمة عن المدينة المنورة.

- كتاب " التبر المسبوك فى ذيل السلوك " وهو للسخاوى أيضًا، رتبه السخاوى حسب السنين للدولة المملوكية، بدءًا من سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م حتى شهر ربيع الأول سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، وبه فوائد جمة عن العلاقة بين أشراف الحرمين وأمراء الحاج المصرى خلال تلك الحقبة، وقد استفادت منه الدراسة فى تغطية جوانب عديدة، بالإضافة إلى الأحوال الاقتصادية.

- كتاب " إتحاف الورى بأخبار أم القرى " لابن فهد، نجم الدين عمر محمد بن محمد ابن محمد بن فهد القرشى الهاشمى المكى، ولد سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م بمكة المكرمة، وتوفى بها سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، وهو من بيت علم رحل إلى كثير من بلدان العالم الإسلامى لطلب العلم والمعرفة منها مصر والشام، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر؛ حيث اعتمد المؤلف فيه على كل من سبقه من المؤرخين سواء فى كتب السيرة النبوية أو كتب التاريخ العام، وقد ذكر اسم كل من نقل عنه وتتبع الروايات وأسندها إلى أصحابها ورتبها ضمن السياق، وهو يؤرخ للأحداث فى سنة وقوعها منتقلًا من سنة إلى أخرى لا يخرج عن أحداث مكة إلا فيما له صلة بها، وفيه يقدم صورة واضحة عن مكة المكرمة وأعمالها من النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية والعمرانية والاقتصادية، ويعتبر من أكثر المصادر التى اشتملت على معلومات قيمة بالنسبة إلى الحجاز، وقد استفادت الدراسة من المعلومات القيمة التى عرضها عن تاريخ الحجاز فى فترة الدراسة.

- كتاب " وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى " للسمهودى، نور الدين على بن عبد الله ابن أحمد الحسنى السمهودى، المتوفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

وهذا الكتاب يلقى الضوء على الكثير من أحوال المدينة المنورة العمرانية والسكانية والمالية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، منذ عصر الرسول ﷺ، وحتى أوائل القرن العاشر الهجرى، وقد استفادت الدراسة مما ذكره السمهودى عن تاريخ المدينة المنورة، وعلى الأخص عصر السلطان قايتباى، كذلك كل ما يتعلق بالحرم النبوى وإصلاحاته فى هذا العصر. فالسمهودى يعد - بحق - ألمع مؤرخى المدينة وأكثرهم استيعابًا وتوثيقًا واطلاعًا ودراية، وقد اعتمد على الخبرة والمشاهدة؛ فكان شاهدًا على الأحداث فى المدينة فى عصر سلاطين الجراكسة مسجلًا لها، وخاصة عصر السلطان قايتباى الذى رافقه عند زيارته للمدينة سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م، وسجل السمهودى به الكثير من الإصلاحات التى أحدثت فى المسجد النبوى الشريف.

- كتاب " خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى " وهو للسمهودى أيضًا، ألفه سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م، وقد اختصر فيه كتاب " وفاء الوفا " فى نحو النصف، مع جمع

مقاصده؛ حيث تصدى السمهودى لتسجيل تاريخ المدينة بطريقة لم يسبقه إليها أحد من قبل، وذلك لأنه كان شاهد عيان للأحداث، ولو لم يقم بذلك لفقد الدارسون لتاريخ المدينة مصدرًا مهمًا لأحداثها، وقد استفادت الدراسة من مؤلفات السمهودى فى دراسة أحوال عديدة فى المدينة المنورة.

- كتاب " بدائع الزهور فى وقائع الدهور " لابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، المتوفى سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م، وهو من المصادر المهمة فى دراسة عصر سلاطين المماليك الجراكسة وأوائل العصر العثمانى، فقد عاش طوال هذه الفترة فى القاهرة، وعاصر وشاهد ما يرويه من أحداث وأخبار، وقسم كتابه المكون من خمسة أجزاء إلى عهود مستقلة، تبدأ بتولى كل سلطان جديد، ويغلب على أسلوبه الإيجاز فى كثير من الأحداث، فهو مصدر لدراسة الأحوال السياسية والاقتصادية فى إمارة مكة فى أواخر العصر المملوكى، وينفرد بمعلومات مهمة عن دور البرتغاليين فى تدهور مكانة جدة فى التجارة العالمية فى أواخر العصر المملوكى، كما يحتوى على معلومات مهمة عن المكوس والضرائب فى بلاد الحجاز، وعن تدهور مكانة بلاد الحجاز التجارية فى أواخر العصر المملوكى، وقد استفادت منه الدراسة فيما يخص النواحى المالية والتجارية.

- كتاب " الإعلام بأعلام بيت الله الحرام " للنهروالى، قطب الدين النهروالى، المتوفى سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، وتم الاستفادة منه فى معرفة ما قام به السلطان قايتباى من عمارة للمسجد النبوى الشريف، فضلًا عن أوقافه وصدقاته.

ثالثًا ـ كتب التراجم

تعد كتب التراجم من المصادر المهمة التى تكمل أوجه القصور فى بعض المصادر التاريخية، وذلك لأنها تحتوى على الكثير من الجوانب الحضارية، التى قد لا تتوافر فى الكتب الأخرى، إلا أنها ذات طابع خاص، حيث تتبع الأشخاص وتترجم لهم فى حياتهم العامة والخاصة، وتبرز مدى مشاركتهم فى أوجه النشاط الإنسانى والعلاقات الاجتماعية والحياة السياسية، ودورهم فى الحياة العلمية والدينية.

ومن كتب التراجم المهمة التى استفادت منها الدراسة:

- كتاب " العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين " للفاسى، محمد بن أحمد بن على الفاسى المكى المالكى المذهب الملقب بتقى الدين، ولد فى مكة سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٧م، وتوفى سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م، وهو من أضخم وأهم مؤلفات الفاسى التاريخية، يقع فى ثمانية أجزاء، تميز الفاسى فيه بالدقة والوضوح والاهتمام بالكثير من التفاصيل، وجمع فيه بالأحرف الأبجدية تراجم عدد كبير من أشراف المدينتين المقدستين وقضاتهما وعلمائهما والمشاهير بهما من المجاورين، والكتاب يحتوى على تراجم لعدد كبير من أمراء الأشراف بالحرمين الشريفين، كما يعطى تفاصيل عن النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية فى مكة، واستفادت منه الدراسة فى مناقشة الكثير من النواحى الخاصة بالعلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها بين مكة والمدينة، كذلك معرفة بعض العلماء والمجاورين، الذين جاوروا فى مكة والمدينة.

- كتاب " الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة " لابن حجر أيضًا، وهو من الكتب التى تترجم لرجال القرن الثامن الهجرى من الأمراء والعلماء والقضاة، اعتمد فى بعض تراجمه على تراجم من سبقوه، ثم أضاف أكثر التراجم من عنده، وبه معلومات كثيرة عن العلماء والقضاة والمجاورين فى مكة والمدينة، مما أتاح الاستفادة منه فى تقديم تراجم عن أمراء المدينة المنورة، ومعرفة أحوال المدينة عن طريق هذه التراجم، بالإضافة إلى أهميته فى النواحى الحضارية من تراجم للعلماء، وتراجم لعدد كبير ممن أقام بالمدينة المنورة أو جاء إليها.

- كتاب " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع " للسخاوى أيضًا، وهو من أهم كتب التراجم؛ حيث يضم الكثير من تراجم الأمراء الأشراف فى المدينة المنورة وأعيانها والعلماء وغيرهم ممن عاشوا خلال القرن التاسع الهجرى، فضلًا عن تراجم لأمراء وسلاطين المماليك الجراكسة، ممن كان لهم دور فى حياة المدينة المنورة، واستفادت منه الدراسة فى التعرف على تراجم أمراء المدينة المنورة وأعيانها والعلماء بها، وكثير ممن كان بها خلال ذلك القرن، كذلك معرفة الكثير عن أحوالها السياسية والعلمية

خلال ذلك القرن، فهو يحتوى على تراجم شاملة، عنى فيه السخاوى بذكر كل ما يتعلق بالشخصيات، من حيث الولادة والنشأة وذكر مكانتهم فى المجتمع الذى عاشوا فيه.

رابعًا ـ الرحـــــلات

كان لكتب الرحالة أهمية كبيرة فى معرفة كثير من التفاصيل التى تتعلق بالنواحى الاقتصادية والاجتماعية والدينية فى بلاد الحجاز بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص؛ حيث إن مؤلفيها هم شهود عيان لكل ما كتبوه ووصفوه.

ومن أهم كتب الرحلات التى سجلت بعض مظاهر الحياة فى بلاد الحجاز بوجه عام والحرمين الشريفين بوجه خاص:

- رحلة ابن جبير، لأبى الحسن محمد بن جبير الكنانى الأندلسى البلنسى الأصل الغرناطى الاستيطان، المتوفى سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، فرغم أن رحلة ابن جبير كانت فى تاريخ متقدم عن فترة الدراسة، فإنها احتوت على الكثير من المعلومات عن الأحوال الاقتصادية والنشاط التجارى، وعن الحياة الاجتماعية وعمارة المسجد النبوى وغيره، مما أتاح الاستفادة مما حوته من معلومات عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية بالمدينة المنورة.

- رحلة ابن بطوطة، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجى، المتوفى سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٨م، وهذه الرحلة هى المسماة: " تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "، تعتبر سجلًا عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية عن الحرمين الشريفين بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص، كما تحدث ابن بطوطة فى رحلته عن أهمية كل من ميناء جدة وينبع، ولا شك أن الدراسة قد استفادت من كثير مما ورد بها عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتجارية.

- مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، لإبراهيم رفعت باشا، استفادت منها الدراسة فى العديد من النقاط التى تهتم بجوانب الحياة فى المدينة

المنورة، سواء أكانت الاقتصادية أم الاجتماعية أم العمرانية أو الثقافية؛ حيث كانت سجلًا مهمًا لكل ذلك.

- الرحلة الحجازية لولى النعم الحاج عباس حلمى باشا الثانى خديو مصر، لمحمد لبيب البتنونى، تم الاستفادة من هذه الرحلة، فيما يتعلق بجميع أوجه الحياة فى المدينة المنورة خلال عصر سلاطين الجراكسة.

لم تقتصر الاستفادة على هذه المصادر فهناك غيرها الكثير، حيث استفادت الدراسة أيضًا من العديد من المراجع العربية والأجنبية المعربة، إضافة إلى المراجع الأجنبية والرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه والدوريات العلمية، التى تناولت جوانب الحياة المختلفة فى المدينة المنورة خلال عصر سلاطين المماليك الجراكسة.

• تمهيد

أولًا ـ جغرافية المدينة المنورة

ثانيًا ـ المدينة المنورة قبل عصر سلاطين المماليك الجراكسة

أولًا - جغرافية المدينة المنورة

المدينة إحدى مدن الحجاز الجديرة بالذكر[1]، وقد اعتبرها بعض الجغرافيين العرب أحد أقسام جزيرة العرب الرئيسية، فجزيرة العرب تتضمن مدن أهمها: " المدينة ومكة واليمامة واليمن "[2].

وقد حدد المقدسي (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) الحجاز بقوله:"فأما الحجاز فقصبته مكة، ومن مدنها يثرب وينبع وقرح وخيبر والمروة والحوراء وجدة والطائف والجار والسقيا والعونيد والجحفة والقشيرة "[3]. وبذلك فإن المدينة مدينة حجازية، تقع بين خط طول (٣٥، ٣٦، ٤٩) درجة، وخط عرض (٠٥، ٢٨، ٢٤) درجة، أعلى هضبة ترتفع عن سطح البحر قرابة ٦٢٥ مترًا، ويحيط بها حرتان شرقية وغربية[4]، كما يمر بها ثلاثة أودية أشهرها وادى العقيق، وتقع المدينة إلى الشمال من مكة، فهى تبعد عنها بقرابة ٤٥٠

---

(١) الحجاز: بالكسر وآخره زاى وإنما سمي حجازًا؛ لأنه حجز بين تهمة وهى السهول المنخفضة على ساحل البحر الأحمر وبين مرتفعات نجد شرقا (ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، مادة حجاز، ص ٢١٨- ٢٢٠؛ الهمذاني، مختصر البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٦، ٢٧؛ انظر أيضا: فليب حتي، تاريخ العرب، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ترجمة/ محمد مبروك نافع، ١٩٥٢م، ص ١٤٢، ١٤٣) وقد اختلف الجغرافيون العرب اختلافا كبيرًا فى تعريف الحجاز وتحديده إلا أنهم مع ذلك يجمعون - تقريبًا - على أن الحجاز هو جبل السراة الذى يمتد من حدود اليمن إلى بداية الشام فيحجز بين تهامة وبين نجد (الوهيبى، الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، بحث نشر فى مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الأول، السنة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ٥٣ - ٧٠.

(٢) البكرى، عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى ت ٤٨٧هـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، تحقيق/ مصطفى السقا، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٥.

(٣) المقدسى، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى ت ٣٨٠هـ ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٦٩.

(٤) انظر القرى والمناطق القديمة فى منطقة المدينة المنورة ملحق رقم ٣ خريطة رقم ١.

كيلو مترًا[1]، ومساحتها أقل من نصف مكة[2]، وأرضها فى مستوى من الأرض برية وجبلية[3]، والغالب عليها السباخ والجزء الجنوبى من المدينة أكثرها ارتفاعًا ويعرف بالعالية، بينما الجزء الشمالى فيعرف بالسافلة[4]، وتعد قرية قباء من أهم قرى العالية، وهى على ميلين من المدينة[5].

ويحيط بالمدينة جهتى الشرق والغرب تكوينات بركانية، نتيجة للنشاط البركانى الذى تعاقب عليها فى أزمان بعيدة، فهى تقوم فى واحة ذات تربة خصبة ومياهها غزيرة بين حرتين: واقم فى الشرق وحرة الوبرة فى الغرب؛ حيث تكتنف المدينة وديان الحرتين من الشرق والغرب، فتحيط بها من جهاتها الجنوبية والشمالية والغربية حتى تتجمع فى شمالها الغربى، وتسير معها مياه الأمطار، مما يجعل من المدينة أرض زراعة[6]. وقد أتاح هذا الموقع للمدينة أن تكون ملتقى طرق القوافل العابرة للجزيرة العربية[7].

وأشارت المصادر التاريخية إلى أن المدينة المنورة، قد احتفظت بأهمية موقعها على طرق التجارة بين اليمن والشام، حيث كانت وميناؤها ينبع[8]، تعتبر كمحطة وسوق

(١) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوى فى العهد السعودى، دراسة تاريخية حضارية، صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٥١.

(٢) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٨٠.

(٣) اليعقوبى، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت ٢٨٤هـ البلدان، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ص ٧٢.

(٤) السمهودى، على بن عبد الله بن أحمد الحسنى، الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى، ضمن رسائل فى تاريخ المدينة، تقديم/ حمد الجاسر، الرياض، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. ص ١٦١.

(٥) ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموى، معجم البلدان، الجزء الخامس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م، ص ٨٢.

(٦) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٨٠.

(٧) عبد الله بن صالح الرقيبة، الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة التوسعات والتطوير، صدرت هذه السلسلة عن وزارة التعليم العالى والجامعات السعودية بمناسبة مرور ٢٠ عامًا على تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ- ١٤٢٢هـ، ص ١٢١.

(٨) ينبع: تبعد ينبع عن المدينة بمسافة تقرب من مائة وخمسين ميلًا نحو الغرب، ويطلق اسم ينبع فى العهد الحاضر وقبله بزمن على ينبع الميناء وإذا أريد ينبع النخل قيل " ينبع النخل " إلا أن اسم ينبع عند إطلاقه فى كتب المتقدمين يقصد به ينبع النخل لأن ينبع الميناء أو"ينبع البحر"كما تسمى أيضًا كان أقل شهرة حينذاك. انظر: حمد الجاسر، بلاد ينبع " لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة " منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص ١٠- ١٢.

وميناء على الطريق البرى والبحرى بين الشرق الأقصى ومصر وأوروبا[1].

وللمدينة عدة أودية تجرى خلالها الأمطار والسيول، ومن أشهر تلك الأودية وادى العقيق[2] فى جهة الغرب[3]،ووداى بطحان[4] الذى يمر بوسط المدينة من جهة الغرب متجهًا إلى الشمال بعد التقائه بوادى مذينيب[5] ورانوناء[6] ويشق وادى مهزور[7] الحرة

---

(١) عمر الفاروق سيد رجب، المدن الحجازية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص ٢٣.

(٢) وادى العقيق من أكبر أودية المدينة المنورة وينقسم وادى العقيق إلى صغير وكبير، والكبير ينقسم إلى قسمين فالوادى الصغير الذى فيه بئر رومة، والوادى الكبير به بئر عروة وقصره، ولكن يحتوى على أكثر من سبعين قصرًا من القصور الفخمة؛ حيث طيب الهواء وعذوبة الماء وأما الوادى الأكبر فهو الذى فيه آبار على. انظر: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٨٣.

(٣) اليعقوبى، البلدان، ص ٧٢.

(٤) وادى بطحان يأتى من الحلاتين حلاتى مصعب على سبعة أميال من المدينة، ثم يصل إلى وادى جفاف شرقى مسجد قباء وأول بطحان قرب الماجشونية وآخره فى غربى مساجد الفتح من الناحية الغربية. انظر: السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٨٣؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، ص ٢٩٠.

(٥) وادى مذينيب وهو شعبة من سيل بطحان وفى زمن السمهودى كان يشق من الحرة الشرقية قبلى بنى قريظة حيث يمر بقرية قديمة شرقى العهن والنواعم، ثم يتشعب إلى أن تلقاه شعبة من مهزور ويصبان معًا فى بطحان كما ذكر المطرى أن مذينب شرقى جفاف يلتقى هو وجفاف أى الذى هو أصل بطحان فوق مسجد الشمس، ثم يصبان فى بطحان ويلتقيان مع رانوناء ببطحان فيمران بالمدينة غربى المصلى. انظر: السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٥٣، ١٨٥، ١٨٦؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة، ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٦) وادى رانوناء يأتى من مقمة فى جبل يقع فى يمانى عير من حرس شرقى الحرة، ثم يصب على قرين صريحة أى المعروف بقرن الضرطة، ثم على سد عبد الله بن عمرو بن عثمان أى المعروف بسد عنتر، ثم يتفرق فى الصفاصف فيصب بالعصبة، ثم يستبطنها حتى يعترض قباء يمينًا، ثم يدخل عوسا أى المعروفة بحوسا ثم يعطن بذى خصب ثم يجتمع بما جاء من الحرة وما جاء من ذى خصب ثم يقترن بذى صلب ثم يستبطن السرارة التى ببنى بياضة ثم يمر على قعر البكرة أى ببنى بياضة أيضًا، ثم يفترق فرقتين فتمر فرقة على بئر جشم أى ببنى بياضة وتصب فى سكة الخليج حتى تفرغ فى وادى بطحان وتصب الأخرى فى وادى بطحان. انظر: ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى، تاريخ المدينة المنورة، الجزء الأول، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٦٨؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٣، ص ١٠٧٢؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة، ص ٢٩٠.

(٧) وادى مهزور قال ابن شبة أن سيل مهزوز يأخذ من الحرة الشرقية والشعبة التى تلقى مذينب من مهزوز وكانت تصب زمن السمهودى فى بطحان وذكر الزبير بن بكار أنه يلتقى سيل العقيق ورانون أذاخر وذى صلب وذى ريش وبطحان ومعجب وهزور وقناة بزغابة وسيول العوالى يلتقى بعضها مع بعض

الشرقية إلى العريض[1] الذى يلتقى بوادى بطحان فى اتجاه الشمال[2].

كما يقع فى شمال المدينة وادى قناة[3] الذى يأتى ماؤه من شرقها، حيث تجتمع مياه هذه الأودية فى مكان يقال له الغابة[4].

أما مناخ المدينة فهو مناخ صحراوى، فلم يكن لنزول الأمطار مواسم محددة، ولذلك كانت المدينة تتعرض فى بعض الأوقات للجفاف والقحط[5].

وكان لتوافر مثل هذه الظروف الطبيعية، أن تميزت المدينة على غيرها من مدن الحجاز، بكثير من المميزات التى كان لها أثرها على انتشار الزراعة بها، فيحيط بها البساتين والنخيل والقرى التى تتميز بكثرة مزارعها المعتمدة على مياه الآبار[6]، وقد ضمت المدينة العديد من القرى المشهورة، نذكر منها قباء[7]؛حيث الحدائق التى تحتوى على أنواع من أشجار

فى العقيق. انظر: ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج ١، ص ١٦٨؛ السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٨٦، ١٨٧.

(١) العريض: تصغير عرض وهو وادى بالحرة شرقى المدينة به جملة آبار وزروع ويبعد عن المدينة قرابة خمسة كيلو مترًا. انظر: الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ٣٦٠.

(٢) عبد القدوس الأنصارى، آثار المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ١٨٠ - ١٨٢.

(٣) يسمى بالشظاة أيضًا وفى القاموس أنه عند المدينة يسمى قناة ومن أعلى منها عند سد نار الحرة يسمى بالشظاة كما يروى ابن زبالة أن سيل قناة إذا استجمعت تأتى من الطائف وهو أحد فحول أودية الحجاز فيأتى من المشرق حتى يصل السد الذى أحدثته نار الحرة وانقطع هذا الوادى بسببه وقد انحرف عدة مرات منها فى سنة ٦٩٠هـ وأخرى سنة ٧٠٠هـ وكذلك فى سنة ٧٣٤هـ. انظر: السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٨٤؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة، ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٤) اليعقوبى، البلدان، ص ٧٢.
الغابة: هى اسم موضع قرب المدينة من جهة الشمال على ثمانية أميال منها على نحو بريد من ناحية الشمال. انظر: العباسى، عمدة الأخبار، ص ٣٨١، ٣٨٢.

(٥) عبد الله عبد العزيز بن إدريس، مجتمع المدينة فى عهد الرسول ﷺ، الطبعة الأولى، الناشر عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢١.

(٦) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٨٠.

(٧) قباء: بضم القاف وفتح الباء الموحدة وألف فى الآخر وتروى بالمد والقصر والمد أشهر وقد سميت قباء باسم بئر كانت بدار توبة بن الحسن بن السائب بن أبى لبابة يقال لها قباء وهى قرية فى غربى المدينة على بعد ميلين منها ويوجد بها مسجد التقوى لقوله تعالى:﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ (سورة التوبة ، آية: ١٠٨). انظر: القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، الجزء

العنب والرمان والليمون والموز والنخيل المفتخر وغيرها[1]، وهناك خيبر[2] وهى قرب المدينة ذات نخيل وحدائق[3]، والصفراء[4] وهى كثيرة المزارع والمياه والحدائق[5]، وبها أيضًا وادى القرى[6] كثير النخيل والبساتين والعيون[7]، وهناك غيرها من القرى.

أما عن أسماء المدينة[8]، فيذكر المؤرخون المسلمون أنها عرفت بيثرب[9] نسبة إلى يثرب بن قانية بن مهلائيل بن أرم بن عبيل بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وبه سميت يثرب[10]، ويقال إن اسم يثرب وجد مكتوبًا على حجر بوادى العقيق ضمن نصر

الرابع، شرح وتعليق/ محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٩٤.

(١) مؤلف مجهول، رسالة فى وصف المدينة المنورة، مخطوطة رقم (١٦٤٤ تاريخ)، ميكروفيلم رقم (٣٠٧٧٩)، دار الكتب المصرية، ورقة ٧.

(٢) خيبر: بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وراء مهملة فى الآخر قال الزجاجى: سميت بخيبر بن قانية وهو أول من نزلها وهى بلدة بالقرب من المدينة قال ابن سعيد: طولها أربع وستون درجة وست وخمسون دقيقة وعرضها سبع وعشرون درجة وعشرون دقيقة وهى بلدة عامرة آهلة ذات نخيل وحدائق ومياه تجرى. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٥.

(٣) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٥.

(٤) الصفراء: مؤنث أصفر واد على ست مراحل من المدينة كثير المزارع والمياه والحدائق وقد ذكر القلقشندى أن بعض أهل الحجاز أخبره أن به أربعة وعشرين نهرًا على كل نهر قرية وعيونه تصب فضلها إلى ينبع. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٥.

(٥) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٥.

(٦) القرى: بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف فى الآخر وهى جمع قرية وفى " الروض المعطار " أنها مدينة كثيرة النخيل والبساتين والعيون وذكر القلقشندى أن بعض أهل الحجاز أخبره أن به عيونًا كثيرة عليها عدة قرى فخربت لاختلاف العرب وهى الآن خراب لا عمار بها ولو عمرت أغنت أهل الحجاز عن الميرة من غيرها. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٦.

(٧) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٦.

(٨) المدينة هى مدينة الرسول ﷺ بحيث إذا قيل المدينة غير مضافة ولا منسوبة علم أنها هى قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (سورة المنافقون آية: ٨). انظر: البكرى، معجم ما استعجم، ج ٣، ص ١٢٠١.

(٩) ورد فى الصحيح النهى عن تسميتها بيثرب كأنه من الثرب وهو الفساد أو من التثريب وهو التوبيخ وكان الرسول يكره الاسم الخبيث وأخرج أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ " من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل هى طابة ". انظر: السيوطى، الحجج المبينة فى التفضيل بين مكة والمدينة، ص ٢٤، ٢٥.

(١٠) السمهودى، وفاء الوفا، ج ١، ص ١٥٦.

أورده ابن زبالة[1] جاء فيه: " أنا عبد الله رسول الله سليمان بن داوود إلى أهل يثرب"[2]. وللمدينة المنورة كثير من الأسماء، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وقد أوصلها السمهودى إلى نيف وتسعين، ومن أشهر أسمائها ما ذكره القرآن الكريم[3]، فالقرآن الكريم سماها المدينة قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾[4]، وقال: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾[5].

وذكر ياقوت فى " معجم البلدان " أن للمدينة تسعة وعشرين اسمًا فهى:"المدينة وطيبة وطابة والمسكينة والعذراء والجابرة والمحبة والمحببة والمجبورة ويثرب والناجية والموفية وأكالة البلدان والمباركة والمحفوفة والمسلمة والمجنة والقدسية والعاصمة والمرزوقة والشافية والخيرة والمحبوبة والمرحومة وجابرة والمختارة والمحرمة والقاصمة وطبابا"[6]، وهذه الأسماء الكثيرة تدل على شرفها وفضلها ومكانتها التى عرفها لها الكثيرين.

ثانيًا ـ المدينة المنورة قبل عصر سلاطين المماليك الجراكسة

المدينة المنورة طوال تاريخها مهوى أفئدة المسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامى،

---

(١) ابن زبالة، محمد بن الحسن بن أبى الحسن القرشى المخزومى المدنى أبو الحسن وقيل أبو عبد الله ويعرف بابن زبالة بفتح الزاى وتخفيف الموحدة أى على زنة سحابة أحد كبار الإخباريين الذين برزوا فى القرن الثانى الهجرى ومهدوا الطريق أمام المؤرخين الكبار الذين جاءوا من بعده كما أنه يعد أول من صنف كتابًا شاملًا فى أخبار المدينة المنورة. انظر: الحافظ بن ماكولا، الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء والكنى والنساب، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، تحقيق/ عبد الرحمن المعلمى، د.ت.، ص ١٧٣؛ الذهبى، شمس الدين بن محمد بن أحمد، المشتبه فى الرجال أسماؤهم وأنسابهم، الجزء الأول، تحقيق/ على محمد البجاوى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.، ص ٣٠٤؛ ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج ١، ص ل.

(٢) السمهودى، وفاء الوفا، ج ١، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٣) إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، الجزء الأول، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ص ٤٠٧.

(٤) (سورة المنافقون، آية ٨).

(٥) (سورة التوبة، آية ١٠١).

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٨٣؛ السيوطى، الحجج المبينة، ص ٥، ٦.

نظرًا لأهميتها الدينية والتاريخية والحضارية، ولمكانتها المتميزة فى نفوس المسلمين جميعًا. فمنذ أن أقام الرسول ﷺ الدولة الإسلامية ثابتة الأركان، وجعل حاضرتها المدينة المنورة، نالت المدينة شهرتها العظيمة، وعندما استولى الأمويون على الخلافة قاموا بنقل عاصمة الخلافة إلى دمشق، ليكونوا قريبين من أنصارهم، وأصبح الحجاز ولاية تابعة للدولة الأموية يضم مكة والمدينة والطائف[1].

وطوال العصر العباسى لم يعدل العلويون عن اعتقادهم أنهم أحق بالخلافة من أبناء عمومتهم العباسيين، فكانوا يثورون فى وجه الدولة كلما سنحت لهم الفرصة، وعندما ضعفت الدولة العباسية، فى العصر العباسى الثانى (٢٣٢-٦٥٦هـ/ ٨٤٦-١٢٥٨م)، أدرك الأشراف العلويون[2]، أن الوقت مناسب للخروج على طاعة العباسيين والاستقلال عنهم فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى[3].

حيث يذكر ابن خلدون: أن العلويين المقيمين بها - أى المدينة - استغلوا ضعف الخلافة العباسية آنذاك، فتولوا إمارتها وظلوا يخطبون للعباسيين، وقد تداول الإمارة فيها بنو الحسين بن على بن أبى طالب، وبنو جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما، إلى أن استطاع بنو الحسين الانفراد بالسلطة وإجلاء بنى جعفر؛ حيث سكنوا بين مكة والمدينة، وبقى بنو الحسين يحكمون المدينة منفردين بها[4].

---

(١) محمد الخضرى، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٥٦٠.

(٢) لقب الشريف يطلق على الرجل الماجد الكريم أو من كان كريم الآباء، ثم أطلق على من كان من آل بيت الرسول ﷺ ومن الناس من قصره على ذرية الحسن والحسين رضى الله عنهما ولعل الضعف الشديد الذى انتاب الدولة العباسية وظهور الدولة الفاطمية وقوتها هو الذى جرأ على إطلاق لقب الشريف على من كانوا ينتمون إلى نسل على من السيدة فاطمة بنت الرسول ﷺ وحين قامت دولة الأشراف بالحجاز أصبح يطلق على الأسرة الحاكمة لقب"الأشراف " أما غيرهم من العلويين فكانوا يطلقون عليهم لقب " السادة".
انظر: البلاذرى، أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق د/ محمد حيد الله، دار المعارف، د. ت.، ص ٢٠؛ انظر أيضًا: آدم متز، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ترجمة/ محمد عبد الهادى أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ص ٢١١؛ البرادعى، الدرة السنية فى أنساب الحسنية والحسينية، ص ٤.

(٣) عبد العزيز بن فهد، عز الدين بن عبد العزيز بن عمر بن محمد ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، غاية المرام بأخبار البلد الحرام، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٤٨١.

(٤) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر،

كما بدأ اهتمام الفاطميين ببلاد الحجاز، منذ خلافة المعز لدين الله الفاطمي؛ حيث أقيمت الخطبة للمعز بالمدينة المنورة، وحذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة في كل من مكة والمدينة، وعمل المعز على تثبيت سلطته على هاتين المدينتين بالأموال التي صار يرسلها إليهما. ففي سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، أرسل المعز كما يقول المقريزي "عسكرًا وأحمال مال عدتها عشرون حملًا للحرمين وعدة أحمال متاع"[١]، وبذلك تيسر له نشر نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز.

ولعل مما دفع أشراف مكة والمدينة إلى إعلان التبعية للفاطميين، هو قلة موارد الحجاز الاقتصادية، فقد وجدوا المساعدة من الدولة الفاطمية الغنية بثرواتها المادية والبشرية، مما أثر على علاقة العباسيين بالأشراف، فلم يستطع العباسيون استمالة الأشراف إلى جانبهم، حيث كان الفاطميون يغدقون عليهم الأموال والهدايا الكثيرة.

لذلك تمكن الفاطميون من فرض سيطرتهم على الحجاز، كما أنهم دافعوا عنه ضد القرامطة[٢].

الجزء الرابع، الطبعة الأولى، تحقيق/ خليل شحادة، مراجعة/ سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٣٩- ١٤٢.

(١) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، الجزء الأول، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص ١٧٢؛ انظر أيضًا: محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، تقديم د/ عصام عبد الرءوف الفقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٩٣.

(٢) القرامطة: فرقة من فرق الإسماعيلية تنسب إلى دعاتها حمدان بن قرمط وكان هذا الرجل أكارًا بسيطًا بعثه أحد كبار الدعوة الإسماعيلية ليدعو نيابة عنه في بلده فبنى مركزًا لدعوته قرب الكوفة سماه " دار الهجرة " واتخذه مكانًا للدعوة؛ حيث دخل كثير من الناس في دعوته وبعد وفاته ذهب جماعة من أصحابه إلى البحرين على الساحل الشرقي لبلاد العرب فاستطاعوا نشر دعوتهم هناك وتمكن زعيمهم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي من إقامة دولة للقرامطة جعل عاصمتها مدينة الأحساء وشملت هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين وفي عهد ابنه أبي طاهر سليمان الذي تولى زعامة القرامطة سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م ألقى القرامطة الرعب في جزيرة العرب كلها حيث اعترضوا ركب الحاج العراقي عند عودته من مكة سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م فأوقعوا منهم ألفي رجل ونهبوا القافلة وأخذوا إبل الحاج جميعها والأمتعة والأموال والنساء وترك باقي الحجاج فمات أكثرهم جوعًا وعطشًا وتكرر ذلك منهم كما أن أبي طاهر القرمطي استولى على مكة سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م بعد أن قتل الحجاج يوم التروية الثامن من ذي الحجة وقتلوا في المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة وقيل ثلاثة عشر ألفًا من الرجال والنساء وهم متعلقون بأستار الكعبة ثم خلعوا باب الكعبة والحجر الأسود وذهبوا بهما إلى الأحساء. انظر: عبد القاهر، أبو منصور عبد القاهر ابن طاهر البغدادي ت ٤٢٩هـ الفرق بين الفرق، تحقيق/ طه عبد الرؤوف، مؤسسة الحلبي، القاهرة،

حتى نجحوا فى عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى[1]، فى استمالة القرامطة إلى جانبهم وإثارة حفيظتهم على العباسيين[2]، إلا أن الأمر لم يستمر للفاطميين، حيث نجح العباسيون فى إعادة بسط نفوذهم على الحجاز بعد منافسة شديدة معهم، وقد أدت الشدة العظمى فى مصر على عهد المستنصر بالله الفاطمي، وما تلاها من ضعف سلطة الخلفاء، إلى ترجيح كفة العباسيين فى بلاد الحجاز، وكانت الدولة الفاطمية فى أواخر عهدها، قد شغلت بالفتن نتيجة للصراعات بين رجال الدولة، فلم تعد تهتم بعودة الخطبة لها فى الحجاز[3].

وفى العهد الأيوبى كان الحجاز فى عهد صلاح الدين الأيوبى، تحكمه أسرة بنى هاشم فى مكة، بالإضافة إلى بنى مهنا من آل الحسين فى المدينة، وكانوا يخطبون للعباسيين فى أواخر العصر الفاطمى، لذلك لم يرسل صلاح الدين حملة للقضاء على أشراف الحجاز الشيعة، لكنه استمال أمراءها وأغدق عليهم الأموال والهدايا، حتى أذنوا له أن يجعل على المدينة الشريفة جماعة من قبله، فقرر بالمدينة أربعة وعشرين خادمًا خصيًا وجعل عليهم شيخًا من الخدام، كما أوقف على مجارى المدينة بلدين من أعمال الصعيد بمصر وهما نقادة وقبالة، وكان شيخ الحرم النبوى إذا قدم من المدينة على الملوك، يقومون له ويجلسونه إلى جانبهم ويتبركون به، لقرب عهده من تلك الأماكن الشريفة، واستمر الأمر على ذلك إلى أيام الملك الأشرف برسباى[4].

د. ت.، ص ١٦٩ – ١٧٤؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج ١، ص ١٦٠؛ عمر ابن فهد، محمد بن محمد بن فهد الشهير بعمر توفى ٨٨٥هـ إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الجزء الثانى، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٣م، ص ٣٦٩ – ٣٧٠؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢هـ، المختصر فى أخبار البشر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية، القاهرة، د. ت.، ص ٧٤.

(١) العزيز بالله (مزار أبو منصور): تولى الخلافة الفاطمية سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م بعد وفاة أبيه الخليفة المعز لدين الله الفاطمى.

(٢) صبحى عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، العربى للنشر والتوزيع، د. ت.، ص ٨٩؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، الجزء الرابع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٥٦.

(٣) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ١٣٩، ١٤٠.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٨؛ انظر أيضًا: صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ١٤٧.

وطوال تاريخ المدينة المنورة فى العهد الأيوبى، ظلت الخلافات قائمة بين أمراء مكة وأمراء المدينة المنورة(١)، وقد بلغ النفوذ الأيوبى فى الحجاز ذروته عن طريق الفرع الأيوبى الذى حكم اليمن(٢).

حيث أوجدوا نوابًا لهم فى مكة، فصاروا لذلك القوة المسيطرة على إمارة الحرمين، إلا أن الأيوبيين انشغلوا بالصراعات فيما بينهم عن الاهتمام ببلاد الحجاز(٣).

وفى العصر المملوكى البحرى، سعى سلاطين المماليك إلى وضع ركيزة قوية لحكمهم، بإحياء الخلافة العباسية فى مصر ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، بعد سقوطها بثلاث سنوات فى بغداد ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، واستطاع الظاهر بيبرس(٤) أن يبايع الخليفة المستنصر بالله العباسى بالخلافة، ومن ناحية أخرى قام الخليفة بتقليد بيبرس السلطنة، حيث صار

---

(١) الفاسى، تقى الدين محمد بن أحمد، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، الجزء السابع، تحقيق/ فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٥٩.

(٢) توفى صلاح الدين الأيوبى دون أن يضع نظامًا خاصًا لولاية العهد ونشأ عن ذلك قيام النزاع والخلاف بين أولاده وإخوته وأحفاده فاستطاع العادل أخو صلاح الدين أن يضم إليه الشطر الأكبر من الدولة الأيوبية، وتولى اليمن أحد فروع الأسرة الأيوبية حيث كان صلاح الدين قد أرسل أخاه سيف الإسلام طغتكين لتولى اليمن وضبط الأمور وإعادة سلطة الأيوبيين عليها وبعد وفاته تولى ابنه المعز إسماعيل الذى جاهر بالتشيع مما شجع الزيدية على بيعة الإمام عبد الله بن حمزة سنة ٥٩٣هـ فلما تولى أخاه الناصر أيوب بن طغتكين حاول وأنصاره الحد من نفوذ الإمام عبد الله بن حمزة لكنه مات مسمومًا مما أضعف من نفوذ الأيوبيين فى اليمن حتى تنبه السلطان العادل إلى خطورة الوضع بالنسبة إلى الأيوبيين فى اليمن وخشى من زوال نفوذهم فاستقر رأيه على إنفاذ حملة بقيادة حفيده المسعود لاستعادة سلطانهم بهذه البلاد فسار المسعود إلى اليمن وضبط الأمور بها، فدخل زبيد وملكها واستولى على تهمة وتعز وصنعاء وسائر ممالك اليمن. انظر: ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقى ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م، بهجة الزمن فى تاريخ اليمن، تحقيق/ مصطفى حجازى، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٧٨- ٨٢؛ المقريزى، الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٥م، ص ٧٦، ٧٧.

(٣) الجزيرى، عبد القادر بن محمد الأنصارى ت ٩٧٧هـ درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٥٨٨.

(٤) الظاهر بيبرس: هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحى النجمى البندقدارى التركى ولد فى حدود سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م بصحراء القبجاق وأخذ من بلاده صغيرًا وبيع بدمشق فنشأ بها ثم اشتراه الأمير علاء إيدكين البندقدارى الصالحى وبقى فى ملكه إلى أن قبض الملك الصالح نجم الدين أيوب على إيدكين وصادره وأخذ بيبرس ضمن ما أخذه منه ثم أعتقه الملك الصالح وقدمه على طائفة من الجمدارية وظل يترقى ضمن أمراء المماليك حتى استطاع أن يتولى حكم مصر سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م بعد مقتل الملك المظفر قطز. انظر: ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٩٤-١٠٠؛ العينى، بدر الدين محمد بن على، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق/ محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، حوادث سنتى ٦٥٨، ٦٧٦هـ.

يتولى السلطنة بتفويض من الخليفة، كما فوض إليه:"البلاد الإسلامية وما يضاف إليها وما سيفتح عليه من البلاد الكفرية"[1]، وبذلك أضفى بيبرس على نفسه وعلى حكمه صبغة شرعية.وأراد بيبرس أن يعرف سائر الأمراء مدى شرعية حكمه، فجمعهم بضاحية المطرية القريبة من القاهرة؛ لكى يسمعوا جميعًا تفويض الخليفة للسلطان بحكم "... الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية وما يتجدد من الفتوحات غورًا ونجدًا..."[2].

حيث تطلع سلاطين المماليك إلى السيطرة على الحرمين الشريفين، لما لهما من أهمية سياسية ودينية واقتصادية، فضلًا عن أن الظروف كانت مهيأة بسبب الصراع الدائم بين أمراء بلاد الحجاز، فقد لجأ بعضهم إلى سلاطين المماليك فى مصر طلبًا للمساعدة، مما أتاح للظاهر بيبرس' التدخل فى شئون الحجاز سعيًا للسيطرة عليه.

كما تلقب سلاطين المماليك بلقب "خادم الحرمين الشريفين"، وذلك لإطفاء الشرعية على حكمهم، وكان أول من تلقب بهذا اللقب السلطان الظاهر بيبرس[3]، كذلك ذكر اسم الظاهر بيبرس فى الخطبة فى الحرمين الشريفين، ونقش اسمه على السكة منذ سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م[4].

ومنذ ذلك بدأت حقبة تاريخية جديدة فى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث ارتبطت تلك البلاد بمصر ارتباطًا وثيقًا لمدة زادت على القرنين من الزمان[5].

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٨٣؛ انظر أيضًا: سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، دار النهضة العربية، ١٩٩٦م، ص ٢٠٦.

(٢) قاسم عبده قاسم، على السيد على، الأيوبيون والمماليك (التاريخ السياسى والعسكرى)، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م، ص ١٥١.

(٣) كان أول من تلقب بلقب خادم الحرمين الشريفين هو السلطان الظاهر بيبرس عرف ذلك من نقش موجود بقلعة دمشق تاريخه ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م. انظر: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٦٨؛ حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٥٥.

(٤) اليوسفى، نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر، الطبعة الأولى، تحقيق/ أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٩١.

(٥) الفاسى، تقى الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الجزء الثانى، دار الكتب العلمية، د. ت.، ص ١٩٤؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، الجزء الرابع، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، ص ٣٢؛ عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ١، ص ٤٨١.

• الفصل الأول

الأحوال السياسية فى المدينة المنورة

أولًا - النفوذ السياسى لسلاطين المماليك الجراكسة

ثانيًا - أمراء المدينة المنورة ومراسم تولية الإمارة

ثالثًا - العلاقات السياسية بين المدينة المنورة ومكة المكرمة

أولًا ـ النفــوذ السـياسـى لسلاطين المماليك الجراكسة

* طبيــعــة النفـــوذ السياسـى

تتمثل طبيعة النفوذ السياسى لسلاطين المماليك الجراكسة، فى العديد من الأمور لعل منها تعيينهم لأمراء المدينة المنورة، ومع ذلك لم يكن السلطان المملوكى مطلق اليد فى اختيار أو تعيين أى أمير، بل كان مقيدًا بأن يكون أمير المدينة المنورة من الحسينيين؛ أى من سلالة الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وكان يخطب باسم السلطان المملوكى على منابر المدينة المنورة[(١)]، كما احتفظ سلاطين المماليك فى الوقت ذاته بلقب سلطان مصر والحجاز؛ حيث لقب السلطان برقوق[(٢)] الذى ارتقى الحكم

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، الجزء الأول، تحقيق/ محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص ٢٩٧؛ انظر أيضًا: على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ٥٥.

(٢) الظاهر برقوق: هو الظاهر برقوق بن آنص العثمانى اليلبغاوى الجركسى الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد أول ملوك الجراكسة بمصر تولى يوم الأربعاء ١٩ رمضان سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م وخلع سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م وسجن بالكرك، فكانت مدة سلطنته الأولى ست سنين وبعض الأشهر، ثم أعيد مرة أخرى فى ١٩ رمضان سنة ٩٧١هـ نفس السنة وتوفى فى سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م وكانت مدة ولايته الثانية عشر سنين إلا بعض الأيام وإجمالى ولاياته ست عشرة سنة وأيامًا وله العديد من الإنشاءات وله أوقاف كثيرة منها على الحرمين لقراء القرآن الكريم وغيرهم. انظر: الملطى، عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطى (٨٤٤- ٩٢٠هـ)، نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، الطبعة الأولى، تحقيق/ محمد كمال الدين عز الدين على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١١٧، ١١٨، ١١٩؛ ابن حجر العسقلانى، الدرر الكامنة بأعيان المائة الثامنة، الجزء الرابع، دار الجيل، بيروت، د. ت.، ص ٤٣٩؛ السخاوى، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م، الضـوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٣٤، ص ١١.

سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م بسلطان مصر والحجاز[١]، كما كان برقوق من سلاطين المماليك الذين حملوا لقب خادم الحرمين الشريف[٢].

حيث وجد سلاطين الجراكسة نظام الأشراف نظامًا وراثيًا مستقرًا، فلم يحاولوا تغييره، ومن فكر منهم فى ذلك وجد كثيرًا من الصعوبات، فاكتفوا بتشديد قبضتهم عليهم[٣]، مع تركهم إدارة المدينة المنورة كليًا للأشراف[٤]. إلا أنهم كانوا يراقبون ما يقوم به أمراء المدينة، ويستمعون إلى الشكاوى ضدهم، وقد يستجيبون لها، وذلك بعزل من كثر ظلمه منهم، فأسهموا بذلك فى إنهاء الكثير من الاضطرابات التى وجدت فى المدينة المنورة[٥].

وكانت طريقتهم المفضلة فى عزل أى أمير أو مكافأته، هى أن يتم استدعاؤه إلى مصر، وكان الأمير عندما يستدعى، يسترجع ما قام به وهل من بينه ما يغضب السلطان، فإن لم يكن شيئًا من ذلك سافر إلى مصر فاستقبل بالحفاوة، وأما إذا كان مغضوبًا عليه فكان إما أن يعزل ويتولى غيره مكانه، إما أن يتم سجنه فى أحد سجون مصر فترة قد تطول أو تقصر حسبما تقتضيه سياسة السلاطين، ونادرًا ما كان يقتل أحدهم من جانب السلاطين، فقد كانوا يستخدمون بعض الأمراء مرة أخرى لتحقيق سيطرتهم، وتهديد الأمير الجديد إذا حاول أن يعصى أوامرهم.

---

(١) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٣٤٤؛ انظر أيضًا: حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، تقديم د/ محمد مصطفى زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٥٥.

(٢) حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٥٥.

(٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٥.

(٤) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، الجزء الأول، ترجمة د/ على عودة الشيوخ، تعليق د/ محمد محمود السرياني، د/ معراج نواب مرزا، مراجعة د/ محمد إبراهيم على، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٨٠.

(٥) الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص٤٣٧؛ انظر أيضًا: عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة فى العصر المملوكى، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الخامس، ربيع الثانى - جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ/ يونيو - أغسطس ٢٠٠٣م، ص ٥٠.

كما تردد على مصر الكثير من أمراء الأشراف، إما سعيًا وراء تولية الإمارة، إما رغبة فى الاحتفاظ بها، وكان من مظاهر سيطرة المماليك الجراكسة على أمراء المدينة أيضًا، احتكام هؤلاء الأمراء إلى السلطان المملوكى فيما يقع بينهم من خلافات[1].

والملاحظ أن سلطة سلاطين المماليك على أمراء المدينة، فى كثير من الأوقات كانت سلطة اسمية، حيث كان أمير المدينة هو الذى يتولى الإشراف التام على أمورها دون الرجوع إلى السلطان، كذلك فإن سلاطين المماليك كانوا بعيدين تمامًا عما يحدث داخل المدينة من أحداث، وكثيرًا ما كانوا يصدرون قرارات التولية، دون معرفة بأمور المدينة، بل وكثيرًا ما كان اتخاذ هذا القرار غير حكيم، مما كان يحدث حروب وفتن بين أمراء الأشراف فى المدينة، فعندما كان يذهب أحد الأشراف إلى القاهرة، ويشتكى من أخيه أو ابن عمه، ويطلب من السلطان تعيينه أو إشراكه فى الإمارة، كان السلطان المملوكى يستجيب له دون أن يعرف الأوضاع داخل المدينة، مما كان سببًا فى حدوث كثير من الفتن بينهم[2].

* الأحـوال السياسية فى المدينة مع بداية سلطنة المماليك الجراكسة

من خلال تتبع الأوضاع السياسية فى المدينة المنورة أواخر القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى، يتضح أن الصراع على السلطة بين أشراف الأمراء كان على أشده، كما أنه كان سمة بارزة للحياة السياسية فى المدينة فى ذلك الوقت[3]. ولما كانت بداية سلطنة المماليك الجراكسة فى مصر هى باستيلاء السلطان برقوق على السلطنة، الذى لم يكن على دراية بأمور أسرة الأشراف فى المدينة، لذا عندما وفد عليه جماز بن هبة[4]

(١) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية، ص ٥٥، ٥٦.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٤٥٨؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الطبعة الأولى، الجزء الثانى، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين فى العصر المملوكى (دراسة تاريخية وثائقية حضارية)، الطبعة الأولى، إصدار خاص بمناسبة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٧١.

(٤) جماز بن هبة بن جماز بن منصور تولى إمارة المدينة فى ذى القعدة سنة ٧٨٣هـ ثم اشترك معه ابن عم أبيه فى سنة ٧٨٥هـ محمد بن عطية بن منصور ووليها مرة أخرى سنة ٧٨٩هـ ثم سجن بالإسكندرية سبع

استقبله واستجاب لطلبه، وأصدر له مرسومًا بتعيينه أميرًا على المدينة، وعاد جماز مع ركب الحج لموسم ذى القعدة سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م[١]، وفى تلك الفترة كان أمير المدينة عطية بن منصور بن جماز قد توفى[٢]، واستولى على الإمارة أخيه نعير[٣]، الذى أرسل إلى السلطان برقوق يطلب منه تثبيته فى الإمارة، ولكن السلطان كان قد أصدر مرسومًا بتعيين جماز بن هبة، لذلك بعد أن عاد جماز إلى المدينة حاملًا مرسوم السلطان بتعيينه أميرًا[٤]، نشب بينه وبين نعير قتال انتهى بوفاة نعير[٥]. وبعد أقل من سنتين من تسلم جماز بن هبة للسلطة استطاع ابن عم أبيه محمد بن عطية، أن يستصدر هو الآخر مرسومًا من السلطان برقوق بإشراكه فى الإمارة مع جماز، فأذعن جماز فى البداية، ثم أخذ فى الكيد له، إلى أن استطاع طرده من المدينة[٦]، ويتضح من هذا أن المدينة المنورة عانت من الصراع على الإمارة منذ بداية عصر المماليك الجراكسة.

وفى بداية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى عاشت المدينة المنورة حياة هادئة، حتى كانت علاقاتها حسنة مع سلاطين المماليك فى مصر، أثناء إمارة ثابت بن

سنوات ثم أطلق سنة ٨٠٥هـ وقتل فى سنة ٨١٢هـ وقد ولى المدينة ثلاث مرات. انظر: عمر بن فهد، اتحاف الورى، ج ٣، ص ٤١٦؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧؛ المقريزى، السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٠٩٧.

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ص ٢٧٢.

(٢) عطية بن منصور بن جماز تولى إمارة المدينة فى الحادى عشر من ذى القعدة سنة ٧٥٩هـ ومات سنة ٧٨٣هـ بالمدينة كانت سيرته عطرة ومناقبه عديدة. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٧؛ ابن تغرى، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، الجزء الرابع، تحقيق د/ نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥-١٩٨٦م، ص ١٩٧

(٣) نعير بن منصور بن جماز تولى إمارة المدينة فى ذى القعدة سنة ٧٨٣هـ بالوكالة وكان ينوب عن أخيه عطية ابن منصور وقتل سنة ٧٨٣هـ بعد يومين من دخول جماز المدينة. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧، ٤٢٨.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧.

(٥) الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص ٤٣٨؛ انظر أيضًا: عارف أحمد عبد الغنى، تاريخ أمراء المدينة المنورة ١هـ- ١٤١٧هـ سلسلة كتب تواريخ المدن (٣)، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ص ٢٨٧.

(٦) ابن الصيرفى، الخطيب الجوهرى على بن داوود، ت ٩٠٠هـ نزهة النفوس والأبدان فى تاريخ الزمان، الجزء الأول، تحقيق/ حسن حبشى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٢٤.

نعير بن جماز[1]، الذى حسن العلاقة مع أهل السنة، لكنه تغير فى آخر ولايته[2]، فتقدم أهل المدينة بشكوى ضده إلى السلطان الناصر فرج الذى عزله وأطلق سراح الأمير جماز ابن هبة، وأعاده إلى إمارة المدينة المنورة[3]. لكن الأمير ثابت بن نعير لم يرض بما حدث، وحاول أخذ الإمارة من الأمير جماز مرة أخرى، وأرسل رجاله إلى السلطان المملوكى للتوسط فى ذلك.

ويذكر السخاوى أن السلطان الناصر فرج (٨٠٦-٨١٣هـ)[4]، قال لهم اقتتلوا فمن غلب كان هو الأمير[5]، ولكن عبد الباسط بدر يشكك فى هذه الرواية، ويعدها من خيال القصاصين، حيث لم يذكرها أحد غير السخاوى، ولا يعقل أن يبلغ العبث بالسلطان هذا الحد، ذلك لأن السلطان المملوكى لن يترك أمر مدينة رسول الله ﷺ للحرب والقتال بين أمراء الأشراف، وخاصة أن السلطان الناصر فرج، كان قد أنهى الخلاف فى مكة وعين عليها الأمير الحسن بن عجلان[6]، فكيف له أن يسمح أن تحدث

(١) ثابت بن نعير بن جماز بن منصور بن جماز تولى إمارة المدينة قرابة سنة ٧٨٩هـ وما بعدها وعزل عنها بجماز سنة ٨٠٥هـ ثم أعيد واقتتلا ومات ثابت سنة ٨١١هـ فى صفر. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ١، ص ٥٠؛ المقريزى، السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٥٩؛ ابن تغرى، المنهل الصافى، ج ٤، ص ١٨٥؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٧٣.

(٢) كان أمراء المدينة المنورة من الأشراف الحسينين وقد بدأت مذاهب أهل السنة منذ أواخر القرن السابع الهجرى تكتسب قوة نتيجة دعم سلاطين المماليك لها وقد مال بعض الأمراء الأشراف إلى مذهب أهل السنة ومن هؤلاء كان ثابت بن نعير بن جماز وفعل ذلك بعض الأمراء إرضاءً لسلاطين المماليك الذين كانوا يدعمون أهل السنة.

(٣) المقريزى، السلوك، ج ٣، ص ١٠٩٧؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥٠.

(٤) الناصر فرج: هو فرج بن برقوق بن آنص الملك الناصر زين الدين أبو السعادات بن الظاهر تولى السلطنة مرتين مثل والده الظاهر برقوق الأولى يوم الجمعة فى نصف شوال سنة ٨٠١هـ وخلع منها فى سنة ٨٠٨هـ فكانت سلطنته ست سنين وخمسة شهور، ثم أعيد فى ٥ جمادى الآخرة سنة ٨٠٨هـ ومات بدمشق فى ١٦ صفر سنة ٨١٥هـ، وكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وعشرة شهور وإجمالى ولاياته نحو أربع عشرة سنة. انظر: الملطى، نزهة الأساطين، ص ١٢٠-١٢٢.

(٥) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٩٦.

(٦) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى، يعود نسبه إلى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى المكى يلقب بدر الدين أمير الحجاز مكة والمدينة فى قرابة سنة ٨١١هـ ولى أمرة مكة من غير شريك نحو إحدى عشرة سنة ووليها سنة وسبعة أشهر شريكًا لابنه السيد بركات تولى الإمارة سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م وتوفى سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م. انظر: الفاسى، العقد الثمين، ج ٤، ص ٨٦؛ عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٢٤٧؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٦.

هذه الخلافات فى المدينة المنورة، كما يذكر أيضًا أن التعيين جاء عن طريق دبلوماسية رجال الأمير جماز بن هبة فى القاهرة[1].

كان لهذه الأحداث أثر سيئ على الأمن والاستقرار فى المدينة، فقد وجد البعض فى ذلك فرصة للإغارة على المدينة ونهبها.

من ذلك يتبين أن صراع الأمراء فى ذلك الوقت كان على أشده، كما كان من نتيجته قيام الأمير جماز بن هبة بفرض المكوس والجبايات ومصادرة الأغنياء فى المدينة، فحاول خصومه استصدار مرسوم من السلطان بعزله، وكان السلطان الناصر فرج قد مل من مشكلات إمارتى مكة والمدينة وصراع أفراد الأسرة الواحدة، ونتيجة لثقته بحسن بن عجلان الذى كان مسجونًا لديه ولاه إمارة مكة، وكلفه بالإشراف على إمارتى المدينة وينبع ومتابعة أميريهما[2].

* توطيد النفوذ السياسى

أدرك سلاطين الجراكسة الأهمية القصوى لبلاد الحجاز، فعملوا على إرسال الحاميات العسكرية إليه، ليضمنوا سيطرتهم عليه من جهة، ولنشر الأمن والاستقرار من جهة أخرى[3]، وحتى تكون هذه الحاميات شوكة فى جانب أمراء الأشراف لضمان ولائهم[4]، فأمن الناس على حياتهم وممتلكاتهم، بفضل هيبة هؤلاء السلاطين التى تفرض على الأمراء العمل على حل مشكلاتهم، وعلى قطّاع الطرق من البدو التردد قبل الهجوم على قوافل الحجاج أو على أهل المدينة[5].

---

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٤٠؛ انظر أيضًا: أحمد السباعى، تاريخ مكة، دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الجزء الأول، الطبعة السادسة، مطبوعات نادى مكة الثقافى، مكة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٩٠؛ عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٣) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٩٩.

(٤) المقريزى، السلوك، ج ٢، ص ١١٩.

(٥) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٣٨.

حتى أن بعض أمراء المدينة استعان بسلاطين المماليك، ومنهم ثابت بن نعير بن هبة ابن جماز سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م، الذى استعان بالسلطان الأشرف برسباى[١]. فأرسل له قوة مسلحة بقيادة بكتمر السعدى[٢]، لتقويته ونصر أهل السنة، وقد أتاح ذلك للمدينة فترة استقرار سياسى، وإن لم تخل من اضطرابات متقطعة حول تولى الإمارة[٣].

كما أرسل السلطان جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ)[٤]، حامية إلى بلاد الحجاز عبارة عن خمسين فارسًا بقيادة الأمير سودون الذى لقب (ناظر الحرمين الشريفين)[٥]، وقد أقامت تلك الحامية فى المدينة أكثر من سنتين، ولعل السبب المباشر لإرسال تلك الحامية جريمة ارتكبها أحد الأشراف، وكادت بسببها أن تحدث فتنة بين الشيعة والسنة، حيث اغتيل محمد الكمال أبو الفضل أحد أعيان السنة وأمير المدينة سليمان بن غرير[٦] غائب عنها.

فجاء نائبه حيدرة بن دوغان[٧] إلى موقع الحادث للقبض على الجانى، ولكن دون جدوى، فسافر شقيق المقتول إلى القاهرة، وأخبر السلطان الظاهر عما يلاقيه أهل السنة

---

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٦٧١؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٢) بكتمر بن عبد الله السعدى: مملوك سعد بن غراب ترقى إلى أن سفره السلطان إلى صاحب اليمن، ثم عاد فتأمر وتوفى سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م. انظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ١٥٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٧.

(٣) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٦٧١.

(٤) الظاهر جقمق: هو جقمق العلائى الظاهرى الجركسى الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد تسلطن يوم الأربعاء ١٩ ربيع الأول سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م وليس له من الآثار شيء معتبر غير ترميم بعض الأمكنة وبناء رصيف بولاق وقرر بعض الصدقات لأهل الحرمين وقرر لهم رواتب الذخيرة وتوفى ليلة الثلاثاء ٣ صفر سنة ٨٥٧هـ، وكانت مدته أربع عشرة سنة وعشرة شهور ويومين. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧٤؛ الملطى، نزهة الأساطين، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٥) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٩٩.

(٦) سليمان بن غرير بن هيازع بن هبة بن جماز يعود نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب تولى إمارة المدينة سنة ٨٤٢هـ بعد عزل أميان أواخر سنة ٨٤٢هـ واستمر إلى أن توفى سنة ٨٤٦هـ. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٨٤.

(٧) حيدرة بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز يعود نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب تولى إمارة المدينة وكالَة وأصالة سنة ٨٤٢هـ وتوفى سنة ٨٤٦هـ. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٤٠، الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٦٨؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٠٢؛ المقريزى، السلوك، ج ٣، ص ٩٨٥.

من بعض الأشراف ولذلك أمر جقمق بإرسال مجموعة من الجند لتعزيز الأمن فى المدينة، وقد جهزهم بما يحتاجونه، فمكثوا فى المدينة أكثر من سنتين[1].

لكن ابن الصيرفى فى نزهة النفوس والأبدان، يذكر خبر سفر تلك الحامية ضمن أحداث سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، عند ذكره لزيارة بعض الحجاج للبقيع فى تلك السنة، حيث خرج عليهم جماعة من العربان الرافضة وقتلوا ثلاثة من مماليك السلطان المرافقين لقافلة الحجاج[2].

ويمكن القول إن تلك الحاميات المملوكية، كانت ترسل إلى الحجاز سنويًا وتقريبًا بنفس الأعداد المرسلة، وقد زادت أعدادها فى بعض الأوقات، مما أعطى هذا الاختلاف فى تاريخ سفرها.

وكان لموسم الحج أثره الكبير فى توطيد النفوذ السياسى لسلاطين الجراكسة، حيث حرصوا على الاستفادة منه فى الدعاية السياسية، فقاموا بالاهتمام بكل ما يتعلق بالأماكن المقدسة، وتوفير الراحة للحجاج، وإزالة العقبات التى تعترض طريقهم[3]، فأمن الحجاج على أموالهم ومتاعهم، ولم يكن ذلك من الأمور اليسيرة، وفى بعض الأحيان اعتمد السلاطين على بعض القوى المحلية فى تحقيق الأمن، حتى أن الأمن كان ينعدم كلما أعربت هذه القوى المحلية عن تذمرها وسخطها[4].

ومما يدل على ذلك الاستحواذ أنه كانت هناك قوة عسكرية مملوكية ترسل إلى الحجاز خلال فترة الحج، كان الهدف منها هو حراسة قافلة الحاج أثناء حجهم[5]، وفى كثير من الأحيان كان يقود قافلة الحاج أحد الأمراء، وتضم مجموعة من المماليك يتزايد عددها

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٢٥.
(٢) ابن الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، ج ٤، ص ١٤٢.
(٣) أحمد عمر الزيلعى، مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ - ٤٨٧هـ)، عمادة شئون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت.، ص ١١٤.
(٤) محمد عبد اللطيف هريدى، شئون الحرمين الشريفين فى العهد العثمانى فى ضوء الوثائق التركية العثمانية، الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢١.
(٥) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٩٩.

فى حالة الضرورة[1]، مما منح سلاطين المماليك والركب المصرى مكانة كبيرة فى العالم الإسلامى، فكان أكبر ركب للحج وأكثرها تنظيمًا وأعظمها أبهة[2].

كما أن نفوذ سلاطين المماليك فى بلاد الحجاز، كان يشمل إلى جانب النفوذ السياسى جانبًا دينيًا، يتمثل فى ذكر أسمائهم والدعاء لهم على منابر مكة والمدينة، وذلك لحاجتهم إلى سند شرعى يستند إليه حكمهم، وكان أهم رموز تأكيد ذلك النفوذ هو الدعاء لهم على منابر الحرمين الشريفين[3]، حيث كان للخطبة فى المواسم والتى تتم على أساس دينى، الكثير من الأهداف والأغراض السياسية والدعائية لسلاطين المماليك[4].

ومما يدل على ما وصل إليه نفوذ سلاطين الجراكسة فى بلاد الحجاز، أنه فى عصر السلطان قايتباى[5]، أرسل الشاه حسن الطويل سلطان العراقين وهو فى أوج قوته،

---

(١) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر فى عصر المماليك الجراكسة، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، إشراف أ.د/ حسن حبشى، ديسمبر ١٩٦٩م، ص ٧٣.

(٢) كان ركب الحج المصرى فى العصر المملوكى أكثر ركبان الحج انتظامًا وعناية وأمنًا للأسباب الآتية:

١- إن بلاد الحجاز كانت تابعة من الناحية السياسية للدولة المملوكية.

٢- قيام سلاطين المماليك بالعناية بطريق الحج المصرى وذلك بتوفير سبل الراحة للحجاج أثناء قطعه وحمايتهم من اعتداءات الطريق وإرسال المبرات إلى أهل الحرمين من أوقافها فى مصر وقيامهم بإرسال المحمل الذى يحمل كسوة الكعبة المشرفة.

٣- التحاق قوافل الحجيج الأخرى وخاصة من بلاد المغرب والشام (طريق غزة - العقبة) بقافلة الحج المصرى لتضمن وصولها سالمة إلى الحرمين الشريفين كما أن حجاج الشرق فى بعض الأحيان كانوا يأتون إلى مصر ليسيروا مع قافلة الحج المصرى إلى الحرمين الشريفين وفى السنوات التى يخرج فيها للحج أحد السلاطين - قايتباى هو الوحيد من سلاطين الجراكسة الذى قام بالحج - أو إحدى زوجاته وكذلك أحد كبار أمراء المماليك كانت تزداد العناية بركب الحج المصرى سواء من حيث توفير الأقوات والمياه أو الحراسة على طول امتداد الطريق، الأمر الذى كان يستفيد منه عامة الحجاج فيقطعون الطريق إلى مكة المكرمة فى راحة وأمن وطمأنينة. انظر: آمنة حسين محمد على جلال، طرق الحج ومرافقه فى الحجاز فى العصر المملوكى (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٨-١٥١٧م) رسالة دكتوراه فى التاريخ الإسلامى، إشراف أ. د/ أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٥- ١٧.

(٣) المقريزى، السلوك، ج ١، ص ٧٢٤.

(٤) سليمان صالح كمال، إمارة الحج فى العصر العباسى (١٣٢-٢٤٧هـ)/ (٧٤٩-٨٦١م)، رسالة ماجستير فى الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، إشراف د/ السيد محمد أبو العزم داود، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٧٢.

(٥) الأشرف قايتباى: هو قايتباى المحمودى الظاهرى الجركسى الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر تسلطن

حملة عسكرية مع قافلة الحج سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٣م، ومعها كسوة للكعبة منقوش عليها اسمه[1]، ودخل الجيش المدينة المنورة، وطلب الخطبة باسم الملك العادل حسن الطويل خادم الحرمين الشريفين، وعندما توجهت الحملة إلى مكة، بعث قضاة المدينة المنورة إلى شريف مكة محمد بن بركات، وأبلغوه بما حدث فى المدينة[2]، فخرج محمد ابن بركات بعسكره إلى بطن مـر[3] لمقابلة المحمل قبل دخول مكة، وقبض على أمير المحمل العراقى والقاضى المرافق له وكبار أعيانهم، وقام بإرسال أمير المحمل والقاضى إلى السلطان قايتباى، الذى أمـر بحبسهما فى أبراج القلعة، إلى أن شفع فيهما الأمير يشبك الدودار، حيث أطلق السلطان سراحهما، ولم يتدخل أحد بعد ذلك فى سلطان الدولة المملوكية على بلاد الحجاز[4].

فى يوم ٦ رجب سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، أنشأ برج الفنار بالإسكندرية والقبة المعظمة والمقصورة الحديد المسبك على قبر النبى ﷺ ورخم مسجده وجدد عمارة الجامع الأموى بدمشق بعد حريقه وأنشأ العديد من المنشآت العلمية فى مصر والشام والحجاز وتوفى يوم السبت ١١ ذى القعدة سنة ٩٠١هـ/ ١٤٥٩م فكانت مدته تسعًا وعشرين سنة وأربعة شهور واحد وعشرين يومًا. انظر: الملطى، نزهة الأساطين، ص ١٤٣- ١٤٦؛ انظر أيضًا: عبد الرازق القرموط، العلاقات المصرية العثمانية، الطبعة الأولى، دار الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م، ص ٢١.

(١) عن مطالبة بعض حكام المسلمين بكسوة الكعبة ذكر أنه بعد وفاة تيمور لنك سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م تولى ابنه شاه رخ الحكم والذى بدأ صفحة جديدة فى العلاقات مع دولة سلاطين المماليك، فأرسل إلى السلطان برسباى سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م يطلب السماح له بكسوة الكعبة إلا أنه فى البداية لم يتلق جوابًا على طلبه حيث خشى برسباى من أن يكون وراء طلب شاه رخ أطماع يريد تحقيقها فى الشام والحجاز لكنه لم ييأس فتكررت مطالبته بكسوة الكعبة وأخيرًا أجاب برسباى على شاه رخ بأن "العادة جرت أن لا يكسو الكعبة إلا ملوك مصر والعادة قد اعتبرت من الشرع فى مواقع " وعندما تولى جقمق السلطنة بعد برسباى وافق سنة ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م على السماح لشاه رخ بكسوة الكعبة بشروط أن تكون الكسوة من الداخل أى تحت كسوة السلطان إلا أن السلطان جقمق نتيجة استياء المسلمين أمر بنزع كسوه رخ سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م وبقيت كسوة السلطان. انظر: المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٩٣٢؛ انظر أيضًا: سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٣.

(٢) عبد العظيم حامد خطاب، قانصوه الغورى ونهاية الدولة المملوكية فى مصر والشام، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، إشراف أ.د/ حسن حبشى، ١٩٧٣م، ص ٢٢٠.

(٣) مـر: واد من أودية الحجاز إلى الشمال من مكة على طريق حجاج مصر والشام يسمى عند أهل الحجاز بوادى فاطمة. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٦٤، ٢٦٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٣.

(٤) عبد العظيم حامد خطاب، قانصوه الغورى، ص ٢٢١.

إن دل هذا على شيء، فإنما يدل على قدر النفوذ السياسى الكبير لسلاطين المماليك الجراكسة على الحرمين بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص، حتى أنهم دافعوا عن ذلك النفوذ فى وجه كل من فكر أن يكون له أى وجود ولو رمزى فى تلك الأماكن.

وكان لأمير الحج المصرى مكانة عظيمة، حيث يعيينه السلطان المملوكى من كبار الأمراء[١]، كما كان يقره السلطان فى بعض الأحيان فى تعيين أمراء الحرمين الشريفين[٢]، فضلا عن أنهم كانوا عينًا للسلطان المملوكى، ينقل إليه بصفة منتظمة ما يدور من أحداث، حتى يتمكن السلطان عن طريقهم من مواجهتها قبل استفحالها[٣].

وفى بعض الأحيان كان يشعر أمراء الحاج المصرى، بأنهم أعلى قدرًا من أمراء المدينة، فيقومون بفرض بعض الأموال على أهلها سواء للخزانة أو لأنفسهم، مما أثقل على أهل المدينة[٤]، وقد نبه بعض السلاطين عليهم لتجنب تلك الأعمال، ومن ذلك أنه فى شوال سنة ٨٤٤هـ خرج محمل الحاج فى صحبة الأمير تمر باى رأس نوبة النوب[٥]، وأمير الأول سودون قراقاش، وكان السلطان جقمق قد رسم لهما أن لا يكلفا كل من أمير مكة وأمير المدينة وأمير ينبع بدرهم واحد، وكتب لهما بذلك وذكر ابن الصيرفى عن ذلك " وما أحسن هذا لوعملوا به ودام"[٦].

---

(١) أمير الحج: يسمى أمير الركب وهو الذى يقوم بالسفر مع ركب الحجاج من مصر إلى البلاد العربية ويقود الركب ويحافظ على الحجاج فى سفرهم من قطاع الطرق ويعمل على سلامتهم حتى عودتهم إلى بلادهم. انظر: البقلى، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٤٨.وكان تعيين أمير الحج فى العصر المملوكى يتم ليلة المولد النبوى فإذا ما اجتمع الأمراء لدى السلطان فى هذه الليلة ليسمعوا القرآن الكريم وقصة المولد النبوى الشريف وحان وقت إدارة الشراب الحلال بدأ الساقى بالسلطان ليشرب من الكوب بضع رشفات قليلة ثم يأمر بالباقى إلى من يريده أميرًا للحج فإذا ما أعطى الكوب عرف أنه أمير الحج المختار لهذا العام، فيقوم أمير الحج للسلطان شاكرًا، ثم تنهال عليه التهنئة من جميع الحاضرين ومنذ ساعتئذ يعد عدته للسفر دون أن يكون له قانون معين يسير عليه ويعينه على أداء عمله أصحابه ومحبوه فيقدمون له المال والغلال والهدايا، وكان منصب أمير الحج مطمعًا ومجالا للتنافس والتناحر عليه. انظر: إبراهيم حلمى، المحمل، مكتبة التراث الإسلامى، د.ت. ص ٩٥.

(٢) سليمان صالح كمال، إمارة الحج، ص ٥٩.

(٣) عبد العظيم حامد خطاب، قانصوه الغورى، ص ٢٢١.

(٤) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٥) رأس نوبة النوب: لقب لمن يتحدث عن مماليك السلطان أو الأمير وينفذ أمره فيهم ويجمع على رؤوس نوب. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٥.

(٦) ابن الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، ج ٤، ص ٢١٢، ٢١٣.

كذلك كان للعامل الاقتصادى دوره فى توطيد النفوذ المملوكى فى بلاد الحجاز، وتمثل هذا العامل فى التزامات سلاطين الجراكسة تجاه أهل المدينة؛ حيث كانوا يرسلون الكثير من الصدقات والهبات، كما أوقفوا العديد من الأوقاف عليهم، كل ذلك جعل أهلها بوجه عام وأمراء الأشراف بوجه خاص يخلصون للسلاطين ويدعون لهم، كما أنها ساعدت سلاطين الجراكسة على تثبيت نفوذهم والظهور بمظهر التقوى والورع أمام جميع المسلمين فى العالم الإسلامى[1]، فكانت رمزًا لرضا السلطان، وتستخدم فى الغالب أثناء تعيين الموظفين المرموقين أو خلال موسم الحج[2].

ولعبت الرشوة دورًا كبيرًا فى علاقة دولة المماليك الجراكسة بأمراء الحجاز[3] حيث صارت الرشوة عاملًا مهمًا من عوامل العزل والتولية، فبعد أن كان قبول الهدية من أمير مكة يعتبر تفضلًا من السلطان المملوكى وتنازلًا، صارت الأموال فى أيام المماليك الجراكسة شرطًا مهمًا من شروط التولية وسببًا من أسباب العزل[4]، فبها حصل الحسن ابن عجلان أمير مكة سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م، على مرسوم بمشاركة ابنه أحمد لأخيه بركات فى الحكم، وأن يلقب الحسن بنائب السلطنة بالأقطار الحجازية[5]، وبها تولى خشرم بن دوغان[6] الإمارة فى المدينة فى شوال سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م، بعدما تعهد

---

(١) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة فى القرنين السابع والثامن للهجرة، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٠٠.

(٢) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٩٨.

(٣) اكتسبت الرشوة صفة الشرعية والرسمية زمن الجراكسة؛ حيث ذكر المقريزى عن السلطان الظاهر برقوق ما نصه: "وحدث فى أيامه تجاهر الناس بالبراطيل فلا يكاد يلى أحد وظيفة ولا عملًا إلا بمال فترقى الأعمال الجليلة والرتب السنية الأرذال " ولعل مما يعطى دليلًا آخر على تفشى الرشوة والجهر بها زمن السلطان برقوق ما تضمنته رسالة تيمور لنك له فى ربيع الآخر سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م وجاء فيها "... وكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام وضيعتم جميع الأنام وأخذتم أموال الأيتام وقبلتم الرشوة من الحكام" انظر: المقريزى، السلوك، ج ٣، ص ٦١٨؛ انظر أيضًا: أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص ٣١، ٣٢.

(٤) أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة، ص ٦٦.

(٥) حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٥٩.

(٦) خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز يعود نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب تولى إمارة المدينة فى أواخر سنة ٨٢٩هـ وقتل سنة ٨٣٢هـ انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٩١؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣٠٤؛ المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٨١٥.

بتقديم خمسة آلاف دينار للسلطان المملوكى لقاء توليته الإمارة[1]. إلا أنه لم يستطع الوفاء، فأمر السلطان الأشرف برسباى بالقبض عليه، وأقام بدلًا منه مانع بن على[2]، وهو بذلك يكون قد اشترى الإمارة، وكانت هذه أول مرة تتحول فيها إمارة المدينة إلى وظيفة تعطى مقابل التعهد بدفع مبلغ من المال[3]، حيث ترتب عليها أن تولى الإمارة الأثرياء من الأشراف الذين عملوا على إرضاء السلاطين ببذل المال الوفير وتقديم الهدايا[4].

ومثل هذه الحالات مما يسيء إلى أهل المدينة، حيث كان بعض السلاطين يتعجل فى إصدار مراسم تعيين الأمراء فى المدينة، بمشاورة من مستشاريه، ودون معرفة بالظروف والصراعات الدائرة فيها، فضلًا عن أن هذه المراسم كانت تسهم فى تأجيج الصراعات بين أمراء المدينة[5].

ولذلك استمرت إمارة المدينة المنورة مضطربة بين أمراء الأشراف، فخلافاتهم على الإمارة لم تنتهِ، ومما يعجب له أن سلاطين المماليك فى مصر، أصبحت إمارة المدينة بالنسبة إليهم تأخذ ببذل المال للسلطان المملوكى، وهذه الظاهرة انتشرت فى عصر سلاطين الجراكسة بصورة لافتة للنظر، فأصبح كل من يعطى الأموال للسلطان يستطيع أن يأخذ المنصب الذى يريده[6]، وسواء أكانت تلك السياسة من جانب أمراء الأشراف أم من جانب سلاطين المماليك، فإنها لا تتناسب مع الشرف العظيم للمدينة المنورة، فكان المفروض على كل منهما أن يحافظ على هذا المقام، وعلى السلطان المملوكى أن يتابع أخبار المدينة المنورة، نظرًا لأهميتها عند المسلمين، ويعين من يراه جديرًا بتولية شرف هذه الإمارة، بدون تدخل للمال فى ذلك التعيين، ولكن الذى كان يحدث فى بعض الأحيان على العكس من ذلك.

---

(١) ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٢) أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة، ص ٦٥.

(٣) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٤) أحمد عبد الرازق أحمد، البذل والبرطلة، ص ٦٦.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٤١؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة فى العصر المملوكى، ص ٥٠.

(٦) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٦.

كما أن بعض أمراء الأشراف فى صراعهم على إمارة المدينة اتخذ نوعًا جديدًا من الصراع، كالسعى لدى بعض من المقربين عند السلطان المملوكى أو ما يمكن أن نطلق عليه طريقًا دبلوماسيًا، حيث كانوا يتنافسون لاسترضاء السلطان المملوكى فى مصر كى يستصدروا مرسومًا منه بتعيين أحدهم أميرًا أو عزل الأمير الموجود فى الإمارة[1]، وسواء أكان تدخل سلاطين المماليك للإصلاح أم العزل أم التولية، فقد كان الهدف الأول والأخير هو الحفاظ على المصالح الاقتصادية والسياسية والهيبة الدينية، وأما عن الأمراء فلم يكونوا مهمين بالنسبة إلى سلاطين المماليك، إلا بقدر ما كانوا يدفعون لهم من أموال[2].

من خلال ما سبق يمكن القول إن العلاقات بين أمراء المدينة وسلاطين الجراكسة، كانت قائمة على أساس الوضع الاقتصادى والاستقرار الداخلى، بحيث يمكن القول إنه متى توفر الاستقرار وعم الرخاء الاقتصادى أصبحت المدينة إمارة هادئة، وعندما يتزعزع الوضع الداخلى، نجد أن أشراف المدينة يسارعون إلى الاستنجاد بسلاطين المماليك ضد بعضهم البعض، فالوضع الاقتصادى هو الذى يحكم قوة علاقة المدينة بمصر[3].

إن السلطنة المملوكية استطاعت أن تبقى على نفوذها على الحرمين الشريفين بصفة عامة والمدينة المنورة بصفة خاصة، من خلال اتباع سياسة العزل والتنصيب بين الأشراف، فلا تبقى أحدهم فى الولاية مدة طويلة - إلا فى ظروف نادرة - حتى لا تعطى لهم فرصة لتقوية مركزهم وتثبيت أقدامهم، ووجد رجال السلطان فى عمليات العزل والتنصيب موردًا مهمًا من موارد الكسب، إذ أن الشريف المعزول سرعان ما يبذل أقصى ما فى وسعه بكل الطرق والوسائل العادية وغيرها ليعود إلى الإمارة.

كما اتبع المماليك سياسة الازدواج فى الحكم، فكانت تعهد بالإمارة لاثنين من الأمراء، لتجعل كل فرد رقيبًا على الآخر ولإبقاء النزاع والفتنة بينهم، حتى لا تتحد

---

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٢) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٧.

(٣) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز فى القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٨١.

كلمتهم تحت زعامة واحدة تصبح خطرًا يهدد نفوذ السلطنة فى بلاد الحجاز، وفى بعض الأحيان كانت تعتقل كل من يخرج عليها، غير أنها كانت تعاملهم معاملة طيبة، فقد تحتاج إلى تنصيبهم فى المستقبل[1].

خلاصة القول إنه تحقق لسلاطين الجراكسة نفوذ سياسى قوى على المدينة المنورة، حيث كان هناك شعور واحد عند كل من السلطان المملوكى وأمراء المدينة، أنه لا إمارة لمن لم تعينه السلطنة بالقاهرة، ولا أمير إلا من أسرة الأشراف، سواء أكان من الإخوة أم الأعمام أم غيرهم.

ثانيًا ـ أمراء المدينة المنورة ومراسم تولية الإمارة

تولى إمارة المدينة المنورة خلال عصر سلاطين المماليك الجراكسة عدد من أمراء الأشراف، كانت لهم مواقفهم تجاه مراسم تولية الإمارة[2]، وتردد على مصر مركز السلطنة المملوكية، كثير من أمراء الأشراف سعيًا وراء تولية الإمارة، أو رغبة فى الاستمرار فى ولايتها[3]، وفى كثير من الأوقات كانت سلطة سلاطين الجراكسة، على أمراء المدينة سلطة اسمية؛ حيث كانوا كثيرًا ما يصدرون قرارات التولية دون معرفة بأمورها، وقد تسببت مثل هذه القرارات فى كثير من الحروب والفتن بين الأمراء بها[4]، فمع بداية عصر سلاطين الجراكسة وقع بسببها صراع بين كل من نعير بن منصور بن جماز[5]، وجماز بن هبة[6]، حيث سارع جماز بالسفر إلى السلطان برقوق، الذى أصدر

(١) سليمان عطية، سياسة المماليك فى البحر الأحمر حتى نهاية عصر السلطان برسباى ١٢٥٠-١٤٣٨م، رسالة دكتوراه، إشراف دكتور/ محمد مصطفى زيادة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٣٣١، ٣٣٢.

(٢) انظر نسخة تقليد بإمارة المدينة المنورة ملحق رقم ٤.

(٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٦.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٤٥٨؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٤٨.

(٥) هو نعير بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن الحسين بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧.

(٦) هو جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن

مرسومًا بتعيينه أميرًا على المدينة سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، فلما علم نعير بخبر المرسوم، امتنع عن تسليم الإمارة لجماز[١]، إلا أن هذا الصراع قد انتهى بموت نعير[٢].

لكن الأمر لم ينته عند ذلك ففى سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م اشترك مع جماز بن هبة فى الإمارة، ابن عم أبيه محمد بن عطية بن منصور، حيث استطاع محمد بن عطية استصدار مرسوم من السلطان برقوق بإشراكه فى الإمارة، وأذعن جماز في أول الأمر، ولكنه أخذ يكيد له حتى أحاط به وطرده من إمارة المدينة، فذهب محمد بن عطية إلى السلطان بمصر وشكا له جماز، فأصدر السلطان مرسومًا بعزل جماز بن هبة، وتعيين محمد بن عطية فى سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م، وحتى يمنع السلطان الأمير جمازًا من الاعتراض، أرسل محمدًا مع الركب المصرى، وأخرج جمازًا من المدينة، فكانت الإمارة لمحمد بن عطية[٣]، لكن جمازًا عاد للإمارة بعد بضعة شهور لوفاة الأمير محمد، وأرسل للسلطان يسترضيه ويستصدر منه مرسومًا بتعيينه[٤].

ذكر المقريزى أن الأمير جمازًا بن هبة، تولى إمارة المدينة المنورة ثلاث مرات آخرها سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م، وقتل فى جمادى الآخرة سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م[٥]. وكانت ولايات جماز للإمارة متقطعة، سعى خلالها أمراء آخرون إلى استصدار مرسوم من السلطان المملوكى بانتزاعها منه أو الاشتراك معه، ووقع بينه وبين بعضهم قتال[٦].

قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى. انظر: ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤١٦؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٧؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٨٨.

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٢) عارف أحمد عبد الغنى، تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٨٧.

(٣) ابن الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، ج ١، ص ١٢٤؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٢٤١؛ ابن الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، ج ١، ص ١٣٨.

(٥) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٤٧.

(٦) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٧٣.

وخلال هذه الفترة دخلت المدينة المنورة طورًا جديدًا، ففى سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م فوض السلطان الناصر فرج الأمير الحسن بن عجلان[١] أمير مكة المكرمة سلطنة الحجاز بأسره مكة والمدينة وينبع وخليص[٢] والصفراء[٣] وأعمالهما[٤]، لذلك عندما كثرت الشكوى من جماز نتيجة لما قام به من فرض المكوس والجبايات ومصادرة بعض الأغنياء، قرر الحسن بن عجلان عزله وتولية ثابت بن نعير[٥]، وأرسل إلى السلطان المملوكى لاستصدار مرسوم بذلك، فاستجاب السلطان وأرسل له مرسومًا بتفويضه بتعيين أمير المدينة، وفقًا لصلاحياته التى منحه السلطان إياها، لكن ثابت توفى، فقرر الحسن بن عجلان تعيين شقيقه عجلان بن نعير[٦] أميرًا على المدينة فى آخر ربيع الثانى سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م[٧].

---

(١) هو حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن ابن عبد الكريم بن عيسى بن سليمان بن على بن عبد الكريم بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى المالكى يلقب بدر الدين. انظر: الفاسى، العقد الثمين، ج ٤، ص ٨٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٦٩؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٣٨٥.

(٢) خليص: حصن بين مكة والمدينة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٧. وكما عرف " معجم البلدان " خليص بأنها حصن كذلك فعل " تاج العروس شرح القاموس " فقال: (خليص كزبير حصن بين عسفان وقديد على ثلاث مراحل من مكة شرفها الله تعالى " وتعريف " تاج العروس " وإن يكن غير كاف ولا واف بالمراد فإنه مع ذلك أدق نوعًا ما من تعريف " معجم البلدان ".

(٣) الصفراء: قرية بين المدينة وينبع. انظر: ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٢٢٤.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٧٧؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٧٤.

(٥) هو ثابت بن نعير بن جماز بن منصور بن جماز بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود ابن قاسم بن عبد الله بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى عز الدين أبو قيس. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩٥؛ الضوء اللامع، ج ١، ص ٥٠؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ١٧٣؛ الدليل الشافعى، ج ١، ص ٢٣١.

(٦) هو عجلان بن نعير بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا ابن داود بن قاسم بن عبد الله بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى. انظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٥٣؛ المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٧٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٤٥.

(٧) الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص ٤٣٩.

إلا أن الأمور لم تستمر على حالها، حيث عاد إصدار مرسوم تولية أمير المدينة للسلطان المملوكى دون وساطة من أمير مكة، وذلك أن الأمير سليمان بن هبة بن جماز[1]، كان أميرًا على المدينة ونائبًا للحسن بن عجلان أمير الحجاز سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م[2]، لكنه أخذ يسيء لأهل المدينة ويستولى على أموالهم، وتوالت الشكاوى حتى بلغت السلطان المؤيد شيخ فى مصر، الذى أمر أمير الركب المصرى بالقبض على الأمير سليمان وإحضاره إلى القاهرة[3]. فقام أمير الحاج المصرى بتعيين ابن أخيه غرير بن هيازع[4]، بدلًا منه، وذلك فى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م[5]، فكان ذلك نهاية لنفوذ حسن بن عجلان فى تولية أمراء المدينة، حيث استعادت المدينة المنورة استقلالها عن مكة، وارتبطت بالقاهرة ارتباطًا مباشرًا[6].

ومن الجدير بالذكر أن تولية أمراء الأشراف لإمارة المدينة المنورة، لم يكن مستقرًا على حال، فحينًا تصدر مراسم التولية من السلطان المملوكى مباشرة، وحينًا آخر تكون بمعرفة أمراء مكة نيابة عن السلطان المملوكى، لذلك لم يكن الحال فى المدينة مستقرًا طوال الوقت، حيث لم يستقر الحال لغرير بن هيازع فتم عزله، وتولية عجلان بن نعير بتدخل من أمير مكة الحسن بن عجلان عند السلطان المؤيد المملوكى، لكن الأمر لم يستقر لعجلان بن نعير، حيث استطاع غرير بن هيازع، استصدار مرسوم من السلطان بتنصيبه أميرًا على المدينة، وكان موعد تنفيذ هذا المرسوم قدوم الركب المصرى للحج

(١) هو سليمان بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١٠؛ الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٧٠؛ المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٢٩٧.

(٢) عارف أحمد عبد الغنى، تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٩٥.

(٣) الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص ٤٤٠؛ السخاوى، التحفة اللطيفة ج ٢، ص ١٨٤.

(٤) هو غرير بن هيازع بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن داود الحسين ابن قاسم بن عبد الله بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩٥؛ المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٧٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٤٦٢.

(٥) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٢.

(٦) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٧.

فى ذى الحجة سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، حيث كان أمير الركب المصرى هو من يقوم بمراسم التقليد، فيقرأ المرسوم السلطانى على منبر المسجد النبوى الشريف، ويلبس الخلعة للأمير الجديد[1] واستمر الحال على ذلك ما بين عزل أمير وتولية أمير، بل إن بعضهم أخذ إمارة المدينة اغتصابًا لحين ورود مرسوم التولية، فحدث نتيجة لذلك كثير من الفتن والصراعات.

بل إن بعض أمراء الأشراف فى سبيل استصدار مرسوم بتولى إمارة المدينة المنورة، تعهد بتقديم مبلغ من المال للسلطان المملوكى، فقد حاول خشرم بن دوغان[2] خلال إقامته فى القاهرة استصدار مرسوم من السلطان لتولى الإمارة إلى أن تقلدها سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م، فيذكر المؤرخون أن خشرم تعهد بتقديم خمسة آلاف دينار للسلطان لقاء توليته الإمارة، وبذلك يكون قد اشترى الإمارة، وهذه أول مرة تتحول فيها إمارة المدينة المنورة إلى التزام ووظيفة تعطى مقابل التعهد بدفع المال، وكان هذا الأسلوب غالبًا ما كان يؤذى من تعهد به[3]، وكثيرًا ما كان هؤلاء الأمراء فى تلك الحالة لا يستطيعون الوفاء بما التزموا به تجاه السلطة المملوكية، فقد عجز خشرم نتيجة لوقوع الصراع بينه وبين عجلان بن نعيرعن الوفاء بما التزم به للسلطان، لذلك أرسل السلطان برسباى حملة للقبض عليه، وقد ذكر السخاوى وابن تغرى بردى أن ذلك كان فى ٢٤ من ذى الحجة سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م[4]، وفى بعض الأحيان كان أحد الأشراف يتولى حفظ الأمن واستقرار الأمور فى المدينة لفترة، ثم يرسل إلى السلطان طالبًا إصدار مرسوم سلطانى بتوليته الإمارة، ويستمر كذلك إلى أن يأتى مرسوم السلطان بتوليته هو أو تولية غيره من الأمراء الأشراف.

---

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ١٧٧؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٢) و خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٩١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣٠٤.

(٣) المقريزى، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٢٧؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٢٢، ١٢٣؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣١٩؛ ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣١١.

واتخذ بعض أمراء الأشراف السعى لدى بعض من المقربين عند السلطان المملوكى للتوسط لديه لاستصدار مرسوم لهم بتولى الإمارة، وذلك لأنهم وجدوا أن هذا الطريق فى بعض الأحيان هو الطريق الموصل إلى الإمارة، دون الدخول فى صراعات مع الأمراء الآخرين. سلك هذا الطريق الأمير ضيغم بن خشرم[1]، فهو من وجهة نظره الطريق الأنسب لتولى الإمارة، حيث رحل إلى مصر ووسط الوسطاء إلى السلطان المملوكى، واستطاع بعد سنتين أن يستصدر مرسومًا بعزل زهير بن سليمان[2] وتوليته - ضيغم بن خشرم - مكانه، وكان وصول هذا المرسوم إلى المدينة فى شهر شوال سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م، وتسلم ضيغم الإمارة من الأمير زهير بن سليمان إلا أن الأمير زهير ابن سليمان سلك نفس الطريق أيضًا، حيث وسط بعض حاشية السلطان المؤيدين له فى مصر، حتى يشفعوا له عند السلطان الظاهر خشقدم، فما لبث السلطان أن أصدر مرسومه أواخر محرم سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م بعزل ضيغم بن خشرم، وإعادة الأمير زهير إلى الإمارة[3].

هذا كان حال إمارة المدينة المنورة فى عصر سلاطين المماليك الجراكسة، حيث يتم تولى الإمارة، إما مباشرة من السلطان المملوكى فى القاهرة، أما بتفويض من السلطان المملوكى لأمراء مكة، ففى كثير من الأوقات فوض السلطان المملوكى أمراء مكة سلطنة الحجاز، ومنها إمارة المدينة المنورة، وفى أحيان أخرى كان أحد الأشراف يتولى أمور المدينة، ويرسل إلى القاهرة لطلب مرسوم التولية من السلطان المملوكى.

---

(١) هو ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٥٤؛ المقريزى، السلوك، ج ٢، ص ٩٧٥.

(٢) هو زهير بن سليمان بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله ابن الحسين بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٦..

(٣) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٤، ص ٢؛ التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٨٥.

ثالثًا ـ العلاقات السياسية بين المدينة المنورة ومكة المكرمة

حرصت دولة سلاطين الجراكسة على وضع الحجاز كله تحت قيادة واحدة قوية، حتى لا يتعدد الأمراء فيضطرب الأمن. ولما كانت مكة هى أقوى مدن الحجاز، لذلك فوض سلاطين الجراكسة أمير مكة على سلطنة الحجاز، ويوضح ذلك السمهودى عند حديثه عن الحسن بن عجلان أمير مكة بقوله: "اتفق فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة أن فوض الناصر فرج الحسن بن عجلان الحسنى سلطنة المملكة الحجازية كلها والنظر فى إمرة المدينة"[1]، حتى كان تاريخ المدينة المنورة فى ذلك العصر فى كثير من فتراته مرتبطًا بتاريخ مكة.

فالمدينة المنورة مع بداية حكم سلاطين المماليك كانت إمارة مستقلة عن مكة يحكمها أمراء من آل مهنا الحسينيين[2]، وحرص أمراء المدينة على إقامة علاقات حسنة مع أمراء مكة من آل عجلان، ذلك لأنه أثناء ولاية ثابت بن نعير بن جماز لإمارة المدينة، زار الأمير حسن بن عجلان المدينة، فاستقبله الأمير ثابت وأكرمه، وكان لهذا الاستقبال أثره الكبير فى نفس الأمير حسن، عندما تولى الإشراف على ينبع والمدينة[3]، ويدل ذلك على أن العلاقات بين مكة والمدينة المنورة، لم تكن فى مجملها علاقات خلاف وتنازع وإنما تخللها الكثير من العلاقات الطيبة.

* مكة تفرض نفوذها على المدينة المنورة

كانت الصراعات التى تحدث بين أشراف الأمراء فى المدينة للسيطرة على الإمارة، قد أدت إلى ضعف مركز المدينة السياسى فى مقابل مركز مكة.

ففى بداية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى كان جماز بن هبة، قد نجح فى استعادة إمارة المدينة سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م، وكان السلطان الناصر فرج قد فوض

---

(١) السمهودى، خلاصة الوفاء، ج ١، حوادث سنة ٨١١هـ.

(٢) العينى، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، ص ٤٢٨؛ انظر أيضًا: عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٥٠.

(٣) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤٢٢.

الحسن بن عجلان أمير مكة فى الإشراف على إمارتى المدينة وينبع، لذلك عندما زادت شكاوى أهل المدينة من جماز، قرر حسن بن عجلان عزله، وإعادة ثابت بن نعير إلى الإمارة، ووافقه السلطان الناصر فرج على ذلك لثقته به، إلا أن الأمير ثابت بن نعير توفى، فقرر حسن بن عجلان تعيين شقيقه عجلان بن نعير أميرًا على المدينة فى آخر ربيع الثانى سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م[١].

ويوضح المقريزى أنه فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة أن حسن بن عجلان، استناب عجلان بن نعير عوضًا عن أخيه ثابت بعد موته، فثار أخوهما جماز، فكتب إليه حسن أخرج بسلام وإلا فأنا قاصدك، فأظهر جماز الطاعة، ثم نهب من حاصل الحرم شيئًا كثيرًا[٢]. فأرسل الحسن إلى المدينة عسكرًا، وصلوا إليها بعد خراب البصرة - على حد تعبير النهروالى - وولى عليها عجلان بن نعير سنة إحدى عشرة وثمانمائة[٣].

إلا أن الأمير عجلان بن نعير اشتد على أهل المدينة، فعملوا على الحصول على موافقة أمير الركب المصرى الأمير بيسق[٤]، بأن يوصى أمير الركب الشامى بمساعدتهم فى القبض على عجلان حتى سلم للأمير بيسق، الذى سلمه للأمير حسن بن عجلان الذى شفع له[٥]، وعزل عجلان عن الإمارة[٦].

بتعيين عجلان بن نعير أميرًا للمدينة بتفويض الحسن بن عجلان، صارت المدينة تابعة اسميًا لإمارة مكة، فكان يتم ذكر اسم السلطان المملوكى على المنابر أولًا، ثم الأمير حسن بن عجلان، ثم أمير المدينة عجلان بن نعير، وكذلك الدعاء لهم كل يوم بعد صلاة المغرب على سدة المؤذنين، إلا أن الحسن بن عجلان، لم يكن فى إمكانه التدخل

---

(١) الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص ٤٣٩؛ انظر أيضًا: أحمد السباعى، تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٩٠.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٨٨.

(٣) النهروالى، محمد بن أحمد بن محمد النهروالى ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق د/ على محمد عمر، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ص ٢٠٥.

(٤) بيسق الشيخى: أمير أخور - كلمة أخور فارسية معناها الإسطبل وأضيفت مرتبة أمير أخور ومهمته إدارة الإسطبلات السلطانية والإشراف عليها وكان يعاونه عدد من أصحاب المراتب الأدنى من أمراء الطبلخانة - الظاهرى برقوق نفى إلى بلاد الروم فى الدولة المؤدية وله آثار بمكة والمدينة، وكان محبًا للمال مع البر والصدقة تأمر على الحاج وتوفى سنة ٨٢١هـ. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٢، ٢٣.

(٥) ذلك أن الأمير الحسن بن عجلان أمير مكة كان متزوجًا بـ «موزة» ابنة الأمير عجلان بن نعير.

(٦) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ١٧٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٦، ص ١٠٤.

فى تصرفات أمير المدينة أو مراجعتها، كما أن التعيين فى المناصب العليا الأخرى كان يتم من القاهرة مباشرة[1].

ويمكن أن نلاحظ من خلال تولى الحسن بن عجلان لسلطنة الحجاز، أنه كان بيده تعيين أمير المدينة، وأن المدينة المنورة كانت تابعة لإمارة مكة، وذلك أمر مخالف لما كان عليه الأمر فى بعض الأوقات[2]، حيث كان أمراء مكة يتبعون أمراء المدينة المنورة[3].

إلا أن الأمر لم يستمر على ذلك، ففى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م تولى إمارة المدينة المنورة الأمير غرير بن هيازع، خلفًا للأمير سليمان بن هبة، وكان تعيينه من السلطان المملوكى بالقاهرة مباشرة دون تدخل لأمير مكة نهاية لسلطة أمير مكة الحسن بن عجلان فى تعيين أمراء المدينة، وبذلك استعادت المدينة استقلالها عن مكة، وارتبطت بالقاهرة مباشرة[4].

من خلال تتبع أمراء المدينة فى عهد أمير مكة الحسن بن عجلان ومن جاء بعده، نجد أن سلطتهم على المدينة لم تكن سلطة حقيقية، بل إن العديد من الأمراء كانوا يستولون عليها بالقوة، ولم يهب أمير الحجاز لنجدة أمراء المدينة الذين عينوا من قبله، وذلك يبين إلى أى مدى كانت علاقة أمراء مكة بالمدينة المنورة[5].

واستمرت علاقات أمراء المدينة بأمراء مكة غير مستقرة فى كثير من الأوقات، وإن تخللها الود فى بعض الفترات، ذلك لأنه عندما تولى ضيغم بن خشرم الإمارة سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، سارع بتوطيد علاقاته بكل من السلطان فى مصر وأمير مكة، غير أنه لم يحافظ على العلاقات الحسنة مع أمير مكة محمد بن بركات، الذى أصبح مقربًا من السلطان قايتباى، فعندما كان محمد بن بركات يزور المدينة كان ضيغم يتحاشى مقابلته، حيث كان يسافر خارج المدينة ويترك نائبه لمقابلة أمير مكة، وكان لذلك أثره فى نفس محمد بن بركات[6].

---

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٢) حيث كانت مكة المكرمة فى العصر الأموى تتبع أمراء المدينة المنورة.

(٣) عارف أحمد عبد الغنى، تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٩٤.

(٤) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٥) عارف أحمد عبد الغنى، تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٢٩٤.

(٦) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٥٢.

وعندما وقعت حادثة مقتل القاضى الزكوى بن صالح فى المدينة المنورة سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م[١]، طلب السلطان قايتباى من أمير مكة محمد بن بركات التحقيق فيها[٢]، الذى جاء فى السنة التالية للحادثة بجيش، ولكنه عاد لمكة وترك فى المدينة الجيش فيه السيد مجول بن صخرة الحسنى الينبعى والشريف قسيطل[٣].

واقترح على السلطان عزل الأمير ضيغم وتولية قسيطل بن زهير بن سليمان، فجاءت مراسم السلطان بذلك مع ركب الحاج فى سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م[٤]. ومن ذلك يتضح أنه عندما تكون العلاقات حسنة بين أمراء مكة وأمراء المدينة، يتحقق نوعًا من الاستقرار السياسى فى المدينة، أما عندما تحدث الخلافات، والتى يكون من نتيجتها عدم الاستقرار والرغبة من جانب أمير مكة فى إحداث تغيير فى المدينة بعزل الأمير الذى يضايقه وتعيين آخر مكانه.

كما نلاحظ أن أمير الحجاز وهو أمير مكة محمد بن بركات قد عادت إليه سلطاته مرة ثانية على المدينة المنورة منذ عصر السلطان قايتباى، بل قبل السلطان قايتباى منذ سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م، فأصبح أمير الحرمين والحجاز، ويؤكد ذلك أن أمير مكة أصبح المسئول عن تعيين أمير المدينة، ثم يأتى بعد ذلك المرسوم من السلطان المملوكى فى مصر بالتعيين الرسمى[٥].

* زيادة نفوذ أمراء مكة على المدينة المنورة

بعد وفاة أمير المدينة زبيرى بن قيس فى رمضان سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، قام

---

(١) كان سبب هذه الحادثة هو أخذ دار لأشراف العباسيين، فجاء أمير الحج المصرى وحاول التحقيق فى الحادثة، ولكن أمير المدينة ضيغم بن خشرم هرب من أمير الركب المصرى فكان أن طلب السلطان من الأمير محمد بن بركات التحقيق.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٥٢؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٣) السخاوى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٨.

(٤) السخاوى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٢.

(٥) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣١٠.

أمير مكة والحجاز محمد بن بركات، بتعيين ابنه حسن بن زبيرى إلى أن جاء المرسوم السلطانى[1].

فكانت نتيجة ذلك أن تقلصت سلطات الأمير حسن بن زبيرى، حتى إن أمير مكة ذكر اسمه فى الخطبة بعد السلطان المملوكى، وقبل أمير المدينة[2]، فمع أن الحسن ابن زبيرى هو المتصرف الحقيقى فى شئون المدينة، لكنه يخضع لإشراف أمير مكة، فلا يستطيع أن يعين أحدًا فى المناصب المهمة إلا بعد موافقة أمير مكة أو إجازته، فصار بذلك أمير المدينة نائبًا لأمير مكة يذكر اسمه فى الخطب بعد السلطان وأمير مكة، كما تقلص دخله وصارت حصته محدودة من الجبايات وصندوق الصدقة، بينما كان هو المتصرف الوحيد بدخل الإمارة[3]، مما دفعه إلى القيام بأمور شنيعة فى المدينة منها سرقة الحرم النبوى الشريف، وذكر أن الذى دفعه إلى ذلك هو الأمير محمد بن بركات بسبب تقلص سلطاته وفقره[4].

وبعد حادثة حسن بن زبيرى هذه وهروبه من المدينة، اختار أهلها أمير مكة محمد ابن بركات أميرًا للمدينة، ولكن السلطان المملوكى أرسل للأمير محمد بن بركات، لاختيار أمير آخر للمدينة[5] إلا أنه بعد وفاة محمد بن بركات، استطاع الأمير فارس ابن شامان أن يحكم المدينة حكمًا ذاتيًا دون تدخل من أمير مكة[6]، فقد انشغلت مكة بمشكلاتها الداخلية من حروب بين أولاد محمد بن بركات من أجل السيطرة على ولاية الحجاز[7].

وفى زمن السلطان الغورى فى سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م، فوض شريف مكة وأعطاه عدة امتيازات، منها أن يتولى أمر البلاد الحجازية حتى ينبع[8]، فقام الشريف بركات بن محمد بتعيين الأمير ثابت بن ضيغم بن خشرم أميرًا على المدينة نائبًا عنه.

---

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٨.
(٢) السخاوى، المصدر نفسه ر، ج ١، ص ٤٧٩.
(٣) السمهودى، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج ٢، ص ٥٩١.
(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٧٩؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٥٩٠، ٥٩١.
(٥) السخاوى، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٩٢.
(٦) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣٢٨.
(٧) أحمد السباعى، تاريخ مكة، ج ١، ص ٣٠٩.
(٨) عبد العظيم حامد خطاب، قانصوه الغورى، ص ٢٢٣.

كما أنه فى سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م وصل مرسوم من السلطان المملوكى للشريف بركات بن محمد، يطلب فيه من الشريف إرسال اسم من يراه أهلًا لإمارة المدينة بعد معاينة الواقع فى المدينة، وأخذ رأى القضاة، وفى رجب سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م أرسل الشـريف بـركات ولـده السـيد أبا نـمى والشـريف عرارا وقاضى القضاة الشافعى ابن ظهيرة للمدينة، فاجتمعوا واتفق رأيهم على إمارة ثابت بن ضيغم، فولوه وعادوا بعدها لمكة(١).

وفى سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م وبتفويض من السلطان الغورى، أصبح شريف مكة صاحب الأمر والنهى فى البلاد الحجازية(٢).

وظلت المدينة المنورة تابعة لمكة حتى نهاية العصر المملوكى سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، حيث أرسل أمير مكة إلى السلطان العثمانى سليم الأول، مفاتيح الحرمين الشريفين فى دلالة على الولاء للعثمانيين(٣).

من خلال ما تقدم يتبين كيف كان أمراء مكة والمدينة يتنازعون أمر ولاية المدينة، مما ساعد فى الكثير من الأوقات على عدم استقرار الأمور فى بلاد الحجاز، وقد سهل ذلك لسلاطين المماليك نشر نفوذهم فى تلك البلاد، ومع ذلك يمكن القول إنه رغم خلافات أشراف المدينة المنورة - لكن بالمقارنة بمشكلات مكة وثوراتها - تظهر المدينة بصورة هادئة ومطمئنة أكثر من مكة.

---

(١) عارف أحمد عبد الغنى، تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص ٣٢٠.

(٢) عبد العظيم حامد خطاب، قانصوه الغورى، ص ٢٢٣.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٩٠؛ انظر أيضًا: عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٥.

• الفصل الثانى

الأحوال الاقتصادية فى المدينة المنورة

أولًا - النشاط الاقتصادى فى المدينة المنورة

ثانيًا - السياسة الاقتصادية للمماليك الجراكسة

ثالثًا - أثر الأوقاف والصدقات على الحياة الاقتصادية فى المدينة المنورة

رابعًا - الأزمات الاقتصادية وأثرها على المدينة المنورة

أولًا ـ النشاط الاقتصادى فى المدينة المنورة

كان لطبيعة أرض المدينة المنورة أثره الكبير فى تمتعها بتربة زراعية جيدة، فهى تقع داخل واحة خصبة ومياهها غزيرة بين حرتين[1]، حرة واقم فى الشرق وحرة الوبرة فى الغرب، وهناك أيضًا مياه الأمطار، كل ذلك جعل من أرض المدينة جنة خضراء؛ حيث يحيط بأكثرها بساتين ونخيل، كما أن القرى المحيطة بها تتميز بكثرة مزارعها لاعتمادها على مياه الآبار[2].

(١) الـزراعـــــة

أهم ما يميز المدينة المنورة الزراعة، حيث الأراضى فيها قسمان الأول: منها الرمال البيضاء الخالية من الأملاح، تغطيه أشجار النخيل والعنب وأغلبه فى شرق المدينة، وأما القسم الآخر: فهو ذو تربة سوداء يزرع فيه القمح والشعير وغيرها[3]، وحيث إن معظم أهل المدينة كانوا يعملون فى الزراعة، فمنهم من كان يملك الأراضى الواسعة يزرعها لحسابه أو يزارع عليها غيره أو يؤجرها، وغيرهم لم يكن له أرض يملكها فيزرع

(١) الحرة كما فى معجم ياقوت أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار وهذه الحرات مقذوفات بركانية وقد عد ياقوت فى معجمه نحو تسع وعشرين حرة أشهرها حرة واقم، وهى التى تنسب إليها وقعة الحرة.

(٢) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٨٠.

(٣) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، إشراف د/ محمد صبحى عبد الحكيم، د. ت.، ص ١٣٧.

فى أرض غيره مزارعة أو كراء[1]، وزراعتهم تعتمد على مياه العيون والآبار والأمطار، حيث يمثل المطر المصدر الرئيسى لمياه الرى[2].

* مصـــادر المـــياه وتنوعـها

تميزت المدينة المنورة بتعدد مصادر المياه بها، وقد وصفها ابن حوقل بقوله: "وهى أقل من نصف مكة، وهى سبخة الأرض، وبها نخيل كثيرة، ومياه نخيلها وزرعها من الآبار يسقون بها... وبقربها مزارع فيها ضياع لأهل المدينة..."[3].

وعلى ذلك فمياه المدينة أحسن حالًا من مياه مكة، وذلك لكثرة الآبار والعيون بها، وقد حظيت تلك الآبار والعيون على مـر العصور بالعناية على يد الخلفاء والسلاطين وغيرهم، وفى العصر المملوكى ازدادت العناية بتوفير مصادر المياه فى المدينة المنورة[4].

تعددت آبار المدينة المنورة فيذكر ابن حجر فى " تحفة الزوار إلى قبر النبى المختار": "أن الآبار بطيبة نحو عشرين بيرًا "[5].

المشهور من هذه الآبار سبعة، يذكرها أبو اليمن بن الزين المراغى[6] بقوله:

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٩٤.

(٢) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٤٦؛ انظر أيضًا: عمر الفاروق سيد رجب، الحجاز، أرضه وسكانه، دراسة أيكولوجية، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٧٦.

(٣) ابن حوقل، محمد بن على بن حوقل البغدادى (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، صورة الأرض، القسم الأول، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٦٧م، ص ٢٨.

(٤) آمنة حسين محمد على جلال، طرق الحج ومرافقه فى الحجاز فى العصر المملوكى(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٨-١٥١٧م)، رسالة دكتوراه فى التاريخ الإسلامى، إشراف أ.د/ أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣٣٨.

(٥) النابلسى، عبد الغنى إسماعيل النابلسى المتوفى ١١٤٣هـ الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد د/ أحمد عبد المجيد هريدى، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ٣٦٤.

(٦) هو محمد بن أبى بكر بن الحسين بن عمر أبو اليمن المراغى (ت ٨١٩هـ) تولى الخطابة والإمامة والقضاء فى المدينة وهو أحد أربعة إخوة ولدوا بالمدينة واسم كل منهم محمد بن أبى بكر، ويعرف كل منهم بابن المراغى ترجم له ولإخوته السخاوى. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٦١ - ١٦٧.

إذا رمت آبار النبى بطيبة فعندتها سبع مقالًا بلا وهن

آريس وغرس "رومة" وبضاعة كذا بصة قل بئر حاء مع العهن[1]

وكانت لا يزال بعضها موجودًا خلال عصر سلاطين المماليك الجراكسة فبئر آريس[2] يذكرها ابن النجار بقوله:"وهذه البئر مقابلة مسجد قباء وعندها مزارع ويستقى منها وماؤها عذب "[3] لكنها تهدمت وبنى بأعلاها مسكن لمن يقوم على الحديقة ويخدم مسجد قباء[4].

لكن العياشى يذكرها فى رحلته إلى المدينة المنورة[5]، وأن ماءها غزير وقد جعل لمائها نفقًا حتى يتصل ماؤها بالعين الزرقاء[6] مما يدل على أن هذه البئر قد تم إعادة تجديدها.

---

(١) الحسينى، محمد كبريت بن عبد الله الحسينى (١٠١٢-١٠٧٠هـ)، الجواهر الثمينة فى محاسن المدينة، الجزء الأول، تحقيق د/ عائض الردادى، الطبعة الأولى، صفر ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م، ص ٢٧٠؛ النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٤.

(٢) الأريس فى لغة أهل الشام الفلاح وهو الأكار وجمعه آريسون وآرارسة وآرارس وهما فى الأصل جمعا آريس كسكيت مشددة الراء. انظر: الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ٢٦.
آريس: تسمى أيضًا بئر الخاتم لسقوط خاتم الرسول ﷺ فيها وتسمى أيضًا بئر النبى، وقد تغلب اسم بئر الخاتم على الأسماء الأخرى. انظر: على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، د. ت.، هامش ص ١٧٢.

(٣) ابن النجار، الحافظ محمد بن محمود بن النجار ٥٧٣-٦٤٧هـ الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة، تقديم وتحقيق وتعليق/ محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، من تراث الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٠٣.

(٤) الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ٢٧.

(٥) العياشى، أبو سالم عبد الله بن أبى بكر العياشى يعرف بعفيف الدين ولد سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م، وقد قام العياشى بثلاث رحلات إلى المشرق سنوات ١٠٥٩هـ ١٠٦٤هـ ١٠٧٢هـ ورحلته الثالثة وهى المقصودة عرفت باسم " ماء الموائد "؛ حيث دخل العياشى المدينة يوم الخميس الثانى من محرم سنة ١٠٧٣هـ ومكث بها سبعة أشهر ونصف. انظر: محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة أبى سالم العياشى، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الحادى والعشرون، ربيع الثانى- جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ/ مايو - يوليه ٢٠٠٧م.

(٦) محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة أبى سالم العياشى، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الحادى والعشرون، ربيع الثانى - جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ/ مايو - يولية ٢٠٠٧م، ص ١٢.

أما بئر غرس[1] فهى تقع بقباء شرق مسجدها، بعد نصف ميل جهة الشمال[2]، وكانت قد خربت فاشتراها الخواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكى شهاب الدين أحمد القوانى[3] وأحاط بها حديقة، وجعل لها درجًا ينزل إليها من داخل الحديقة وخارجها وأنشأ بجانبها مسجدًا وأوقفها سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م[4].

بئر رومة تقع فى عرضة العقيق الكبرى بالمدينة المنورة[5]، ويذكر الحسينى أن حول بئر رومة آبار طيبة الماء عجيبة الوضع والبناء[6].

بئر بضاعة تقع غربى بئر حاء إلى جهة الشمال[7]، وفى العصر المملوكى صارت لشيخ الخدام شاهين الجمالى[8]، الذى اشتراها واشترى حديقتين إحداهما شمال البئر، والأخرى فى جنوبها وجعلهما واحدة[9]، وكانت خلال القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى داخل منطقة ينتشر بها مزارع وحقول لأهل المدينة[10].

---

(١) بئر غرس بالغين المعجمة المضمومة والراء الساكنة والسين المهملة وضبطه بعضهم بالتحريك والفتحات كشجر ويقال الأغرس والصواب فتح الغين المعجمة وسكون الراء. وقد أوصى الرسول ﷺ فقال: "إذا أنا مت فاغسلونى بسبع قرب من بيرى بير غرس". انظر: النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٤ وذكر ابن النجار: "وهذه البئر بينها وبين مسجد قباء نحو نصف ميل وهى فى وسط الشجر وقد خربها السيل وطمها وفيها ماء أخضر إلا أنه عذب طيب وريحه الغالب عليه الأجون وذرعتها فكان طولها سبعة أذرع شافة منها ذراعان ماء وعرضها عشرة أذرع". انظر: ابن النجار، الدرة الثمينة، ص ١٠٦.

(٢) النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٤.

(٣) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٣٤٢. واختلفت المصادر والمراجع فى لقب الخواجة حسين بن الجواد المحسن الخواجكى شهاب الدين أحمد فقد جاء لقبه عند النابلسى فى رحلته (الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٥) (العاوان) أما على حافظ فى (فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ١٧٤) فكان لقبه (القازانى) وذكره السمهودى فى (خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٤٠) وأحمد ياسين الخيارى فى (تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ٢٥٧) بلقب (القاوانى)..

(٤) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٤٠، ١٤١؛ النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٥؛ الحسينى، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٢٧٣؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ٢٥٧؛ آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٣٤٢؛ على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ١٧٤.

(٥) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٣٤١.

(٦) الحسينى، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٢٧٥.

(٧) النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٣؛ انظر أيضًا: إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٢٩.

(٨) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٦.

(٩) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٢٩؛ انظر أيضًا: على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ١٦٧.

(١٠) - الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ٣١.

بئر بصة[1] تقع قريبة من البقيع على طريق قباء[2] فى حديقة كبيرة والحديقة والبئر وقف على الفقراء الزائرين وقفها شيخ الخدام عزيز الدولة ريحان البلاذى الشهابى[3].

بئر حاء[4] تقع شمالى المدينة بعد سورها شرقى بئر بضاعة[5]، وفى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى آلت إلى نساء من النويريين من مكة - نسبة إلى أسرة النويرى - وتم وقفها على الفقراء المساكين، فأصبحت تعرف ببئر النويرية، كانت البئر مفتوحة للناس إلى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى[6].

بئر العهن[7] قال المطرى: "بئر العهن معروفة بالعوالى مليحة ومنقورة

---

(١) بئر بصة بالباء الموحدة وتخفيف الصاد المهملة وقال المجد بتشديدها وهى قريبة من البقيع على طريق قباء بين نخل وقد هدمها السيل وفيها ماء أخضر وقد عمرت بعد ذلك وكان بالقرب منها بئر أصغر منها ويحيط بها حديقة كبيرة وقد بنى قاضى المدينة زكى الدين بن أبى الفتح بن صالح - الزكوى بن صالح - محل هذا الأطم منزلاً حسنًا وجعل للبئر الصغرى درجًا ينزل إليها منه وعمر البئر الكبرى، وكان طولها أحد عشر ذراعًا منها ذراعان ماء وعرضها تسعة عشر ذراعًا وهى مبنية بالحجارة. ووقع الاختلاف فى أيها هى بئر بصة هل هى البئر الكبرى أم هى الصغرى فعرض البئر الصغرى ستة أذرع وهى التى تلى أطم مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى وقال ابن زبالة فى الأطم المذكور " أنه الذى يقال لبئره البصة " كما قال المؤرخ العباسى أن البئر الصغرى والكبرى فى حديقة كبيرة محوطة وأن مشايخ المدينة صححوا أن بئر البصة هى الكبرى القبلية. انظر: النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٥؛ الحسينى، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٢٧٧؛ السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٢٧؛ انظر أيضًا: آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٣٣٨، ٣٣٩؛ على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ١٧١.

(٢) النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٥؛ الحسينى، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٢٧٧.

(٣) ذكره السمهودى باسم: عزيز الدولة ريحان البديرى الشهابى شيخ الخدام. انظر: السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٢٧.

(٤) وبئر حاء بفتح الباء الموحدة وكسرها وبفتح الراء وضمها وبالمد فيهما وبفتحهما والقصر من البراح وهى الأرض المنكشفة وقيل جاء على وزن حرف الهجاء فى المدينة مستقبلة المسجد، فالاسم مركب فقرب الراء بحسب العامل وأنكر بعضهم إعراب الراء وقال هى مفتوحة على كل حال واختلف فى حا هو رجل أو امرأة أو مكان أضيف إليه البير وهى قريبة من سور المدينة وماؤها عذب. انظر: النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٦٥.

(٥) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٢٩.

(٦) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ١٣٣؛ الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ٣٨؛ انظر أيضًا: على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ١٦٩.

(٧) اختلف فى السابعة من الآبار فقيل هى العهن وهو المشهور عند أهل المدينة، وقيل بئر السقيا، وقيل بئر جمل ولا تعرف وجهتها فضلاً عن عينها. وعن بئر العهن يذكر السمهودى أنها تسمى أيضًا بئر اليسيرة وأن

فى الجبل، وتقع فى جهات ابن الزمن متولى عمارة المسجد النبوى فى عصر السلطان قايتباى"[1].

وهناك آبار علي وفى منطقتها توجد آبار كثيرة عذبة تسقى بها النخيل والخضر الكثيرة[2]. كما تم حفر آبار أخرى نتيجة لانتشار التوسع الزراعى فى ضواحى المدينة المختلفة، خاصة منطقة وادى العقيق[3]، حيث تستخدم فى سقى أراضى أهل المدينة ومواشيهم.

أما العيون التى استخدمها أهل المدينة للشرب والزراعة، وتمثل أحد الموارد المائية فمنها عين الأزرق أشهر عيون المدينة' أجراها مروان بن الحكم عامل معاوية بن أبى سفيان على المدينة[4]، فكانت فاتحة لعصر جديد فى حياتهم، حيث نقلتهم من الاستقاء من الآبار إلى الاستقاء من المناهل الفياضة دون تكلفة[5]، وفى عصر سلاطين الجراكسة أجراها السلطان قايتباى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م على يد ابن الزمن[6]، واستمرت تلك العين طوال العصور التالية.

كذلك هناك عيون وادى حمزة التى تبلغ قرابة الأربعين عينًا أو يزيد، تقع شرقى المدينة وتسير نحو الغرب نحو وادى حمزة[7]. بالإضافة إلى غيرها مثل عين السلطان وعين الشهداء.

النبى ﷺ نزل عليها وكان اسمها عسرة فسماها اليسيرة وأنه توضأ منها وبصق فيها وأنها فى منازل بنى أمية من الأنصار. انظر: الحسينى، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٢٨١.

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٦.

(٢) عبد الكريم كريم، بلاد الحجاز فى المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر للهجرة، مجلة التاريخ العربى، العدد الخامس، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، الرباط، المملكة المغربية، ص ١٠٩.

(٣) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٨.

(٤) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٣٠.

(٥) محمد محمد حسن بحرية شراب، تاريخ المدينة المنورة فى العصر الأموى، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، إشراف د/ على حسنى الخربوطلى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٣٣٨.

(٦) دحلان، أحمد زينى دحلان ت ١٢٠٤هـ خلاصة الكلام فى أخبار أمراء البيت الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ ص ٧١.

(٧) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٣٣.

إضافة إلى الأمطار التى كانت مصدرًا من مصادر المياه للمدينة المنورة، التى تعتمد عليها فى زراعتها أو تربية الحيوان، حيث كانت تتجمع فى الأودية المختلفة، التى من أهمها وادى قناة ووادى العقيق ووادى مزينيب ووادى مهزوز ووادى القرى ثم بطحان وغيرها(١).

* التربة والأراضى الزراعية

اشتهرت المدينة المنورة بأنها واحة زراعية تتوافر فيها التربة البركانية الخصبة والمياه، مما ساعد على توافر الأراضى الزراعية، فانتشرت الزراعة فى المناطق المحيطة بها فى بطون الأودية والقرى(٢) والواحات التابعة لها(٣)، وتعتبر المنطقة الجنوبية من أجود أراضى المدينة؛ حيث يكثر بها السباخ، وإذا حرثت جيدًا وخصبت فإن إنتاجها ذو جودة عالية، وكذلك المنطقة الشمالية الغربية ووادى العقيق ومنطقة العيون التى تعتبر من أكثر مناطق المدينة موردًا ونخيلًا، وهناك المناطق الشرقية التى تجود أراضيها إذا حرثت وخصبت ووفرت لها المياه(٤).

وأبرز الأراضى الزراعية فى المدينة العوالى التى وصفها الفيروزآبادى بقوله: "أنها ضيعة عامرة بينها وبين المدينة ثلاثة أميال، وذلك أدناها وقيل أبعدها"(٥)، وحدد كل من الفيروزآبادى والسمهودى العوالى بأنه ما كان جنوب المدينة باتجاه مكة ويقابل العوالى فى الجهة الأخرى من المدينة السافلة، وتقع على طريق الشام؛ حيث يوجد بها كثير من الحدائق(٦)، ويحدد الفيروزآبادى أبرز محاصيل العوالى بقوله: "إن جليل شجرها النخيل وتحف بها محاصيل زراعية أخرى كالقرع واللفت والجزر"، وهناك كثير من المزارع

(١) عبد الله بن صالح الرقيبة، الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة، ص ١٢٢.

(٢) محمد محمود خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز فى عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١٧٨.

(٣) محمد خلف العناقرة، المرجع نفسه، ص ١٧٨.

(٤) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٧.

(٥) الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ٢٨٦.

(٦) الفيروزآبادى، المصدر نفسه، ص ٢٨٦؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٤، ص ٢٦١.

المحيطة بالمدينة والتى يطلق عليها حدائق، وتشتمل كل حديقة أو عدة حدائق على بئر خاصة، بل إن بعضها يسمى باسم البئر الواقع بها، كحديقة بئر آريس التى كانت فى زمن الفيروزآبادى لأشراف بنى الحسين وحديقة بئر البصة[1]، وحديقة بئر زمزم بالحرة المعروفة ببئر فاطمة نسبة إلى فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه[2].

ويذكر القيسى أن المدينة عندما زارها كانت محاطة ببساتين نخل أهمها ما كان فى الجنوب والشرق أى فى قباء والعوالى، فكان النخيل على كثرته يشكل حدائق متصلة على الطريق بين المدينة وقباء[3]، حيث كان لسقوط الأمطار فى بعض الفصول، ووجود ينابيع المياه وسهولة استخراج الماء من الآبار، ووجود أراضى خصبة صالحة للزراعة، مما أدى إلى إنتاج أنواع مختلفة من المزروعات، وتربية أعداد مهمة من الماشية[4]. وقد أتاحت تلك العوامل من تربة جيدة، ووفرة للعيون والآبار على ازدهار الزراعة بها.

* المحاصيل والمزروعات المختلفة

تتنوع المحاصيل الزراعية فى المدينة المنورة نتيجة لعمل أهلها بالزراعة، ومنها القمح الذى لم تكن زراعته واسعة بها؛ لأنه من الزراعات التى تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه[5]، بالإضافة إلى الذرة التى تعتبر الغذاء الرئيسى لأهل المدينة، نظرًا لقلة إنتاج

---

(١) المراغى، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق/ محمد عبد الجواد الأصمعى، الطبعة الثانية، المكتبة العلمية، المدينة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٤٤، ٢٨٦؛ الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ٢٥؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٣، ص ٩٤٨.

(٢) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٤٠.

(٣) ليلى سعيد سويلم الجهنى، رحلة القيسى إلى المدينة المنورة المسماة " أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب "، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد السادس، رجب - رمضان ١٤٢٤هـ/ سبتمبر - نوفمبر ٢٠٠٣م، ص ١٣١.

(٤) عبد الكريم كريم، بلاد الحجاز فى المخطوطات المغربية، ص ١٠٨.

(٥) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٨٠.

القمح، وتزرع الذرة فى الصفراء[1] وخيبر[2]. أما الشعير الذى يعتمد عليه أهل المدينة كغذاء رئيسى مع الذرة؛ حيث كان يسد جانبًا كبيرًا من احتياجاتهم[3]، فزراعتهما تحتاج إلى كميات قليلة من المياه، فضلًا عن أنهما يزرعان فى العادة فى ضواحى المدينة وينبع[4].

أما النخيل فتعد المدينة المنورة من أهم مناطق زراعته فى بلاد الحجاز، يأتى بعدها الطائف ثم جدة ومكة[5]، وقد انتشرت زراعته فى المناطق القريبة من المدينة مثل خيبر، التى انتشرت بها زراعته، وكانت هناك مزارع للنخيل فى وادى العقيق[6]، كما تكثر زراعته بالصفراء لكثرة العيون فى تلك المنطقة التى تصب فى ينبع[7]، وكانوا يزرعون منه أنواعًا كثيرة بلغت نحو ١٧٢ نوعًا، منها نوع الحرة وتبلغ ٧٢ نوعًا يأكل منه أهل المدينة ويهادون، ومنها أنواع تسمى لون وتقارب المائة، وهذه يأكل منها عرب الجبال لرخص ثمنها[8]. والتمر باعتباره محصولًا مهمًا يدخل فى تجارة المدينة الداخلية وخصوصًا عند وفود الحجاج إليها، وكان يزرع معه عادة بعض الخضراوات والبقوليات تحت أشجاره لسد حاجاتهم وبيع الفائض منه فى الأسواق[9].

---

(١) الصفراء: عرض كبير من أعراض المدينة فيه أودية وقرى يقع بين ينبع والمدينة وماؤه يجرى على ينبع. انظر: حمد الجاسر، بلاد ينبع، لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص ١٩٥؛ صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٦.

(٢) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٦.

(٣) آيوب صبرى باشا، مرآة جزيرة العرب، الجزء الأول، ترجمة د/ أحمد فؤاد متولى، د/ الصفصافى أحمد المرسى، دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٩٧؛ صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٦.

(٤) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٨٠.

(٥) عمر الفاروق، الحجاز، أرضه وسكانه، ص ٢٩١؛ صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٧.

(٦) الفرع: قرية من نواحى المدينة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة وبها نخيل ومياه كثيرة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥٢.

(٧) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٩٥.

(٨) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٠، ٤٤١؛ على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨٠.

(٩) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ٩١.

وهناك أيضًا العنب فزراعته تجود فى المدينة، حيث يزرع على مساحات واسعة[1]، ومنه أنواع كثيرة مثل المدنى وهو على أنواع البرنى ويقال له المراودى، وهو أجودها لرقته وحلاوته، ومنه البيض وهو دونه فى الجودة، ومنه السكر وهو متوسط، ومنها الحجازى وهو على أنواع، منه البياضى ويختلف فى الرقة والغلظة، ومنه السوادى وهو أحسن منه، ومنه الخمرى وهو أجوده' وكانت أحسن أنواع العنب تزرع فى حدائق قباء ثم العالية ثم جفاف[2].

بالإضافة إلى هذه المحاصيل كانت توجد محاصيل أخرى، مثل القت (البرسيم)، ويستخدم كعلف للحيوانات[3]، وكذلك الباذنجان والسلجم (اللفت) والجزر والكرنب[4] والرمان والبرتقال والخوخ والموز والبطيخ والليمون الحلو والمالح والأضالى[5] والورد والياسمين والنعناع والفل والطماطم والملوخية والبامية والقرع الكوسى والأسنانى الكبير الحلو والخس وجميع أنواع الخضار[6]. وقد فاضت هذه المحاصيل فى بعض الأوقات عن حاجتهم، فقاموا ببيعها إلى المدن المجاورة مثل مكة والطائف، وفى أحيان أخرى لم تكن تكفى حاجة أهل المدينة[7].

وقد اعتمد أهل المدينة المنورة فى تلك الفترة على مجموعة من الأدوات الزراعية، التى ساعدت على ازدهار الزراعة منها الفأس أو الكرزن ومنها ما يشبه المطرقة، ويستخدم فى قطع الأشجار، ومنها العريض الذى يستعمل فى تقليب الأرض للزراعة[8].

---

(١) محمد بحرية شراب، تاريخ المدينة المنورة فى العصر الأموى، ص ٢٩٩.

(٢) الحسينى، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٤٠٤، ٤٠٥.

(٣) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٨٠.

(٤) ابن جبير، أبى الحسين محمد بن أحمد بن جبير ٥٤٠- ٦١٤هـ/ ١١٤٥-١٢١٧م، رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٩٧؛ انظر أيضًا: صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٧.

(٥) نسبة إلى أضاليا ببلاد الأناضول.

(٦) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٧.

(٧) محمد بحرية شراب، تاريخ المدينة المنورة فى العصر الأموى، ص ٣١٥ - ٣١٧.

(٨) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على ت ٧١١هـ/ ١٣١١م، لسان العرب، الجزء الثالث، إعداد/ يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.، ص ٣٥٨.

وهناك المحراث وهو عبارة عن آلة من الحديد أو الخشب تجرها الجمال أو الأبقار أو الحمير، ويستخدم فى شق الأرض لتصبح صالحة للزراعة[1].

أما الدلو أو السانية فيستخدم فى استخراج المياه من الآبار، وتتكون السانية من مجموعة من الأوعية مربوطة بالحبال تنزل إلى البئر وتسحب مرة أخرى بعد امتلائها، تستخدم فى رى البساتين والمزارع[2]. ومنها آلة الدرس وتستخدم بعد نضوج المحصول فى درس الحبوب؛ حيث تجر الحيوانات لوحًا خشبيًا يوجد بأسفله قطع الحديد كالسكاكين، لفصل الحب عن القش وتنعيم القش، ويذرى بعد ذلك بمذراة خشبية، لفصل الحب عن التبن ويجمع كل منها على حدة[3].

كما وجد فى المدينة ثروة حيوانية، لعلها تمثلت فى الإبل فكان لأهل المدينة ثروة منها، يتم تربيتها[4] على ما ينبت من الأشجار والشجيرات الرعوية، واستخدمها أهل المدينة فى التنقل، وفى نقل المياه من الآبار لرى الأراضى الزراعية، وقد ذكر السمهودى أنه كان يُستخدم أربعون بختيًا[5] لرى مزرعة واحدة[6].

كما كانت الخيل تربى فى بادية بلاد الحجاز، وتباع فى الأسواق، ومنها أسواق المدينة[7]، فذكر القلقشندى عن خيل الحجاز: "وبه من الخيل ما يفوق الوصف حسنه، ويعجز البرق إدراكه"[8]، وقد استخدم فى السفر الطويل والحرب[9].

أيضًا من الحيوانات التى حرص أهل المدينة على تربيتها الحمام والدجاج والأبقار،

---

(1) فالح حسين حسين، الحياة الزراعية فى بلاد الشام فى العصر الأموى، مطبعة دار الشعب، عمان، ١٩٧٨م، ص ٧٨.

(2) الفيزورآبادى، القاموس المحيط، الجزء الأول، المؤسسة العربية للطباعة، بيروت، د. ت، ص ١٠٩.

(3) جيل حرب محمود حسين، الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى، الطبعة الأولى، دار تهامة، جدة، السعودية، ١٩٨٥م، ص ١٢٠؛ محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٨٧.

(4) جيل حرب محمود حسين، المرجع نفسه، ص ١٢٤؛ محمد خلف العناقرة، المرجع نفسه، ص ١٨٧.

(5) البخت: كلمة أعجمية تعنى الإبل الخراسانية. ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٩.

(6) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٣، ص ١٠٥١.

(7) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٥٤.

(8) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٥٤.

(9) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٨٩.

وعلى العموم لم تكن المدينة المنورة بلاد رعوية فى الأساس، ولذا اقتصرت تربية الكثير من الحيوانات على المناطق المحيطة بها[1]، وقد تبع توافر هذه الثروة الحيوانية تنوع المنتجات الحيوانية مثل اللحوم الجيدة والألبان وغيرها[2].

(٢) الصـــناعـــة

لم تزدهر الصناعة فى المدينة المنورة بنفس درجة ازدهار الزراعة، وذلك لما تتطلبه الصناعة من توافر المواد الخام التى لم توجد بالمدينة المنورة، لذلك استمرت الصناعة فى المدينة بسيطة ويدوية.

رغم ذلك وجدت بعض الصناعات، مثل: صناعة الحلى والجواهر، وذلك لتوافر معدن الذهب بالقرب من المدينة وبين ينبع والمروة[3]، وتنوعت أنواع الحلى التى كانت تصنع منها الخواتم والخلاخيل والأقرطة والعقود من الذهب والفضة والأساور وبعض من الأحجار الكريمة[4]، وكان لتلك الصناعة سوق خاص بها بالقرب من سوق العطارين فى المدينة المنورة، وعن أعداد القائمين على هذه الصناعة، ذكر أنه كان فى قرية زهرة إحدى قرى المدينة ثلاثة مائة صائغ[5].

عن صناعة التعدين والأسلحة فكانت حرفة الحدادة من الحرف الشائعة فى بلاد الحجاز، لذلك قامت صناعة بعض الأسلحة، مثل السيوف فى مكة والمدينة[6]، وصناعة

---

(١) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٩٠.

(٢) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٤٢.

(٣) العباسى، الشيخ أحمد بن عبد الحميد العباسى ت ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م، عمدة الأخبار فى مدينة المختار، الجزء الخامس، تصحيح وتحرير الألفاظ الشيخ / محمد الطيب الأنصارى، أوضح غوامضه وأضاف إليه ناشره السيد/ أسعد طرابزونى، طبعه/ أسعد طربرازونى الحسينى، د. ت.، ص ٣٣١.

(٤) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، الطبعة الأولى، منشورات نادى مكة الثقافى، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٧٥.

(٥) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٤، ص ١٢٣٠.

(٦) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٨٣.

السهام التى تصنع برقم المدينة[1]، وصناعة الدروع والخناجر والنبال وأدوات الفلاحة مثل: المحاريث والفئوس ومناجل الحصاد[2]، كما اهتموا بصناعة آلات الصيد مثل: الفخاخ والشباك وغيرها[3].

كذلك كانت هناك الصناعات الجلدية والدباغة والخرازة، فقد اهتم أهل الحجاز بدباغة الجلود، حيث إصلاح الجلد وإزالة الصوف والشعر منه، لاستخدامه فى الأغراض النافعة، واستخدموا لذلك مواد إزالة الشعر والصوف مثل مادة القرظ[4] - شجر ينبت بأراضى الحجاز بوادى العقيق قرب المدينة المنورة - وقد استخدمت الجلود فى صناعة قرب الماء وغيرها، وفى صناعة الأحذية، وكذلك فى الأغراض الحربية، لحماية الجسم من ضربات السيوف فى المعارك الحربية[5].

وارتبطت الخرازة التى تقوم على خياطة الجلود بالصناعات الجلدية، فكانت هذه المهنة متطورة فى المدينة خلال العصر المملوكى، حيث مارسها الكثيرون ودخل بعض المغاربة فيها[6].

كذلك صناعة المنسوجات والأقمشة، وهى من الصناعات القديمة فى بلاد الحجاز، لتلبية احتياجات أهلها، وقد تحدث الألوسى عنها بقوله:"هذه الصناعة من الصناعات التى كانت من مكاسب العرب، وهى أيضًا من ضروريات الأمم، فإن كل أمة ولا سيما أهل الحاضرة محتاجون لهذه الصناعة، لأجل لبوسهم وفرشهم وحمل أثقالهم ونحو ذلك"[7].

---

(١) رقم: موضع بالمدينة تنسب إليه الرقميات والرقم جبال دون مكة بديار غطفان. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٨.

(٢) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٩٥.

(٣) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى، ص ٧٥.

(٤) القرظ: شجر كبير ساقه غليظة مثل شجر الجوز وورقه أصغر من ورق التفاح وله حب يوضع فى الموازين مفرده قرظة ويستخدم حبه أيضًا للعلاج والصبغ وهو من أشهر مواد الدباغة والصبغ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٤٥٤.

(٥) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٩٢؛ جميل حرب، الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى، ص ١٢٧.

(٦) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٣، ص ٩٤٨.

(٧) الألوسى، السيد محمود شكرى ت ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، الجزء

كذلك ذكر الألوسى أن من أدواتها المنوال والمنسج الذى يدعى الحف[1]. كما قامت صناعة الغزل وحياكة النسيج وصناعة الأثاث المنزلى، الذى يصنع من الصوف والأوبار والشعر والنمارق والفرش، فقد أسهمت صناعة النسيج فى إبراز صناعة صباغة الملابس، وكان الصباغون يقومون بهذا العمل نظير أجور معينة يدفعها صاحب الملبس، مما أدى إلى ظهور مهنة خياطة الملابس الخاصة بالرجال والنساء على السواء.

ووجدت صناعة الحصر، وهى من الصناعات المهمة التى ورد ذكرها فى وثائق الجنيزة[2]، حيث كان الحصير يستخدم فى كل منزل وفى كل مكان لأغراض منزلية شتى، وقد جاء فى إحدى وثائق الجنيزة أن الحصر كانت من السلع المطلوبة فى مدن بحر الحجاز[3]، كما أن وثائق الجنيزة تعطينا تفاصيل كثيرة عن صناعة الحصر وصفاته وأسعاره.

كذلك البناء والنجارة، فالبناء فى أى مجتمع من مستلزمات الحياة، سواء بناء السكن أو الأسوار، والعمران يقتضى قيام بعض الصناعات المتعلقة به من نحت الحجارة وصناعة الأبواب وغيرها[4]، وكانت صناعة البناء من الصناعات الموجودة فى مكة والمدينة وغيرها من المدن، وفى العصر المملوكى وجد من أهل المدينة من برز فى ممارسة تلك الصناعة، فيذكر السمهودى بأنه كان لبنى حرام فى المدينة غلام رومى ينقل الحجارة وينقشها[5].

الثالث، شرحه وصححه/ محمد بهجت الأثرى، نشر/ أمين دمج، دار الشروق العربى، بيروت، د. ت، ص ٤٠٤.

(١) الحف: الحف المنسج والحف المنوال وهو الخشبة التى يلف عليها الحائك الثوب وقيل هى التى يضرب بها الحائك. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٩٦؛ الألوسى، بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٤٠٤.

(٢) الجنيزة: الحجرة التى يحتفظ اليهود فيها بأوراقهم الخاصة من إيصالات وعقود وخطابات حتى لا تدنس كلمة الله المكتوبة فى هذه الوثائق والموجودة بمصر فى معبد يهودى. انظر: حسنين محمد ربيع، وثائق الجنيزة، ص ١٢.

(٣) حسنين محمد ربيع، وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانئ الحجاز واليمن فى العصور الوسطى، ضمن الكتاب الأول من مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ١٩٧٩م، ص ١٣٨؛ محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ٢٠١؛ أحمد الزيلعى، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٣٨.

(٤) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى، ص ٧٤، ٧٥.

(٥) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٢٠٤.

أما النجارة وهى مكملة للبناء، حيث كان النجارون يصنعون الأبواب والأطباق والأقداح والأثاث المنزلى كالمناضد والكراسى، وكان هؤلاء النجارون يزاولون هذه الصناعة فى بيوتهم[1]. وعن هذه الصناعة يذكر الألوسى: "هذه الصناعة من ضروريات كل أمة من الأمم، لا سيما أهل العمران، وقد بينا أن العرب منهم أهل حضر وحاجتهم إلى هذه الصناعة ضرورية... ومنهم سكنة البوادى وهم الأعراب، ولا بد لهم من العمد والأوتاد لخيامهم... وكل واحدة من هذه الأمور تحتاج إلى الخشب ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة"[2]، حيث كانت تستخدم فيها أخشاب الأشجار المنتشرة حول المدينة، مثل أشجار الطرفاء والأثل الذى يأتى من منطقة الغابة فى شمال غربها[3]، كما كانوا يستخدمون بعض الأخشاب المستوردة من الهند وإفريقيا مثل: الساج والآبنوس[4].

كذلك كان للصناعات الغذائية قدر كبير من الاهتمام لتلبية حاجات السكان من الغذاء، مثل: صناعة السمن والزبدة والجبن وغيرها. وكذلك التمر الذى يمثل الغذاء الرئيسى لأهل الحجاز عامة وأهل المدينة خاصة، نظرًا لكثرة أشجاره[5].

ويذكر ابن القيم فى كتابه " الطب النبوى " عن تمر المدينة:"وأما أهل المدينة فالتمر لهم يكاد أن يكون بمنزلة الحنطة لغيرهم... وهو قوتهم ومادتهم... وتمر العالية من أجود أصناف تمرهم فإنه متين الجسم... لذيذ الطعم صادق الحلاوة[6].

وقد استخدم التمر لعلاج العديد من الأمراض، واستخرج منه الدبس وشراب

---

(١) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجـاز، ص ٢٠٣.

(٢) الألوسى، بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣٩٥.

(٣) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجـاز فى العصر الأيوبى، ص ٧٥.

(٤) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجـاز، ص ٢٠٤.

(٥) محمد خلف العناقرة، المصدر نفسه، ص ١٩٧؛ جميل حرب، الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى، ص ١٢٠.

(٦) طه عرفه، فضائل المدينة المنورة، تقديم/ محمد عبد المنعم البرى، حمدى عبد المقصود، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٨٣.

التمر[1]، ويدخل فى كثير من الأغذية والأدوية والفاكهة؛ حيث يوافق أكثر أبدان الناس[2].

وبالنسبة إلى صيد الأسماك، فهى من الأعمال التى قام بها بعض أهل المدينة والمجاورين، فى البحيرات وتجمعات المياه المحيطة بالمدينة[3]، وكان من يقوم بصيد الأسماك يلقب بالحوات "السماك"، مثل إبراهيم الحوات الذى اشتغل بالصيد فى المدينة[4]، كذلك منهم من قام بالصيد فى بعض تجمعات الماء خارجها، وكان يتم تجفيف السمك فى الشمس ويملح أحيانًا ويجفف فى الهواء ليؤكل فى وقت الحاجة إليه، وقد يستعمل علفًا للحيوانات[5].

كذلك كان بالمدينة العديد من الصناعات الأخرى، مثل صناعة العطور التى كان لها سوق خاص بها يسمى سوق العطارين يقع قرب سوق الصاغة[6].

(٣) التجـــــارة

كان لما تمتعت به المدينة المنورة من موقع جغرافى مهم، أثره الكبير على أحوالها الاقتصادية، فانفردت هى ومكة عما سواهما من مدن بلاد الحجاز الأخرى، بموقع هام كان له أكبر الأثر فى انتعاش تجارتها[7].

* التجـــارة الداخلــية

كانت تجارة المدينة فيما بين أهلها أو بينهم وبين جيرانهم من أهل القرى وسكان البادية، كذلك مع بقية المدن الحجازية الأخرى، وعلى رأسها مكة وينبع وجدة، حيث

---

(١) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجـاز، ص ١٩٧.

(٢) طه عرفة، فضائل المدينة المنورة، ص ٨٤.

(٣) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجـاز، ص ١٩٧.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٥٤.

(٥) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجـاز، ص ١٩٧.

(٦) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٣٦.

(٧) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠٨.

يأتى إليها التجار لبيع بضائعهم أثناء المواسم وتبادل السلع مع الحجاج والتجار الذين يأتون إليها[1].

وتجارتهم الأساسية فى التمور وأنواع السمن والألبان التى تجلب من ماشيتهم، وفى الحبوب مثل: القمح والشعير والفول والحمص والذرة والعدس وغيرها، التى يأتى أكثرها من مصر والشام والهند، كما يتاجرون فى الإبل والأغنام والخيول التى تأتى من نجد، والمنسوجات التى تأتى من مصر والشام[2].

وكانت تجارتهم مع أهل البادية، تتمثل فى اللبن والجبن والسمن والغنم والحبوب والخضر والتمر وغيرها، حيث يقوم بعض من الأعراب القاطنين فى المدينة بشراء تلك البضائع منهم، ويدخلون بها للأسواق ليتم بيعها لأهل المدينة[3]، كما كان موسم الحج بالنسبة إلى أهل المدينة أيام رواج لتجارتهم[4].

أنواع المنتجات التجارية فى المدينة

لعل من أهم أنواع المحاصيل التجارية فى المدينة، التمر والبقول والحبوب والسمن والجبن، التى تأتى من المناطق البدوية المحيطة بها، وكذلك عسل النحل والقمح والشعير والأرز والفول والحمص والذرة والترمس والعدس، وكانت معظم هذه الحبوب تأتى من بلاد الهند ومصر والشام، وكان بعضها يتم زراعته بالمدينة[5].

ويعتبر التمر من أكبر المحصولات الداخلة فى تجارة المدينة، لأن ضواحى المدينة كان فيها الكثير من المزارع والبساتين، التى بها نخيل كثير ينتج كثيرًا من أنواع التمور،

---

(١) على بن حسين السليمان، النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١م، ص ١٠٣؛ محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ٨٦، ٨٧.

(٢) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٠؛ على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨٠.

(٣) عبد الكريم كريم، بلاد الحجاز فى المخطوطات المغربية، ص ١١٠.

(٤) محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة أبى سالم العياشى، ص ١٣.

(٥) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٨.

وأحسنها البلح العنبرى ثم الجلبى ثم السكرى وهو أكثرها حلاوة، ثم بلح السبح ويكثر نخله فى جهة الخيف بين المدينة والحمراء[1]، وبالإضافة إلى التمر ومكانته فى تجارتهم، يأتى بعده الشعير الذى يزرع وسط بساتين النخيل، ومنه يحصل أهل المدينة على الخبز، وهناك العنب والمنتجات الأخرى من البقول والبصل والثوم وغيرها[2].

وفى تجارة أهل المدينة مع أهل البادية، كانت تتم بمقايضة السمن والألبان بما تنتجه المدينة من حبوب وخضراوات وفواكة ومنتجات صناعية يحتاج إليها أهل البادية فى حياتهم اليومية، كما تاجروا بالإبل والأغنام والخيول الجيدة التى تأتى من نجد[3].

هناك أيضًا الأدوات الحديدية والنحاسية والزجاجية، وكذلك الأقمشة الحريرية والصوفية والقطنية، التى ترد من الهند ومصر وغيرها من المنتجات التى تدخل فى تجارة أهل المدينة مع البدو سكان المناطق المجاورة، وكذلك مع الزائرين للمدينة فى مواسم الحج والعمرة[4].

الأسـواق التجـاريـة الداخلـية

السوق لغة هو موضع البياعات، قال ابن سيده: السوق التى يتعامل فيها تذكر وتؤنث والجمع أسواق، وتسوق القوم إذا باعوا واشتروا، وفى حديث الجمعة: إذا جاءت سويقة أى تجارة، وهى تصغير السوق سميت بها؛ لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها، وتضم الأسواق المتاجر التى يرتادها الناس لشراء مستلزماتهم الحياتية وحاجياتهم، فهى موضع عرض وطلب لأشياء كثيرة من متطلبات الحياة، فكما يرتادها العامة من الناس يرتادها عليتهم وأشرافهم[5].

---

(١) محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ص ٢٢٢.

(٢) محمد محمود السريانى، السكن الحضرى، ضمن كتاب المدينة المنورة البيئة والإنسان " دراسة علمية محكمة "، الطبعة الأولى، إشراف أ.د/ محمد أحمد الرويثى، أ. د/ مصطفى محمد خوجلى، ١٤١٨-١٤١٩هـ/ ١٩٩٧- ١٩٩٨م، ص ١٦٩.

(٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨٠.

(٤) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٨.

(٥) خالد بن محمد بن إبراهيم أحمد النعمان، تاريخ أسـواق المدينة المنورة، ضمن دراسات حول المدينة المنـورة

وجاء فى أسواق المدينة، وصف ابن شاهين الظاهرى قائلًا: "وبالمدينة المشرفة سور وقلعة ومدارس ومساجد وأسواق وشوارع وبساتين ونخل كثير وفنادق وحمامات وهى مدينة حسنة"[1]، ويبدو من ذلك أن المدينة كان بها عدد من الأسواق، فكان لكل سلعة سوق خاص بها، كما أن أسماء الأسواق كانت تؤخذ من أسماء السلع[2]، وقد أسهمت قوافل الحج والتجارة فى انتعاش الأسواق التجارية فى المدينة فى عصر الجراكسة، وأصبح ميناء جدة الميناء الأول لبلاد الحجاز ومعه ينبع، فازدادت أسواق المدينة رواجًا[3].

من أهم الأسواق فى المدينة سوق باب السلام، ويمتد من باب السلام إلى الباب المصرى بمسافة ٤٠٠ متر، من خلال الشارع الواصل بينهما بعرض ٤ أمتار، وتشتد فيه الحركة التجارية فى أيام الحج والعمرة والزيارة، وهناك سوق المناخة وفيه تباع الحبوب واللحوم والخضراوات والفواكة، وهناك سوق البلاط يوجد على يسار المتجه إلى باب السلام[4]، وسوق الصاغة الذى يختص ببيع الحلى ويقع بالقرب من باب الرحمة.

وسوق العطارين[5] ويختص ببيع العطور للقادمين إلى المدينة، وهو قريب من سوق الصاغة، وبالقرب منها يقع سوق الفاكهة، ويختص ببيع الفواكه والمنتجات الغذائية، وما يحتاجه الحاج من طعامه اليومى؛ حيث وجدت دكاكين خاصة بذلك، وهناك سوق الحطابين بالجبانة قرب مسجد الراية[6].

كما تحدث على بن موسى عن بعض أسواق المدينة المنورة، وذكر أنها تقع بعد مسجد الغمامة، ومنها الأسواق الآتية:

من محاضرات النادى الأدبى، المجلد الثانى، الطبعة الأولى، الكتاب رقم (٩٨)، نادى المدينة المنورة الأدبى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٣٥.

(١) ابن شاهين الظاهرى، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، الطبعة الثانية، نشره/ بولس راويس، دار العرب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٦.

(٢) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ٨٨، ٨٩.

(٣) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠٩.

(٤) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٩.

(٥) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٣٦، ٧٣٧.

(٦) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٦٣ - ٧٦٥.

- سوق الحبابة: وهو أكبرها وأوسعها، ويباع فيه جميع أنواع الحبوب من قمح وشعير وذرة، وهو صفان قبلى وشامى.

- سوق التمارة: ويقع هذا السوق عند طرق سوق الحبابة، ويباع فيه جميع أنواع التمور، منها: الصيحانى والبرنى والعجوة والسكرى والبردى والعاوى والجعفرى البعلوى والجادى والقيسانى وبراطم العبيد.

- سوق الفلتية: ويختص ببيع الحشائش وورق الشجر والدباغ والحبال والفحم والحطب.

- سوق الخضرية: وهو صف كامل، وفى جانبه القبلى مباسط الجزارة.

- سوق العطارة والقماشة: ويختص ببيع العطور والأقمشة، ويمتد من باب زقاق النخاولة ونهايته قريبًا من باب المصرى[1].

- سوق السمانة والرواسة: يقع قبلى سوق التمارة.

- سوق البرسيم: ويختص ببيع أعلاف الحيوانات.

- سوق الفطاطرية والطباخين: ويقدم الطعام للحجاج القادمين للمدينة[2].

وكان فى أسواق المدينة مكان خاص للمحتسب، ليراقب طريقة البيع والشراء، وأنواع السلع وجودتها[3].

* التجارة الخارجية

على الرغم من عمل معظم سكان المدينة بالزراعة، فإن الحاصلات الزراعية بها لم تكن تكفى حاجات سكانها، فقاموا باستيراد ما يسد حاجتهم من بلدان أخرى، مثل

(١) على موسى، وصف المدينة المنورة، من خلال كتاب رسائل فى تاريخ المدينة لحمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، السعودية، ١٩٧٢م، ص ٤٢.

(٢) حمد الجاسر، رسائل فى تاريخ المدينة، ص ٤٣.

(٣) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ٩١.

مصر والشام والهند وغيرها[1]، وكان لموقع الحجاز على البحر الأحمر، الذى يصل ما بين بلاد الشام شمالًا واليمن جنوبًا، أثره العظيم على النشاط التجارى فى الحجاز وخارجه، حيث خرجت القوافل التجارية من بلاد الحجاز حاملة البضائع إلى مصر والشام والعراق واليمن والحبشة، وكذلك كانت السفن تأخذ طريق البحر الأحمر إلى مصر واليمن عبر موانيه، وأشهرها جدة والجار وينبع والسرين[2]، فضلًا عن أن كثيرًا من التجار الموجودين داخل المدينة، يعود أصلهم إلى أقطار أخرى وفضلوا الإقامة بها، حيث قام بعضهم بممارسة التجارة مع بلدان أخرى مثل: اليمن ومصر وغيرها[3].

والمعروف أن كثيرًا من تجارة المدينة كانت تعتمد على وارداتها الخارجية، ولا سيما ما يأتى من جاوه والهند والشام ومصر، ومنها على الخصوص الأقمشة القطنية والصوفية والحريرية والسبح والليف الأبيض والحناء والبسط والسجاجيد والحنابل العجمية (الأكلمة) والهندية والمغربية والأناضولية[4]، كما كانت البضائع الواردة من مصر لبلاد الحجاز، خاصة الثياب والرقاق والقراطيس[5] والقمح والحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون وزيت الزيتون والزيتون المملح والعسل والأسلحة والحرير، فكانت البضائع الثقيلة منها تأتى عن طريق البحر، والسلع الخفيفة تجلب عن طريق البر[6]، وكان التمر السلعة الأولى فى تجارة المدينة مع الآخرين[7] ووجد فى المدينة المنورة عدد كبير من

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص ٢٩٤.

(٢) على بن حسين السليمان، النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، ص ٨٣؛ صبحى عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، ص ٢٩٣.

(٣) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ٩٩.

(٤) محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، لولى النعم الحاج عباس حلمى باشا الثانى خديو مصر، الطبعة الأولى، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، سنة ١٣٢٧هـ، ص ٢٢٢.

(٥) القراطيس: هى الصحيفة الثابتة التى يكتب فيها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ١٧٢.

(٦) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٥٨؛ محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٤٤.

(٧) محمد محمود السريانى، السكن الحضرى، ص ١٦٩.

كبار التجار، منهم عمر بن محمد التكروري[1] " كان ثريًا يكثر السفر لمصر وغيرها "[2] من أجل التجارة، وهناك أيضًا على بن سليمان بن عبد الواحد القاهرى، كانت تجارته بين ينبع ومصر عبر البحر الأحمر، وينقل بضائعه بعد ذلك برًا إلى المدينة[3]. وقد ذكر الرحالة الإيطالى لودوفيكودى فارتيما[4] عند زيارته للمدينة فى سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م أن أهل المدينة يتلقون مؤنهم من اليمن ومصر عن طريق البحر[5].

المـوانئ التجارية للمدينـة المنورة

لعبت المدينة المنورة دورًا كبيرًا فى التجارة الخارجية ببلاد الحجاز، وقد ساعد على ذلك تمتعها بعدة موانئ جيدة ومن هذه الموانئ:

أ- ميـناء الجــار[6]

الجار[7] قرية على البحر بساحل المدينة، كانت فرضة السفن الواردة من مصر والحبشة،

---

(١) عمر التكرورى: هو عمر بن محمد كمال بن محمد بن عمر التكروى المدنى الأصل توفى بالمدينة سنة ٨٨١هـ/ ١٤٨١م. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٣) السخاوى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٨؛ انظر أيضًا: محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجـاز، ص ١٤٤.

(٤) قام فارتيما الإيطالى النشأة برحلة حول العالم (١٥٠٣-١٥٠٨م) وصل فيها إلى الهند وشرق آسيا وعاد إلى لشبونة فروما مارًا بسواحل شرق إفريقيا فرأس الرجاء الصالح فالمحيط الأطلسى. انظر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، لودوفيكو دى فارتيما " الحاج يونس المصرى " الرحـالة الإيطالـى والعميل البرتغالى ورحلته إلى الأماكن المقدسة سنة ١٥٠٣م، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع، الآداب (٢)، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٥٥٧.

(٥) عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المرجع نفسه، ص ٥٨٠.

(٦) انظر موقع الجار ملحق رقم ٣ رسم رقم ١.

(٧) الجـار: على ساحل بحر القلزم بينها وبين المدينة يوم وليلة وهى أصغر من جدة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشـة ومصـر وعـدن والصين وسائر بلاد الحبشة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٢، ٩٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج ١، ص ٣٩؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ٥٠؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ١٥٣؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٤، ص ١١٧٣.

والمسافة بينها وبين المدينة يوم وليلة[١]، وقد اشتهر ميناء الجار أنه ميناء المدينة[٢].

والجار كان معروفًا قبل الإسلام حيث حاز شهرة تاريخية، فكان البحر الأحمر يعرف ببحر الجار[٣]، وتأتى إليه السفن بمختلف أنواع السلع من مصر والحبشة وعدن والصين[٤]، وظل عامرًا حتى تعرض لكثير من هجمات قطاع الطرق والبدو وعدم الاستقرار منذ القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى[٥].

واستمر فى نشاطه التجارى حتى أواخر القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى[٦]، حتى ضعفت مكانته حين أخذ الحجاج من مصر والمغرب طريق عيذاب إلى ميناء جدة، وبدأ ميناء ينبع فى الازدهار منذ ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، حين جعله الأيوبيون ميناء رئيسيًا للمدينة بعد جدة[٧]، فبرز كميناء تجارى مهم فى تجارة البحر الأحمر، التى بلغت أوج ازدهارها أيام سلاطين المماليك[٨].

ب- ميـناء ينـــبع

يقع ميناء ينبع على ساحل البحر الأحمر، ويبعد عن المدينة مسافة نحو ٢٧٥ كيلو متر[٩]، وتنقسم منطقة ينبع إلى قسمين: ينبع النخل وينبع البحر، فعندما يطلق المؤرخون اسم ينبع فإنما يريدون بها ينبع النخل؛ لأن ينبع البحر كانت قليلة الشهرة حتى أيام

---

(١) السمهودى، خلاصة الوفـا، ج ٢، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) الأصطخرى، أبى إسحق إبراهيم محمد الفارسى المعروف بالكرخى ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، المسالك والممالك، تحقيق د/ محمد جابر عبد العال الحسينى، مراجعة/ محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، الإدارة العامة للثقافة، دار القلم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص ٢٣.

(٣) حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٧.

(٤) محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجـاز، ص ٨٧.

(٥) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٨ .

(٦) حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٩.

(٧) على بن حسـين السليمان، النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية، ص ٩٥ .

(٨) حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٩؛ على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٩٠ .

(٩) عبد الله عبد العزيز بن إدريس، مجتمـع المدينة فى عهد الرسول، ص ١٨ .

المماليك، حين صارت ميناء المدينة المنورة[1]، وذكر المقدسى فى " أحسن التقاسيم " عن ينبع: "ينبع كبيرة جليلة حصينة الجدار غزيرة الماء، أعمر من يثرب وأكثر نخيلًا، حسنة الحصن، حارة السوق، لها بابان الجامع عند أحدهما، الغالب عليها بنو الحسن"[2]، وكانت ينبع النخل قرية غنَّاء ذات عيون ومزراع عامرة[3].

أما ينبع البحر فتمتد من حوراء نحو الجنوب الشرقى، وتمر بوادى حماس ووادى نبط ووادى كمال، وتقع عند تقاطع خط العرض ٥ - ٢٤ شمالًا، وخط الطول ٣ - ٣٨ شرقًا على خليج ممتد من البحر الأحمر[4].

بدأ ميناء ينبع ينشط حتى صار من موانئ الحجاز الرئيسية سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، حين جعله الأيوبيون ميناء المدينة، وقاموا فيه ببعض الإصلاحات والإنشاءات[5]، وقد أسهم فى تجارة البحر الأحمر، فكان ميناءً كبيرًا كثير العمائر والأسواق تأتى إليه السفن بالغلال فى كل عام[6].

وعندما يتحول الحجاج من البحر إلى البر، تصبح ينبع محطة للحجاج السائرين بطريق البر، مما جعل سلاطين المماليك يرسلون إليها بالسفن التى تحمل ما يحتاجه الحجاج مع صدقاتهم وأعطياتهم لأهل المدينة، فأصبحت نتيجة لذلك سوقًا رائجة وميناء للمدينة، فضلًا عن أنها ميناء رئيسي من موانئ الحجاز، التى يعتمد عليها فى جلب التجارة، ومحطة للسفن التجارية القادمة إلى بلاد الحجاز من الهند[7]، فعن طريق ميناء ينبع، صار أغلب القمح والمؤن تصل إلى المدينة من مصر، وساعده على ذلك ازدهار ميناء عيذاب أيضًا[8].

---

(١) حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ١٢.
(٢) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٨٣.
(٣) الفاسى، شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٩.
(٤) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٦٤، حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٣٤.
(٥) حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٩؛ صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٩٦، ٢٩٧.
(٦) إبراهيم حسن سعيد، البحرية فى عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٥٨.
(٧) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٧.
(٨) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٨.

بلغت ينبع أوج ازدهارها خلال عصر السلاطين الجراكسة، بسبب ما قاموا به من إصلاحات كثيرة على طريق الحجاج ومشاعر الحرمين؛ حيث ازداد عدد الحجاج القادمين إلى مشاعر الحرمين، وخصوصًا الذين يريدون زيارة قبر النبى ﷺ قبل أو بعد زيارتهم لمكة.

لذلك كان لينبع دور مهم فى تجارة البحر الأحمر أيام الجراكسة(١)، فترد إليها المراكب بالغلال من سواحل الطور، حيث يؤخذ عليها المكوس لصاحب ينبع، والتى تقدر سنويًا بثلاثين ألف دينار(٢)، هذه السفن تأتى من مصر والشام محملة بالكثير من السلع، فضلًا عما يرسله سلاطين المماليك من احتياجات ومؤن للنفقة على أهالى المدينة(٣)، كل ذلك جعل المدينة ترتبط بينبع؛ حتى أصبحت تذكر كحاضرة كبيرة كثيرة العمائر والأسواق ولها أمير يتبع السلطان(٤).

تعرضت ينبع مثل غيرها من بلاد الحجاز فى بعض الفترات للفتن والاضطرابات، مما أدى إلى اختلال الأمن والتعرض للحجاج وقوافل التجار، فعمل سلاطين المماليك على إرسال الحملات العسكرية للدفاع عنها وصد شر العربان الذين هددوا التجارة بها(٥)، فقد حدث سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م لركب الحاج المصرى مشقة عظيمة بسبب قلة الماء وشدة الحرارة، مما أدى إلى موت كثيرين من الحجاج، فقام يشبك الدوادار بإرسال الشقادف محملة بالزاد والماء لهم ولاقاهم قرب ينبع(٦).

---

(١) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٧.

(٢) ابن شاهين الظاهرى، زبدة كشف الممالك، ص ١٦؛ انظر أيضًا: توفيق اليوزبكى، تاريخ تجارة مصر البحرية فى العصر المملوكى، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، جامعة الموصل، ١٣٠٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٨٢.

(٣) أحمد هاشم بدر شينى، أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية فى مكة والمدينة فى العهد المملوكى، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الرابع عشر، رجب - ذو الحجة ١٤٢٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥م - يناير ٢٠٠٦م، ص ١٠٤.

(٤) عمر الفاروق سيد رجب، المدن الحجازية، ص ٢٤.

(٥) العصامى، عبد الملك بن حسين ت ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م، سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى، الجزء الرابع، المطبعة السلفية، القاهرة، د. ت.، ص ٣٠١.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٥١، ٥٢.

ومما شهده ميناء ينبع من نهضة أيام سلاطين الجراكسة، الخان الذى بناه الأمير خشقدم سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م فى عصر السلطان الغورى، وهو يقع على بعد مرحلة من ينبع البحر[١]. كما عمل الغورى على تحصين الميناء، فبنى له سورًا وأبراجًا حصينة[٢]، تقوية للصلات التجارية بين مصر وميناء ينبع؛ حتى أن بعضًا من سكان هذا الميناء كانوا من الأسر المصرية التى انتقلت إليه من صعيد مصر للتجارة[٣].

غير أن أحوالها ساءت منذ نهاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى، وأصبحت مجرد محطة لتموين المدينة المنورة بالغذاء[٤].

ج- ميناء جـــدة

يعتبر ميناء جدة من أشهر الموانئ الحجازية؛ حيث اشتهر بأنه ميناء مكة على البحر الأحمر، وهو أكثر اتساعًا من ميناء ينبع، وأقرب إلى الهند وعدن[٥]، لذلك كانت جدة ليس ميناء مكة فقط بل ميناء الحجاز كله، ومن أكبر الموانئ فى الشرق قبل القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، فكانت لها أهميتها فى تلقى إمدادات الحبوب والمؤن التى يرسلها سلاطين المماليك إلى الحرمين[٦]، فحتى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى كان أهل جدة مازالوا بحاجة إلى صدقات ومساعدة مصر[٧].

أخذت جدة فى النمو شيئًا فشيئًا تبعًا لزيادة دخلها، وقوة الحركة التجارية بها فى مواسم الحج، وبدأ التجار يردون إليها بعد نزولهم بعدن؛ حيث يمرون بها فى طريقهم

(١) الجزيرى، درر الفرائد المنظمة، ج ٢، ص ١٤١٧.
(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٩٥.
(٣) على بن حسين السليمان، النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية، ص ٩٣؛ صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٩٧.
(٤) عمر الفاروق، المدن الحجازية، ص ٢٣.
(٥) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٥٨.
(٦) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٧.
(7) Lane Poole ، History of Egypt in the middle ages ، London ، 1925 ، p. 309.

إلى مكة[١]، فكان لموقع جدة بين موانئ الحجاز وقربها من عدن والهند[٢]، أكبر الأثر فى أن تتحول إلى ميناء عالمى منذ عشرينيات القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى من حيث حجم التجارة الواردة[٣].

وقد أصبحت هذه الموانئ خلال عصر سلاطين الجراكسة أسواقًا نشطة للتجارة الخارجية، فكان يفد إليها معظم البضائع، التى تحتاجها المدينة المنورة، كما كان يتم تصدير الفائض عن حاجة المدينة المنورة منها.

تدهور الأحوال التجارية بالمدينة المنورة أواخر عصر سلاطين المماليك

اتخذ المماليك عدة أساليب للحفاظ على تجارتهم، فمنذ الحروب الصليبية كان ممنوع على الإفرنج دخول البحر الأحمر، لأسباب منها الدينية حماية للأراضى المقدسة، وسياسية خوفًا من تحالف الحبشة معهم، واقتصادية تجنبًا لمحاولاتهم القضاء على تجارة مصر مصدر ثرائها، إلا أنه خفت وطأة هذا التحريم فأصبح يسمح لبعضهم وخاصة الإيطاليين بدخوله بعد منحهم تصريحًا بالمرور[٤]، خاصة منذ النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى[٥].

وإذا كانت المدينة المنورة فى العصور الوسطى لم تكن محطة تجارية مرموقة، مثل: مكة

(١) نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ١١٢؛ إبراهيم حسن سعيد، البحرية فى عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٠.

(٢) أحمد عمر الزيلعى، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٧٧.

(٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٥٧.

(٤) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر فى عصر المماليك الجراكسة، ص ٧٩.

(٥) فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى كانت مكة وميناؤها جدة نهاية سفن الهند والصين إلى البحر الأحمر وأسهمت جدة بدور مهم فى تحويل التجارة من عدن مما أدى إلى ازدهار تجارة المماليك، وكان هذا مبعث سرور ورضى السلطات المملوكية ومنذ ذلك الوقت وميناء جدة حتى نهاية القرن التاسع الهجرى المركز الرئيسى للحجاج والتجار الشرقيين أما التجار الأجانب فممنوعون من دخول ميناء جدة سواء أكانوا غربيين أم شرقيين إلا بإذن خاص من السلطان نفسه. انظر: نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية، ص ١٣٩، ١٤٠.

أو عدن أو دمشق أو حلب أو القاهرة أو غيرها من مراكز التجارة الرئيسية فى الدولة الإسلامية، إلا أنها كانت عامرة بحيث لم تتأثر بشدة كغيرها من المدن الأخرى باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح[1]، ووصول البرتغاليين إلى الهند وشرق آسيا سنة ١٤٩٨م، ومع ذلك لم تكن المدينة بعيدة كل البعد عن ذلك[2].

ومنذ ذلك ظهر الضعف على الدولة المملوكية فى مصر والشام، واضطربت أحوالها الاقتصادية والأمنية، فكانت كما يذكر ابن خلدون: "والخلل إذا طرق الدولة طرقها فى الجند والمال فيعظم الهرم بها، ويتجاسر عليها أهل النواحى، فإن قصدها طالب انتزعها من أيدى القائمين عليها"[3]، مما أدى إلى عدم قدرتها على التصدى للأسطول البرتغالى فى البحر الأحمر، الذى بات يهدد أمن الحرمين الشريفين[4]، كما أدى إلى تأثر تجارتهم المورد الاقتصادى الرئيسى لهم، فضاعت مكانة مصر فى التجارة الدولية[5].

حيث انهار طريق التجارة البرى والبحرى، سواء عبر البحر الأحمر أو بموازاته، وتوارت منذ ذلك مدن ومحطات وأسواق تجارية كثيرة[6].

أدت تلك الظروف إلى تدهور تجارة البحر الأحمر، والطرق التجارية المارة ببلاد الحجاز، ولا شك أن ذلك كان له أثره الكبير على تدهور الأحوال الاقتصادية ببلاد الحجاز بصفة عامة والمدينة المنورة بصفة خاصة.

---

(١) طريق رأس الرجاء الصالح: هو طريق يدور حول إفريقيا ومنها إلى الهند، وتم اكتشاف هذا الطريق سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م، وتأثرت مصر باكتشافه حيث إنها فقدت التحكم فى التجارة العالمية وفقد المماليك أهم ميزة عندهم، وهى فرض الرسوم على التجارة الخارجية التى كانت تمر بها. انظر: حسين جلال، فضل المسلمين فى كشف الطريق البحرى إلى الهند ١٤١٥ - ١٤٩٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٩٢، ص ١٥ وما بعدها؛ هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، الجزء الرابع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣ وما بعدها.

(٢) عمر الفاروق سيد رجب، المدن الحجازية، ص ٢٤.

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.، ص ١٥٨.

(٤) محمد عبد اللطيف هريدى، شئون الحرمين الشريفين فى العهد العثمانى، ص ١٣.

(٥) محمد على فهيم بيومى، مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العصر العثمانى فى الفترة من ٩٢٣-١٢٢٠هـ/ ١٥١٧-١٨٠٥م، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٤١.

(٦) عمر الفاروق، المدن الحجازية، ص ٢٥.

* المعاملات التجارية فى المدينة المنورة

كان للنشاط التجارى بين سلطنة المماليك وبلاد الحجاز، أثره الكبير فى توثيق العلاقات وتوطيدها وتوحيد نظم المعاملات التجارية؛ حيث كانت المعاملات التجارية فى المدينة المنورة فى العصر المملوكى على ما كانت عليه فى مصر، من التعامل بالدينار والدرهم والمعاملة بالفلوس على ما كان بمكة؛ حيث استخدم فى الوزن المـن، وأما الكيل فكان بالمد، وقياس الأقمشة بالذراع الشامى، وكانت الأسعار فى المدينة كما فى مكة، بل ربما كانت مكة أكثر رخاء لقربها من ساحل البحر بجدة[1]. ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالى:

أ ـ العـمـلات[2]

كان فى المدينة المنورة نقود تسمى بالنقود العلوية، وهى عبارة عن: "قطعات من الفضة مسكوكة باسم صاحب المدينة، كل واحد صرفه سدس درهم"، وراجت بعد ذلك الدراهم المملوكية فى عهد السلطان برقوق، فكان كل درهم يعادل ثمانية وأربعين فلسًا، كذلك من النقود التى استخدمت بالمدينة الدينار الأفرنتى[3]، وكانت أول إشارة إليه فى مكة فى موسم حج سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٣م، ولابد أنه قد ظهر فى المدينة المنورة فى نفس الفترة تقريبًا[4] كما ولابد أن ظهور تلك العملة قد سبق سنة ٨١٥هـ فبداية

(١) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٢) انظر أشكال بعض العملات من العصر المملوكى الجركسى مع جدول لشرحها ملحق رقم ٣ شكل رقم ١.

(٣) القلقشندى، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٧٥، ٢٧٦؛ الفاسى، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٧٥، ٢٧٦ والذهب الذى يقال له الأفرنتى والأفلورى والبندقى من ضرب البندقية. انظر: المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٣٠٥ - بدأ استعماله فى مصر لأول مرة سنة ٧٩٠هـ- ١٣٨٨م الأفلورى: هو من الدنانير الذهبية التى استعملت فى العصر المملوكى ويقدر الدينار منها بسبعة عشر درهما من الدراهم الجديدة النقرة وينسب الفلورى إلى فلورنسا، وكان يستخدم أحيانا فى دفع رواتب أرباب الوظائف. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٣٧؛ انظر أيضًا: رأفت محمد النبراوى، السكة الإسلامية فى مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٣٤٠.

(٤) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٧٥، ٢٧٦؛ الفاسى، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

ظهورها فى مصر كان سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، وكان يصل منها سنويًا قرابة ٦٠٠,٠٠٠ دوكة، زادت إلى ثلاثة أضعافها فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، فزاد لذلك تداول هذه العملة على غيرها من النقود الذهبية منذ سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م. وأصبحت كما يقول المقريزى: "فى أكثر مدائن الدنيا من القاهرة وجميع أرض الشام وعامة بلاد الروم والحجاز واليمن حتى صارت النقد الرابح"[١] ونظرًا للعلاقة التجارية الزاهرة بين مصر وبلاد الحجاز بعامة والمدينة المنورة بخاصة، والحركة التجارية المستمرة، فلا بد أن تكون تلك النقود قد ظهرت فى بلاد الحجاز عامة قبل سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٣م، كما ولابد أن ما أدى إلى انتشار الدوكات البندقية فى أسواق الشرق العربى، دقة سك هذه النقود الذهبية، بالإضافة إلى أن هذه العملات البندقية كانت سهل التعامل بها لكونها بالعد، أما الدنانير المملوكية فكان يضطر إلى وزنها[٢]، ثم انتشر استعمال الدنانير الأشرفية التى حلت محل الدنانير الأفرنتية، وتم تداولها فى أسواق كل من مكة والمدينة منذ النصف الثانى للقرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى[٣].

وقد حاول السلطان الأشرف برسباى، إعادة الثقة فى النقود المملوكية، فضربت فى سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م الدنانير الأشرفية بنفس وزن الأفرنتى (٣,٤٥ جرام)، مما أتاح للنقود الذهبية الإسلامية (الأشرفية)، طرد النقود الذهبية البندقية والحلول مكانها[٤]. وقد عرف الدينار الأشرفى بمكة لأول مرة فى موسم الحج سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣١م، وظل يتعامل به فى مكة إلى نهاية دولة المماليك[٥]. ولا شك أنه رغم العدد الكبير من النقود والعملات التى أصدرها سلاطين المماليك الجراكسة، فإنه يمكن القول إن كثيرًا من هذه النقود، لم يتحقق لها الانتشار الكبير داخل دولة الجراكسة، ومنها بلاد الحجاز؛ لأن بعض هذه النقود لم يستقر لمدة طويلة، فضلًا عن أن بعضها لم يكن له قيمة رائجة.

---

(١) المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٧١٠.

(٢) رأفت محمد النبراوى، السكة الإسلامية فى مصر، ص ٢٣٦.

(٣) المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٧١٠؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٦٣٩.

(٤) رأفت محمد النبراوى، السكة الإسلامية فى مصر، ص ٢٥٣.

(٥) ريشارد مورتيل، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراه فى الآداب، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، إشراف د/ محمد جمال الدين سرور، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٩٥؛ محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١١٢.

ب- الصكوك

لما كانت المعاملات الضخمة تستدعى وسائل دفع مأمونة من الضياع خفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص، لذلك ظهرت الحاجة إلى استعمال الصك، وقد استخدمه التجار فى مصر والحجاز وأقطار أخرى من العالم الإسلامى، ويعرف الخوارزمى فى "مفاتيح العلوم" الصك بأنه: "يجمع فيه أسماء المستحقين وعدتهم ومبلغ ما لهم ويوقع السلطان فى آخره بإطلاق الرزق لهم"[١]، و يرى آدم متز أن التعامل بالصك هو أرقى ما وصل إليه التعامل المالى بين التجار المسلمين[٢].

ج- الموازين

عرفت بلاد الحجاز عدة أوزان استخدمت جميعها لأغراض التجارة الداخلية، ومن هذه الأوزان المن[٣]، المعروف فى جميع بلاد العالم الإسلامى باسم الرطل، ويختلف المؤرخون فى وزن الرطل عند الحجازيين، فيذكر المقريزى أن وزن الرطل يصل إلى مائتى درهم[٤]، أما ابن المجاور فيذكر أن الرطل يصل إلى مائة وثلاثين درهمًا، وهو ست أواق وكل أوقية واحد وعشرون درهمًا وثلث[٥].

وكان السخاوى فى " التبر المسبوك " قد ذكر خلال حديثه عن الأسعار فى مكة خلال رمضان سنة ٨٤٧هـ سعرين للمن، ففى حديثه عن اللحم ذكر أنه عبارة عن سبعة

---

(١) الخوارزمى، محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، تحقيق/ إبراهيم الإنبارى، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٨٣.

(٢) آدم متز، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، الجزء الثانى، ترجمة/ محمد عبد الهادى أبو ريدة، مكتبة الخانجى، القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص ٢٧٩.

(٣) المن: وحدة من وحدات الوزن تساوى رطلين وكل رطل ١٣٠ درهمًا ويختلف تقديره حسب وجود استعماله فى الدولة الإسلامية. انظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة/ كامل العلى، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م، ص ٤٥؛ محمد خلف العناقرة، الحياة الاقتصادية فى الحجاز، ص ١٠٨.

(٤) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٩٩.

(٥) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، تحقيق/ أوسكر لوفغرين، د.ت، ص ١٢.

أرطال بالمصرى، وفى حديثه عن السمن ذكر أنه عبارة عن ثلاثين رطلًا بالمصرى[1]، ولعل ذلك كان بسبب ما حدث من انحلال للأسعار فى تلك السنة.

إلا أن ابن الأخوة يرى أن الرطل الحجازى يزن مائة وعشرين درهمًا[2]، بينما يذكر القلقشندى أن الرطل يساوى مائتين وستين درهمًا وأواقيه عشرة وكل أوقية عشرة دراهـم[3]، ومن خلال ذلك يظهر مدى اختلاف المؤرخين فى تحديد وزن الرطل الحجازى، وهو ناتج عن اختلاف وزن الرطل داخل المدن الحجازية.

د ـ المكاييل

كانت من وحدات المكاييل فى المدينة المنورة الغرارة وهو مكيال دمشقى فى الأساس، يماثل الإردب المصرى، والغرارة تعادل ثلاثة أرادب مصرية[4]، ونظرًا لاعتماد الحجاز على ما تنتجه مصر من الغلال والحبوب، فإن الإردب المصرى[5] يساوى أربعة وعشرين صاعًا حجازيًا، والويبة تساوى أربعة وعشرين مدًا[6].

كذلك كان من أكثر وحدات المكيال فى المدينة، الصاع والمد، ويحسب الصاع أربعة أمداد، ويباع بالصاع والمد الحنطة وسائر الحبوب، أما الويبة فهى وحدة مكيال مصرية

---

(١) السخاوى، التبر المسبوك فى ذيل السلوك، الجزء الأول، (٨٤٥-٨٥٠هـ/ ١٤٤١-١٤٤٦م)، تحقيق أ.د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ص ١٧٥.

(٢) ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشى ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م، معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق/ محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٣٨.

(٣) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٧٥.

(٤) القلقشندى، نفس المصدر، ج ٤، ص ٢٠٥.

(٥) الإردب: مكيال مصرى للحنطة وهو أكبر وحدة للمكيال يتألف من ست ويبات كل ويبة ثمانية أقداح كبيرة أو ستة عشر قدحًا صغيرًا ويساوى أربعة وعشرين صاعًا حجازيًا. انظر: ابن فضل الله العمرى، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (مخطوطة)، أصدر جزءًا منه فؤاد سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا إيكهارد نويباور، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية فى إطار جامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، ١٩٨٨م، الجزء الثالث، ص ٢٠٠؛ المقريزى، النقود الإسلامية، ص ١٠٨؛ انظر أيضًا: فالتر هنتش، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة/ كامل العلى، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م، ص ٥٨؛ الشرباصى، المعجم الاقتصادى الإسلامى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م، ص ٦٤.

(٦) على بن حسين السليمان، النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية، ص ٢٦٧.

تعادل عشرة أمنان أو ١٦٨ و ١٢ كجم قمحًا[1]، وكان على المحتسب الإشراف على الموازين والمكاييل، كما كان له أن يأمر أصحاب الموازين بمسحها وتنظيفها من الأوساخ فى كل ساعة، حتى لا تحمل شيئًا فيضر بالمشترى، ويقوم على التأكد من المقاييس كما هى محددة[2].

هـ- المقـاييـس

كانت وحدة القياس المستخدمة لقياس الأقمشة الذراع[3]، والذراع المستخدم فى المدينة المنورة هو الذراع الدمشقى[4]، الذى يزيد عن الذراع القاهرى والمكى بنصف السدس وهو قيراطان، حيث كان الذراع القاهرى طوله ذراع بذراع اليد وأربع أصابع مطبوقة، وهو ما عرف بذراع البز ويساوى ٥٨,١٨٧ سم[5]. وكذلك من المقاييس المستخدمة القيراط وهو مقياس مصرى لقياس المساحة[6].

ثانيًا ـ السياسة الاقتصادية للمماليك الجراكسة

أ- سـياسـة الاحتكــار

كان اتباع سلاطين المماليك الجراكسة لسياسة الاحتكار، مما زاد إلى حـد كبير من سوء الحالة الاقتصادية[7]، ولعل من أسباب لجوء هؤلاء السلاطين إلى تلك السياسة، هو ظهور العثمانيين وسيطرتهم على بعض مراكز التجارة، مما أدى إلى حرمانهم من مواردها، بالإضافة إلى كثرة الفتن والحروب التى زادت من طلب الدولة للمال؛ لتغطية

(١) أحمد الشرباصى، المعجم الاقتصادى الإسلامى، ص ٤٨٧.
(٢) ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٨٣ – ٨٨.
(٣) الذراع: عبارة عن ست قبضات وذراع الثوب يقاس بها. انظر: أحمد الشرباصى، المعجم الاقتصادى الإسلامى، ص ١٧٩.
(٤) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٠٢.
(٥) القلقشندى، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٤٣.
(٦) فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٨.
(٧) توفيق اليوزبكى، تاريخ تجارة مصر فى العصر المملوكى، ص ١٣٤.

النفقات وحماية نظامها، هذا بعض مما دفع مماليك الجراكسة إلى الاشتغال بالتجارة، وتطبيق نظام الاحتكار[1]، فكانت هناك المصادرات، كما فرضت على التجار إتاوات كبيرة ومغارم فادحة[2]، وكان لتزييف النقود أثر كبير فى اضطراب المعاملات التجارية، وما يصاحب ذلك من ارتفاع الأسعار وقلة الغلال[3]، حيث كانت سياسة احتكار المواد الغذائية والبضائع الضرورية، صفة اتصف بها سلاطين القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى من الجراكسة، رغبة منهم فى تحقيق المزيد من المكاسب الشخصية على حساب المواطنين الذين كانوا ضحية لهذا الجشع[4].

ورغم ما كان يتمتع به كل من ميناء جدة وينبع من رواج تجارى، فإن العلاقات بين سلاطين المماليك الجراكسة وأشراف بلاد الحجاز، كانت قائمة على استغلال كل ما يحقق مصالحهم، تعويضًا عن تدهور الأحوال الاقتصادية فى مصر، حيث عملوا على السيطرة على التجارة، وخاصة فى جدة وحولوها إلى الخزانة المصرية، وذلك باتباع الأساليب الاحتكارية مثل جباية الأموال برفع قدر المكوس على مختلف السلع والبضائع التجارية[5]، كما سيطر الطابع المالى على طبيعة العلاقة بين سلاطين المماليك وأهل الحجاز خاصة أشراف مكة؛ حيث قرر السلاطين مشاركة أمرائها فى المكوس وعشور التجارة، ثم ما لبثوا أن انفردوا بها دونهم[6].

ولما كانت الأسواق هى المرآة الصادقة لجميع تلك المظاهر، فهى تعكس فعلًا

(١) عثمان على محمد عطا، الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى وأثرها السياسى والاقتصادى والاجتماعى (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، تاريخ المصريين (٢١٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٧٥.

(٣) حامد زيان غانم، الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٥.

(٤) حياة ناصر الحجى، أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى سلطنة المماليك فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع والخامس عشر الميلاديين، الكويت، ١٩٩٥م، ص ٦٧.

(٥) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠٩.

(٦) إبراهيم حسن سعيد، البحرية فى عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٣.

كل ما كان يحدث من مؤثرات سواء أكانت سلبية أم إيجابية[1]، وهذا أدى إلى عدم استقرار أحوال البيع والشراء؛ حيث شهدت جدة فى عصر الجراكسة بعض الأزمات الاقتصادية، التى ترجع أسبابها إلى السياسة المملوكية تجاه الحجاز أو لأسباب أخرى مثل الإجراءات الاقتصادية التى اضطر السلاطين إلى تنفيذها[2]، ومن هذه الإجراءات التى أدت إلى كثير من الأزمات سياسة الرمى أو الطرح، حيث إن السلاطين لم يقتنعوا بما فرضوه من ضرائب مباشرة على السلع أو على الأسواق والتجار، ولكنهم عمدوا إلى احتكار بعض السلع وفرض شرائها بالأسعار التى يحددونها على أتباعهم والمتعاملين معهم، وكان هذا هو نظام الرمى أو الطرح[3].

واتصف عصر السلطان برسباى، بكثرة الاحتكارات والمكوس، فقاسى الناس من الضرائب الباهظة، وعانى التجار من جراء احتكارات السلطان الكثيرة للبضائع الغالية الثمن مثل الفلفل والسكر وغيرها[4].

وقد علق ابن خلدون على احتكار السلاطين التجارة قائلًا: "إن التجارة من السلطان مضرة للرعايا مفسدة للجباية، وهو غلط عظيم، وإدخال الضرر على الرعايا، من وجوه متعددة منها مضايقة الفلاحين والتجار فى شراء الحيوان والبضائع"[5].

كما انتقد ابن خلدون تصرفات الحكام، واعتبره من المنافسات غير المشروعة، واحتكار لأقوات الرعية، لأن الرعايا متكافئون فى اليسار متقاربون، ومزاحمة بعضهم بعضًا تنتهى إلى غاية موجودهم فإذا رافقتهم " نافسهم " السلطان فى ذلك، وماله أعظم كثيرًا منهم، فلا يكاد أحد منهم يحصل على غرضه فى شيء من حاجاته "[6].

(١) حياة ناصر الحجى، أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى سلطنة المماليك، ص ٢٤٦.

(٢) على السيد على، الحياة الاقتصادية فى جدة فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٣٨، ٣٩.

(٣) على السيد على، الحياة الاقتصادية فى جدة فى عصر سلاطين المماليك، ص ٤١.

(٤) حياة ناصر الحجى، أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى سلطنة المماليك، ص ٢٥٤.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ج ١، ص ١٩٧؛ انظر أيضًا: عثمان على محمد عطا، الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى، ص ١٣٨.

(٦) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

وقد جعل برسباى الاحتكار سياسة رسمية للدولة. ففى سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣٠م أرسل السلطان المراسم إلى الشام والحجاز والإسكندرية بألا يبيع أحد البهار ولا يشتريه إلا السلطان، وحافظ السلاطين من بعده على تلك السياسة، مثل: قايتباى والغورى، مما كان له أثره السيئ على اقتصاديات الدولة[1]. كما كانت سياسة السلطان برسباى ترمى إلى أن يستأثر بجميع المكوس، التى يتم تحصيلها عن السفن الواردة إلى بندر جـدة، ولم يفرق بين التجارة الهندية الواردة من اليمن برًا، وبين التى تصل من الهند إلى جدة مباشرة[2].

أثرت هذه السياسة على تجارة الكارم[3]، حيث أعداد الكارمية فى النقص، حتى إنه لم يعد يظهر منهم أحد فى الأسواق المصرية منذ سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م، كما أن المصادر لم تذكر عنهم شيئًا منذ سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م، وهكذا قضى الاحتكار على هذه الطبقة التى تمثل الرأسمالية التجارية، والتى كان فى مقدرتها إعانة الدولة ماديًا على مواجهة الأخطار الخارجية التى تعرضت لها، خصوصًا فى الفترة التى خوت فيها خزانة الدولة من الأموال[4].

---

(١) عثمان على محمد عطا، الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى، ص ١٤١.

(٢) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر فى عصر المماليك الجراكسة، ص ٨٦.

(٣) الكـارمية: أرجع البعض أصلهم إلى كلمة الكانم نسبة إلى إحدى الفرق السوادنية المشتغلة بهذة التجارة بينما أرجع آخرون نسبتهم إلى لفظة Kuararima الأمهرية وتعنى الحبهان وهو تابل تاجروا به كذلك أرجعهم آخرون إلى اسم السلعة التى كانوا يجلبونها وهى العنبر أو الكارم وذهب البعض إلى أن نسبتهم ترجع إلى أصل هندى؛ لأن لغة جنوب الهند (التاميل) توجد بها كلمة كاريام Kaeyam وتعنى الأعمال أو الأشغال وعلى خلاف ما سبق ذكر الشاطر بصيلى أن الكلمة من مقطعين: كار بمعنى الحرفة أو العمل أو التجارة أو الوظيفة ويم بمعنى المحيط أو البحر، ثم أسقطت العامة حرف الياء فأصبحت كارم وتعنى حرفة التجارة فى البحر وبدأ هؤلاء نشاطهم فى المحيط الهندى، ثم أسسوا لهم مراكز على ساحل الخليج العربى والبحر الأحمر وإلى جانب كونهم مسلمين كان فيهم أيضًا يهود. انظر: صبحى لبيب، التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع، مايو ١٩٥٢م، ص ٦، ٧، ١٢؛ عطية القوصى، أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثانى والعشرين، ١٩٧٥م، ص ١٧ ـ ٢٦.

(٤) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجـارة مصر فى عصر المماليك الجراكسة، ص ١٠٠.

ولا شك أن هذه السياسة الاحتكارية كان لها أثر سيئ على الأحوال فى الحجاز بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص؛ حيث أدت إلى ارتفاع الأسعار وقلة البضائع المعروضة، مما زاد من وقوع الاضطرابات والفتن.

ب- فــرض المكـوس

المكوس جمع مكس، وقد عرفت الضريبة التى تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق أو الأموال التى تحصل لموظفى الدولة وللديوان باسم المكوس منذ الدولة الفاطمية[١]. والمكوس مورد غير شرعى لا يوجد لها سند شرعى، اعتمد عليه سلاطين المماليك فى فرضها، كما لم تكن جميع المكوس من ابتكار عصر سلاطين المماليك، بل كان بعضها موروثًا عن العصور السابقة[٢].

والمكوس بدايتها إجراء استثنائى، ثم أصبحت مبدأ معترفًا به بفتوى شرعية، كما لم تعد إجراء وقتيًا يلغى بعد تحسن الأحوال، حيث أدرك السلاطين قدر المبالغ التى يجنيها أمراء الحجاز من التجار والحجاج، إلا أنهم قد ألغوا المكوس على الحجاج وعلى أهالى الحرمين الشريفين تقديرًا لظروفهم، وبقى ما كان على التجار[٣]. وقد صار المكس على التجارة تقليدًا متبعًا يقوم الأشراف بتحصيله، ويدور الصراع بينهم على نصيب كل أمير فيه[٤]، حيث كان للأشراف حق تحصيل المكوس لصالحهم من التجار الذين يأتون برًا من اليمن أو العراق فى الموسم، أو من الذين يأتون من اليمن بحرًا.

وقد تعارضت مصالح الأشراف مع سلاطين الجراكسة، فى أحقية كل منهما فى هذا المورد[٥]، فقام سلاطين المماليك بتعويض أمراء الأشراف عنه، لكن هؤلاء لم يقنعوا

---

(١) توفيق اليوزبكى، تاريخ تجارة مصر فى العصر المملوكى، ص ١١٦.

(٢) سوزان مصطفى محمد، الأوضاع السياسية والحضارية لمصر فى عصر السلطان أبو سعيد الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م)، الجزء الأول، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، إشراف أ.د/ عبد العزيز محمود عبد الدايم، أ.د/ رأفت محمد النبراوى، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٨٨.

(٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٦٩، ١٧٠؛ آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٢٠.

(٤) المقريزى، السلوك، ج ٢، ٨٨٧؛ انظر أيضًا: أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١١٦.

(٥) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر فى عصر المماليك الجراكسة، ص ٨٥.

بذلك، حيث كانوا ينتهزون أى فرصة لتجديد فرضها، على الرغم من وصول الأموال الخاصة بهم مع ركب الحاج المصرى[1]، كذلك لم تكن هذه المكوس ثابتة بل قابلة للزيادة والنقصان حسب حاجة السلاطين إلى المال وحسب كمية الموارد[2]. ويذكر الفاسى أن المكس كان يفرض على كل ما يدخل مكة والمدينة، حيث يؤخذ على كل ما يؤكل وما يجلب من الحبوب والخضراوات والثمار والغنم والخشب، إضافة إلى كل ما يباع من السمن والعسل والثياب وغيرها[3].

فمنذ القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى استغل سلاطين المماليك الجراكسة مركزهم فى بلاد الحجاز فجعلوا المكوس من موارد الخزينة السلطانية فى مصر، ويرى بعض الباحثين أن هذا التصرف من جانب سلاطين المماليك، كانت له أسبابًا قوية فحالة دولتهم الاقتصادية منذ بداية القرن التاسع الهجرى دفعت السلطان برسباى إلى احتكار التجارة وفرض المكوس وغالى من جاء بعده من السلاطين فى تطبيق هذه السياسة[4].

فقد شهدت سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م لأول مرة ما يعرف فى اصطلاح جامعى الضرائب فى العصر الحديث باسم (الازدواج الضريبى)، وتحصيل الضرائب أكثر من مرة فى أكثر من مكان واحد، فعلى أثر إجهار النداء وقتها فى يوم عرفة لجميع الناس "أن من اشترى بضاعة للتجارة وسافر بها إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان"[5]، كان مما جعل التجار القادمين من الشام يسافرون عند العودة مع المحمل المصرى، ليؤخذ منهم مكوس بضائعهم، ولما تم ذلك عادوا إلى بلادهم بالشام فأخذ منهم المكس ببلادهم مرة أخرى، فى سابقة تعد الأولى من نوعها، ولم يسع التجار إزاء تلك الإجراءات إلا الخضوع أو التحول إلى عدن، فخشى السلطان برسباى أن يتحول التجار إلى ميناء عدن، فقرر تخفيض المكوس على التجار الواردين لمكة[6].

---

(١) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١١٨.

(٢) توفيق اليوزبكى، تاريخ تجارة مصر فى العصر المملوكى، ص ١١٥.

(٣) الفاسى، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٤) آمنة حسين محمد على جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٢٠.

(٥) المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٧٢٢؛ انظر أيضًا: إبراهيم حلمى، المحمل، مكتبة التراث الإسلامى، د. ت.، ص ٢٥٤.

(٦) إبراهيم حسن سعيد، البحرية فى عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٦.

وهكذا كان يأتى إلى مصر وحدها كل ما يرد إلى البحر الأحمر من بهار المحيط الهندى، لا لكى يحتكره السلطان بل لكى يحصل على رسوم جمركية أخرى، وذلك خلاف ما حدث من قبل فى جدة ثم فى الطور ثم فى القاهرة، وتؤخذ الضرائب مرة رابعة عند رجوع التجار ببضاعتهم إلى الشام[1].

وإذا كان سلاطين المماليك قد فرضوا المكوس على التجارة بالحجاز واحتكروها - مما أدى إلى ارتفاع الأسعار - إلا أنهم اهتموا بشئون الحرمين، وألغوا ما كان يجبى من الحجاج ومن أهالى الحرمين، ولم يخفف ذلك من مرارة ما فرضوه من مكوس على تجارة الحجاز[2].

لقد استغل سلاطين الجراكسة ازدهار أحوال التجارة فى بلاد الحجاز فى بعض الفترات لصالحهم، وسعوا إلى بسط سلطتهم لتحصيل الضرائب والمكوس، واحتكار التجارة لما تعود به عليهم من ثروات، كانت دولتهم فى أمس الحاجة إليها فى فترات سوء أحوالها الاقتصادية، إلا أن سياسة الاحتكار للتجارة، وإن كانت قد حققت لسلاطين المماليك أرباحًا وافرة، إلا أنها عادت على البلاد بأوخم العواقب، وكانت إحدى عوامل سقوط دولة سلاطين المماليك الجراكسة[3].

حيث امتنع التجار عن المجىء إلى مكة والمدينة عن طريق جدة، إضافة إلى أن البرتغاليين حالوا الوصول إلى منابع هذه الثروة مباشرة دون مرورها عن طريق البحر الأحمر، وهو ما أدى فى النهاية إلى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٢٩م، حيث بدأ ميناء جدة يفقد أهميته الاقتصادية وبدأ فى الانهيار[4]، ويمكن القول إن البحر الأحمر لم يحظ فى تاريخه الطويل خلال العصور الوسطى بنشاط تجارى، بمثل ما حظى به خلال العصر المملوكى.

---

(١) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر فى عصر المماليك الجراكسة، ص ٩١.

(٢) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٢١.

(٣) آمنة حسين جلال، المرجع نفسه، ص ١٩٢.

(٤) فاروق أباظة، عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٩؛ أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١١٠.

ج ـ تأمين طرق التجارة

بذل سلاطين المماليك الجراكسة جهدًا كبيرًا لتأمين طرق التجارة ببلاد الحجاز بصفة عامة، والمدينة المنورة بصفة خاصة، حيث أرسلوا الكثير من الحاميات لتأمين طرق التجارة البرية، فى مرافقة الحاج ولصد أى اعتداء من الأعراب، كما كان لتأثير الظروف الجديدة لبلاد الحجاز وما صاحب ذلك من ازدهار اقتصادى، أن وجد سلاطين المماليك أنه من الأفضل وجود قوة لهم فى موانئ الحجاز، وخاصة جدة عند وصول البضائع إليها لضبط الأمن[1]، كما عملوا على الإشراف على جباية المكوس؛ حيث كان يقيم فى جدة موظف تابع للسلطان.

يتبين من ذلك ضعف اعتماد السلاطين على أمراء الحجاز، رغم أنهم كانوا فى كثير من الأحيان يحملون لقب نائب السلطنة[2]، ففى بداية دولة المماليك الجراكسة اهتم السلطان برقوق بالحجاز، وأن يكون أمراؤه وخاصة فى مكة شخصية قوية يدين له بالطاعة، حتى يضمن أمان طرق تجارة البحر الأحمر، ذلك لأنه اعتمد على التجارة كمورد مهم من موارده، فضلًا عن أنه احتكر بعض السلع التجارية[3].

كذلك قام سلاطين المماليك، بالتصدى لمحاولات البرتغاليين الدخول إلى موانئ البحر الأحمر؛ حيث أرسل السلطان الغورى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م حملة بحرية بقيادة الأمير حسن الكردى بخمسين سفينة، فقام الأخير بتحصين ميناء جدة، وإنشاء الأبراج الدفاعية وجهزها بالمعدات الحربية؛ لأن جدة هى مفتاح الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)[4].

---

(١) أحمد عبد الحميد خفاجى، موقف مصر من الحجاز فى عصر المماليك الجراكسة (٨٤٢-٩٢٣هـ/ ١٤٣٨-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٨م. ص ١٦.

(٢) ك. سنوك هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٩٤.

* من ذلك أنه فى سنة ٨١١هـ أضاف السلطان الناصر فرج إمارة المدينة المنورة وإمارة ينبع وإمارة خليص والصفراء وأعمالهم إلى الشريف حسن بن عجلان أمير مكة، وكتب له بذلك توقيعًا وهذا شيء لم ينله أمير مكة قبله فى هذا الزمان. انظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٧٤.

(٣) حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٥٥.

(٤) أحمد دراج، المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٣٧؛ إبراهيم حسن سعيد، البحرية فى عصر سلاطين المماليك، ص ١٨٣.

ثالثًا ـ أثـر الأوقـاف والصـدقـات عـلـى الحـيـاة الاقتصادية فى المدينة المنورة

للفقهاء تعريفات كثيرة للوقف[1]، اختار الشيخ محمد أبو زهرة ما قاله ابن حجر فى فتح البارى، ووصفه بأنه أجمع تعريف لمعانى الوقف، وهو أنه:"قطع التصرف فى رقبة العين التى يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداءً وانتهاءً"[2]؛ فنظام الوقف شديد الارتباط بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إلى جانب ارتباطه الوثيق بالجوانب الروحية والأخلاقية[3].

وعند قيام دولة المماليك فى مصر، فى منتصف القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، كان نظام الوقف نظامًا راسخًا داخل المجتمع، وانعكست آثاره فى النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، لذلك كان العصر المملوكى هو العصر الذهبى لنظام الوقف[4].

---

(١) الوقف فى اللغة: يعنى الحبس والمنع وقفت الدار وقفًا؛ أى حبستها فى سبيل الله والجمع أوقاف وهو مصدر من وقف ويستعمل فى الأمور الحسية والمعنوية فمن استعماله فى الأمورالحسية مثل قول: وقفت السيارة أو الطائرة إذا امتنعت عن السير ومن استعماله فى الأمور المعنوية مثل قول: وقفت حياتى على الدراسة أو على تربية الأولاد وقد اشتهر المصدر أى الوقف من الموقوف فقيل هذه الدار وقف أى موقوفة ولذا جمع على أفعال فقيل وقف وأوقاف كوقت وأوقات الوقف فى الاصطلاح: اختلف أئمة الفقهاء فى تعريف الوقف ومرجع ذلك الاختلاف هو اختلافهم فى فهم المعنى المراد من قول الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن شئت حبست أصلها وتصدقت بها - وهو الأساس الذى بنى عليه تشريع الوقف وفيما يلى بعض تعريفات أئمة الفقهاء، الإمام أبو حنيفة عرف الوقف بأنه: حبس العين عن ملك الواقف والتصدق بمنفعتها على جهة من جهات البر فى الحال أو المآل أى أنه تبرع بريع العين تبرعًا غير لازم مع بقاء العين نفسها على ملك الواقف ومع بقائها محلًا لأى تصرف تمليكى من مالكها وكل ما يترتب على الوقف هو: التبرع بالمنفعة ومن ثم فإن الوقف فى مذهب أبى حنيفة تصرف غير لازم". انظر: عبد الواحد محمود عبد الله يوسف، الوقف ودوره فى تنمية المجتمع، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، إشراف مستشار/ محمد شوقى الفنجرى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٣- ١٥.

(٢) إبراهيم البيومى غانم، الأوقاف والسياسة فى مصر، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٤٥.

(٣) إبراهيم البيومى غانم، المرجع نفسه، ص ٤٦.

(٤) محمد محمد أمين، الأوقـاف والحياة الاجتماعية فى مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، دراسة تاريخية وثائقية ، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٧٠.

من ناحية أخرى اهتم سلاطين وأمراء المماليك، وسائر أفراد المجتمع، بالوقف على مصالح الحرمين الشريفين بصفة عامة، والمدينة المنورة بصفة خاصة؛ حيث شكل الوقف موردًا اقتصاديًا مهمًا فى المدينة المنورة[1].

وتحققت الكثير من المنافع من ريع الأوقاف، فأنفق منها على عمليات شراء الطعام والحبوب والملابس ومواد البناء وغيرها، مما أنعش الحياة الاقتصادية وأحدث رواجًا فى الأسواق، وكذلك ساعدت الأوقاف على ازدهار طرق التجارة، بما وفرته من رعاية لطرق ركب الحاج البرى والبحرى، تتمثل فى حفر الآبار وتمهيد الطريق خدمة للحجاج[2]، ففى سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م خلال سلطنة برقوق الثانية، وقد عرف عنه أنه كان كثير الصدقات، أوقف ناحية بهتيت[3] على سحابة[4] تسير مع قافلة الحج فى كل سنة، ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج، وتصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهابًا وإيابًا[5].

كما أوقف على الحرمين الشريفين، فى كل سنة ثلاثة آلاف إردب قمح تفرق فيهما، وفى أوقات الغلاء، يفرق كل يوم أربعين إردبًا يصنع منها ثمانية آلاف رغيفًا، فلم يمت

---

(١) أحمد هاشم بدر شينى، أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية فى مكة والمدينة، ص ١٠١.

(٢) أحمد هاشم بدر شينى، المرجع نفسه، ص ١٠٢.

(٣) بهتيت: هى بهتيم من ضواحى محافظة القليوبية (رمزى، القاموس الجغرافى، ص ١٢) وهى من المدن المصرية القديمة اسمها المصرى " حتب حيم " بها آثار قديمة والقبطى " بهتيت " وذكرها ابن دقماق فى كتاب الانتصار فقال:"بهتيت من المدن القديمة وبها كيمان وآثار قديمة وهى إلى جانب قرية الأميرية من ضواحى القاهرة وذكرها المقريزى فى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٢٠) عند الكلام على ضواحى القاهرة باسم بهتين ثم حرف اسمها بعد ذلك من بهتيت وبهتين إلى بهتيم وهو اسمها الحالى وهى الآن قرية زراعية من قرى ضواحى القاهرة وقد اتخذت الجمعية الزراعية الملكية جزءًا من أراضى هذه البلدة حقولاً للتجارب الزراعية وأنشأت بها مزرعة نموذجية كبيرة وحظائر لتربية الخيول العربية وأنواع البقر والجاموس والأغنام والدواجن وغيرها وتقع بهتيم فى شمال القاهرة على بعد سبعة كيلو مترات ومساحة أراضيها ٢٦٣٢ فدانًا وسكانها قرابة ٦٠٠٠ نسمة بما فيهم سكان العزب التابعة لها وعددها ٣٣ عزبة. انظر: ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١٥٦؛ انظر أيضًا: محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٢.

(٤) السحابة: يريد بالسحابة هنا طائفة ممن يرافقون الحاج للمحافظة عليه.

(٥) ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٠٨.

فيه أحد من الجوع[1]، وفى سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م حج صاحب كلوة الملك المنصور حسن[2]، وأحسن إلى أعيان مكة والمدينة[3].

وفى سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م أرسل مراد الثانى العثمانى[4] ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار من ماله الخاص لفقراء الحرمين[5]، وكذلك ما مقداره ٣٥٠٠ فلورين، كما أوقف محاصيل القرى الواقعة فى منطقة باليق حصار من أعمال أنقره لفقراء الحرمين الشريفين، وأوصى عند وفاته بتخصيص ضعف المبلغ المذكور أعلاه، مناصفة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة[6].

وفى سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م بعث الأشرف برسباى، مركبًا فيه قمح صدقة على أهل الحرمين[7] وأمر عليها الأمير أقبغا التركمانى[8] حيث بدأ بالمدينة المنورة، وفرق خمسمائة إردب قمح على القضاة والعلماء والفقهاء والخدام والأشراف والأيتام والأرامل، ثم وصل إلى مكة وفرق بها ما عم أهلها[9]، كذلك فإنه فى سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م وصل

---

(١) ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٠٩.

(٢) الحسن بن سليمان " ٧٩٣- ٨١٥هـ/ ١٣٨٩-١٤١٢م " سلطان كلـوة الإسلامية التى تنتسب إلى مدينة كلوة التى أنشئت فى أواخر القرن الرابع الهجرى على أرجح الأقوال على الطرف الشمالى الغربى لجزيرة صغيرة تقع أمام الساحل الشرقى لإفريقية وتعرف بهذا الاسم أيضًا وتقع على بعد نحـو ٢٤٠ كيلو مترًا إلى الجنوب من مدينة دار السلام عاصمة تنزانيا الحالية. انظر: سليمان عبد الغنى مالكى، سلطنة كلـوة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٧ـ ٤٥.

(٣) الجزيرى، درر الفرائد المنظمة، ج ١، ص ٦٨٢.

(٤) مـراد الثانى العثمانى ابن السلطان محمد بن يلدرم تسلطن سنة ٨٢٤هـ وكان ملكًا مطاعًا وصدقاته كثيرة للحجيج ومدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة. انظر: عبد الله بن حسين العصامى، سمط النجوم العـوالى فى معرفة الأوائل والتوالى، الجزء الرابع، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ص ٦٥، ٦٦.

(٥) عائشة مانع عبيد العبدلى، إمـارة الحج فى عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمـكة المكـرمة (٦٤٨- ٩٢٣هـ)/(١٢٥٨-١٥١٧م)، دراسة تاريخيـة تحليلية، رسالة ماجستير فى التاريخ الإسلامى، إشراف د/ جميل عبد الله المصرى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٢٠.

(٦) محمد عبد اللطيف هريدى، شئون الحرمين الشريفين فى العهد العثمانى فى ضوء الوثائق التركية العثمانية، ص ١١.

(٧) عائشة مانع عبيد العبدلى، إمـارة الحج فى عصر الدولة المملوكية، ص ١٢٠.

(٨) أقبغا التركمانى الناصرى فرج: أمره الأشرف برسباى أمير عشرة وولاه إمرة الحج ثم نيابة الكرك وكان كريمًا توفى سنة ٨٤٣هـ. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣١٦.

(٩) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٦٣٤.

الشيخ عبد الرحمن المذكو من بلاد كلبرجة[1]، ومعه الكثير من الصدقات محملة فى المراكب لأهالى الحرمين، ومال يشترى به حدائق فى المدينة المنورة، توقف على أشراف المدينة، كما فرق على أهالى المدينة بعض المال[2].

كما قام الأمير شاد بك الجكمى[3] أمير الحاج لسنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، بصحبة الأمير حسن ناظر الإسكندرية، بتوزيع كثير من الذهب والدقيق والحلوى والسكر على الفقراء والمنقطعين.

وفى سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، خلال قيام وزير السلطان العثمانى مراد الثانى، بأداء فريضة الحج، حمل معه مالًا جزيلًا للمستحقين فى الحرمين[4].

لم يكتف العثمانيون بذلك بل عقدوا معاهدة مع سلاطين المماليك سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م، لنقل الحاصلات المخصصة لأوقاف الحرمين الشريفين إلى الإسكندرية، وورد فى "عاشق باشا" الأمر بإرسال الرئيس كمال إلى الإسكندرية بغلال الحرمين الشريفين سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م[5].

ولما كانت المدينة تمتاز بكثرة الآبار والعيون، فقد أسهمت الأوقاف فى تحسينها وتعميرها وتجديدها، حتى يعظم النفع منها، لذلك قام السلطان قايتباى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م بترميم عين الزرقاء فى المدينة، على يد شمس الدين بن الزمن،

---

(١) كلبرجة: تقع بإقليم الدكن بالهند يحكمها فى ذلك الوقت ملوك آل بهمان وهم مسلمون وساحلها الديبل. انظر: ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٩٢٩.

(٢) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٦؛ الجزيرى، درر الفرائد المنظمة، ج ١، ص ٧١٧.

(٣) الأمير شاد بك بن عبد الله الجكمى أحد المقدمين الألوف تنقل فى الخدم إلى أن صار أمير طبلخانه وثانى رأس نوبة فى دولة الأشرف برسباى انضم إليه الظاهر جقمق بإمرة منه وتقدمه ألف توفى مقهور فى شهر ربيع الأول عام ٨٥٤هـ. انظر: ابن تغرى بردى، الدليل الشاق على المنهل الصافى، الجزء الأول، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٣٣٩؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٨٩.

(٤) عائشة مانع عبيد العبدلى، إمارة الحج فى عصر الدولة المملوكية، ص ١٢٢.

(٥) محمد عبد اللطيف هريدى، شئون الحرمين الشريفين فى العهد العثمانى، ص ١٢.

وبإصلاحها جرى ماؤها إلى المدينة، مما كان له أثره على الحياة المعيشية والاقتصادية لأهل المدينة[1].

ولعل من أهم أنواع الأوقاف ذات التأثير الكبير على الحياة الاقتصادية فى المدينة المنورة.

* وقف الدشيشة الكبرى[2]

هى أكبر الأوقاف للحرمين الشريفين عامة ولأهل المدينة خاصة، التى خصصها السلاطين الجراكسة داخل مصر، ويذكر أحد الباحثين الأجانب عن مؤسس وقف الدشيشة الكبرى أنه هو محمد بك جراكسة قائلًا: "وقد كان وقف السلطان محمد بك جراكسة حاكم مصر الأسبق قد أسس وقف دشيشة كبرى واحترم تصرفه هذا السلطان سليم".

قام الدكتور محمد على فهيم بيومى بتحليل ذلك قائلًا إنه إذا كان هذا الباحث يرى أن محمد بك جراكسة هو المؤسس لوقف الدشيشة الكبرى، فإن أحد الباحثين المصريين يرى أن " أصل هذا الوقف ما أنشأه السلطان جقمق والسلطان الأشرف قايتباى ".

وقال فى تحقيق ذلك أنه بالبحث عن اسم محمد بك بين مماليك الجراكسة، لم يجد غير الصالح محمد بن ططر[3]، الذى حكم أربعة أشهر وأيام، وهى ليست مدة كافية

---

(١) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٨، ص٢٦٠، ٢٦١؛ الفاسى، شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٤؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ٢١٠؛ أحمد هاشم أحمد بدر شيبنى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣٢٤، ٣٢٥.

(٢) الدشيشة: فى الأصل حساء بهريسة القمح واللحم كان يطلق على أوقاف الحرمين الشريفين أوقاف الدشايشة مع إن الأوقاف كانت لإطعام أهالى الحرمين الدشيشة وغيرها أشار إليها ابن إياس بقوله: "لما حج السلطان أشرف قايتباى سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م رأى أهل المدينة المشرفة فى فاقة زائدة من عدم الأقوات فنذر أن يفعل بالمدينة خيرًا يكون مستمرًا من بعده فأخرج من ماله الخاص ليشترى به ما يوقفه على هذه المدينة من ضياع وأماكن وربوع وغير ذلك ما يصنع بالمدينة فى كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك كما يفعل بمدينة الخليل عليه السلام". انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٥؛ انظر أيضًا: مصطفى محمد رمضان، وثائق مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العصر العثمانى، من أبحاث المؤتمر الدولى لتاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثانى، جامعة الرياض، ١٩٧٩م، ص ٢٧١.

(٣) الصالح محمد بن ططر: هو الملك الصالح ناصر الدين أبو السعادات بن الظاهر تسلطن فى يوم موت أبيه

لإنشاء وقف ضخم مثل وقف الدشيشة الكبرى، ومن المستبعد أن يكون هو صاحب هذا الوقف، كما أن محمد بن ططر لم ينسب إليه وقف لا على الحرمين الشريفين ولا على غيرهما، وإن أول إشارة إلى الدشيشة كانت فى عصر السلطان جقمق، على حسب قول السخاوى:"وقرر لأهل الحرمين دشيشة للفقراء فى كل يوم، ولكثير منهم رواتب الذخيرة كل سنة "[1].

ومنه يتضح أن السلطان جقمق هو المؤسس الحقيقى لهذا الوقف، تبعه فى ذلك السلطان قايتباى، الذى أضاف إليه العديد من الأوقاف، ومن خلال ذلك نصل إلى أن ما ذكره الباحث الأجنبى ليس ذا محل، كما أنه ليس السلطان قايتباى الذى تولى السلطنة بعد جقمق بخمسة عشر عامًا تقريبًا، وإنما المؤسس الحقيقى لهذا الوقف هو السلطان جقمق، يؤكد ذلك وثيقة وقفه التى تبين أنها تؤول إلى الحرمين الشريفين فى حالة فقد الذرية، وربما كان ذلك هو ما حدث، وهو ما ذهب إليه كذلك الدكتور إستانفورد شو[2]، كما أشارت حجة وقف قايتباى بالصرف على تجهيز سماط لعمل الدشيشة والبر فى المدينة المنورة[3].

كذلك أشار السمهودى بقوله: "وقد شرعوا فى عمارة سبيل وفرن وطاحون ومطبخ للدشيشة ووكالة ذات حواصل فى الدُور التى اشتراها قبل ذلك السلطان من دُور العباسة... ثم كتب إلى بعض الثقات بتحصيل ريع الأماكن التى اشتراها بالقاهرة وأن متحصلها سبعة آلاف إردب وخمسمائة إردب من الحب كل سنة... فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه بحسب عدة عياله لكل فرد سبعة إرادب مصرى... وسوى فى ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد..."[4].

سنة أربعة وعشرين وثمانمائة وخلع فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة، وكانت مدته أربعة أشهر وأربعة أيام وقيل ثلاثة أيام. انظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٧٠.

(١) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧٣.

(٢) محمد على فهيم بيومى، مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر، ص ٦٦.

(٣) حجة وقف السلطان قايتباى المؤرخة فى ١٥ من ذى الحجة سنة ٨٩٥هـ وثيقة رقم (٨٩٠ ق) الأوقاف.

(٤) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٤، ٦٤٥.

* وقـــف الخاصكـية القـديـم[1]

من أوقاف سلاطين الجراكسة[2]، ولا يعرف على وجه اليقين من أنشأ وقف الخاصكية القديم، ولا يعرف كذلك ما علاقة الخاصكية بالوقف على الحرمين الشريفين[3]، وقد أوقفت عليها أوقاف كثيرة فى مصر[4].

* وقــف الحـــرمين الشـريفين

أنشأ وقف الحرمين الشريفين أحد السلاطين الجراكسة، ربما الملك الناصر[5] أو أمه خوندورقان[6]، وقد اتفق الدكتور محمد على فهيم بيومى، مع الدكتورة هيلين آن ريفلين فى أن وقف الحرمين الشريفين، لم يكن وقفًا واحدًا بل الأرجح، وكما تؤكد الوثائق أنه كان مجموعة من الأوقاف يندرج تحت ديوان الحرمين الشريفين، وذكر ويبدو أنه كان وقفًا فى بدايته على الحرمين الشريفين لأحد السلاطين قبل العصر العثمانى، وبعد ذلك كلما أوقف شخص وقفًا صغيرًا ألحقه بوقف الحرمين وهكذا.

---

(١) الخاصكية: جماعة يلازمون السلطان فى خلواته وجولاته وربما أتى هذا الاسم من أنهم يلازمون السلطان واسمهم مأخوذ من الاختصاص وهم يسوقون المحمل ويجهزون المهمات الشريفة والخاصة. انظر: ابن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ١١٦؛ انظر أيضًا: مصطفى محمد رمضان، وثائق مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العصر العثمانى، من أبحاث المؤتمر الدولى لتاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثانى، الرياض، ١٩٧٩م، ص ٧.

(٢) يذكر شو خطأ أن وقف الخاصكية القديمة كان وقفًا واحدًا مع وقف الحرمين الشريفين وأنه الخاصكية القديمة وهذا أوقفه أحد العثمانيين إبان الفترة المبكرة للحكم العثمانى فى مصر وهذا خطأ؛ لأن الوقف أجمعت المصادر القديمة على أنه من أوقاف الجراكسة

Stanford J.Shaw: the financial and administrative organization and developmentof Ottomone Egypt، 1517 – 1798، princton new jersey 1962، pp. 271 -272.

(٣) محمد على فهيم بيومى، مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر، ص ٧٥.

(٤) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٤.

(٥) ربما يقصد السلطان الناصر فرج بن برقوق الذى تولى السلطنة مرتين الأولى فى شوال سنة ٨٠١هـ وخلع منها فى سنة ٨٠٨هـ، ثم أعيد فى جمادى الآخرة سنة ٨٠٨هـ ومات بدمشق فى صفر سنة ٨١٥هـ. انظر: الملطى، نزهة الأساطين، ص ١٢٠، ١٢١، ١٢٢.

(٦) أستيف، كتاب وصف مصر، النظام المالى والإدارى، الجزء الخامس، ترجمة/ زهير الشايب، دار الشايب، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١١٣؛ محمد على فهيم بيومى، مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر، ص ٧٥، ٧٦.

كما يرى أحد الباحثين أن وقف الحرمين، عبارة عن كل الأوقاف المتناثرة للمماليك والأعيان والأثرياء وحتى الفقراء[1]، حيث كان لما شاهده عصر المماليك من ازدهار الظروف الاقتصادية، أثره على انتشار الأوقاف، فالرواج التجارى فى مصر والحجاز، واستفادة المماليك من احتكار التجارة؛ حيث جمعوا ثروات كثيرة، ساعدتهم على تنظيم الأوقاف سواء بدافع سياسى أو دينى[2].

وإن دلت هذه الصدقات والأوقاف على شيء، فإن أهم ما تدل عليه أنها تبين قدر اهتمام حكام وسلاطين وأمراء المسلمين، ليس بأمر المدينة المنورة فحسب، بل بالحرمين الشريفين وبلاد الحجاز عامة، كما يتبين أنها لم تكن ثابتة؛ لأنها تأتى من خارج الحرمين، إذ إنها كانت معرضة للأزمات، فالحالة الاقتصادية للمدينة كانت تسوء مع عدم نزول الأمطار، أو حدوث فتن داخلية أثناء موسم الحج، أو لاضطراب الأمن فى الدولة الإسلامية عمومًا.

مع ذلك فقد ترتب على الوقف فى ذلك العصر، كما يرى البعض مدعاة للبطالة والبعد عن الحياة الجادة، حيث ترتب عليه كثير من النتائج الاقتصادية السيئة، فاعتماد البعض على موارد الأوقاف سواء أكانوا من أصحاب الاستحقاق أم أصحاب الوظائف من المقيمين بالأربطة والزوايا، كان مما قلل لديهم دوافع الرغبة فى العلم والإنتاج.

رابعًا ـ الأزمات الاقتصادية وأثرها على المدينة المنورة

لم تكن الأوضاع الاقتصادية فى الحجاز بصفة عامة، ومكة والمدينة بصفة خاصة،

---

(١) محمد على فهيم بيومى، مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر، ص ٧٧.

(٢) يرى المستشرق Gatteschi أن نظام الوقف كغيره من النظم فى الشريعة الإسلامية قد أخذ عن الشعوب التى كانت خاضعة لحكم الرومان ومنها مصر وأن معابد الرومان Les Aedes Sacroe تشبهها تمامًا مساجد المسلمين - من حيث تأسيسها على الوقف - ورأيه هذا خطأ من حيث إن نظام الأشياء المقدسة - لدى الرومان - كان يشمل فقط المعبد وما فيه من أدوات للعبادة ولا يشمل العقارات الأخرى ذات الريع التى تكون تابعة لتلك المعابد كما هو الحال فى نظام الوقف هذا فضلًا عن أن الوقف من أعمال العبادة والتقرب إلى الله الواحد أما ما عرفه الرومان فقد كان من أعمال الوثنية ولمزيد من التفاصيل فى تفنيد رأى جاتشى. انظر: محمد كامل الغمراوى، أبحاث فى الوقف، ص ٣٣، ٣٤؛ إبراهيم البيومى غانم، الأوقاف والسياسة فى مصر، ص ٨.

مستقرة فى عصر دولة المماليك، بل كانت أسعار السلع ترتفع وتنخفض، بحسب الظروف السياسية والاقتصادية والمناخية السائدة ببلاد الحجاز وما جاورها من بلدان[1].

ولما كان الحجاز يعتمد على المطر فى رى معظم أراضيه، فكان سقوط الأمطار سببًا فى الرخاء الناشئ عن الزراعة، وانخفاض أسعار المحاصيل، وإذا قل المطر أو انعدم أجدبت الأرض وقحطت وجفت الموارد، وارتفعت الأسعار وساد الغلاء[2].

كان حدوث الأزمات الاقتصادية فى المدينة والحجاز بعامة، أمرًا متوقعًا رغم تدفق الصدقات والأوقاف والأعطيات، فالمدينة تعتمد على موارد غير ثابتة مرتبطة بالغير، والتى تظل معرضة لتغير الظروف والأحوال[3].

وعندما كانت المدينة المنورة تتعرض لأزمات اقتصادية، نتيجة القحط والجفاف لعدم سقوط الأمطار، كانت مصر تسرع بإرسال الإمدادات والمعونات، واستضافة من يرحل إليها فرارًا من هذه الأزمات[4]، ويذكر هور خرونيه أن أحد الجغرافيين المسلمين كتب يقول: "إن الحجاز يعتمد على مصر اعتمادًا كبيرًا خاصة فيما يتعلق بالمواد الغذائية"[5]. وبمرور الوقت زاد اعتماد الحجاز على مصر[6]، وعلى الرغم من تدفق هبات وأعطيات سلاطين المماليك لأمراء مكة والمدينة وأهل الحرمين طول العصر المملوكى، فإنه فى بعض السنوات كانت الأمور تختل فى مصر نتيجة انخفاض مياه النيل، مما كان يترتب عليه الجدب والمجاعة والوباء، وخاصة إذا توالى انخفاض الفيضان لبضع سنوات فتشح الأقوات وترتفع أسعار السلع والغلال[7].

(1) Ashtor Eliyahu, East-West Trade In The Medieval Mediterranean Variorur Reprints, london, 1986, P. 291

(٢) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٨٢.

(٣) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٢٠.

(٤) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٣١٥.

(٥) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ١٠٤.

(٦) ك. سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة، ج ١، ص ١٤٣.

(٧) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٢٧.

لم تكن الهبات والأعطيات لأهل الحرمين الشريفين، قاصرة فقط على سلاطين وأمراء وأعيان دولتهم، وإنما كان يتبارى فى تقديمها كل من هو قادر على أداء ذلك، من ملوك وسلاطين وأثرياء المسلمين، طلبًا للمثوبة وتخفيفًا من أعباء الحياة وشظف العيش عليهم، خاصة فى سنوات الجفاف التى تعز فيها الأقوات ويعم فيها الغلاء[1].

ومع ذلك فإن الأزمات الاقتصادية فى المدينة المنورة كانت قليلة بعض الشيء، وكان يخفف من حدتها إرسال الصدقات والأعطيات من المماليك إلى الحرمين بوجه عام والمدينة بوجه خاص[2].

ومن أمثلة تلك الأزمات الاقتصادية التى تأثرت بها المدينة المنورة:

حدث سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م حتى سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م، أن انخفض نهر النيل، وانتشر الوباء وتفشت المجاعة، وكان لذلك أثره على أوضاع وأحوال بلاد الحجاز[3].

سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، وقع القحط فى مصر والحجاز والشام، وكانت أزمة طاحنة فى مصر كما يقول المقريزى: "وطلب كل واحد شراء أكثر مما يحتاج إليه بحسب قدرته بمقتضى حاله من السعة والضيق فتفاقمت الشناعة وعظم الخطر"[4]، فانتهز التجار فى مصر هذه الفرصة، وأخذوا يحولون الغلال من جميع بلاد مصر إلى الشام والحجاز، فأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار الغلال فى مصر، ورخصها فى بلاد الحجاز[5].

سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م قلت الغلال فى مصر وذلك يتكرر سنويًا حيث "أخذ أرباب الأموال فى الاستكثار من شراء الغلال ظنًا منهم أن يبيعوها إذا طلبها المحتاجون بأغلى الأثمان "[6] ولا شك أن بعض من تلك الغلال كانت ترسل إلى بلاد الحجاز بأثمان مرتفعة.

---

(١) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٢٧، ٢٢٨.
(٢) أحمد هاشم أحمد بدر شيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠٦، ١٠٧.
(٣) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٥٤.
(٤) المقريزى، السلوك، ج ٤، ص ٣٣٢.
(٥) عثمان على محمد عطا، الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى، ص ١٥٥.
(٦) المقريزى، السلوك، ج ٧، ص ١٧٤.

سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م، اشتد الغلاء بالحجاز لعدم هطول الأمطار[١]، كذلك فى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م حدث غلاء بالأسعار فى الحجاز، حتى بيعت الغرارة من الحنطة بخمسة عشر دينارًا، وكذلك الذرة والدخن ثم كان الفرج لأهل الحجاز فى آواخر ذى القعدة[٢].

سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م اجتاح مصر وباء شديد، فتوقف بسبب ذلك إرسال الهبات والأعطيات[٣]، وفى سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م كان الغلاء شديدًا بالمدينة المنورة، نتيجة لغرق مراكب فى ميناء الطور، كانت تحمل قمحًا للمدينة، وأثر ذلك على الحرمين الشريفين[٤].

رغم ذلك فإن فترات الرخاء كانت تسود بلاد الحجاز، عندما تسقط الأمطار ويسود الأمن والرخاء، حيث تنخفض الأسعار فلم تكن هناك لذلك مجاعات[٥].

ولا يخفى دلالة هذا فى التأكيد على أن سلطنة المماليك الجراكسة فى مصر كانت تقف دائمًا بجانب أهل الحجاز بصفة عامة وأهل المدينة المنورة بصفة خاصة عند تعرضهم لأزمات اقتصادية.

---

(١) المقريزى، السلوك، ، ص ١٧٧.

(٢) السخاوى، التبر المسبوك، ج ٢، ص ٣٤٧؛ ابن تغرى بردى، حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور، الجزء الثانى، تحقيق/ محمد كمال الدين عز الدين، د. ت.، ص ٣٤٣.

(٣) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٦٥.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٠٣.

(5) Ashtor Eliyahu ، East-West Trade In The Medieval Mediterranean, P. 291, 292.

• الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية فى المدينة المنورة

أولًا ـ طبقات المجتمع

ثانيًا ـ مظاهر الحياة الاجتماعية

ثالثًا ـ المجاورون وأثرهم داخل مجتمع المدينة المنورة

رابعًا ـ الأوقاف والحياة الاجتماعية فى المدينة المنورة

أولًا ـ طبقات المجتمع

انقسم مجتمع المدينة المنورة فى عصر سلاطين المماليك الجراكسة إلى مجموعة متنوعة من الطبقات:

أ ـ طبقة الأشراف

هى الطبقة الأولى فى مجتمع المدينة المنورة، فالأشراف ينتسبون إلى سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه، ومنهم آل الحسن بمكة المكرمة وآل الحسين بالمدينة المنورة[1]، وقد بدأ ظهور طبقة الأشراف سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، حينما استقل أبناء الحسن والحسين بمكة والمدينة وتولوا أمور الحجاز[2]، وأصبح هذا اللقب يطلق على أمراء الحرمين الشريفين وأفراد عائلاتهم، فلم يكن هذا اللقب معروفًا فى بلاد الحجاز من قبل[3]، وتمتع الأشراف داخل المجتمع الإسلامى بمكانة عظيمة؛ حيث تمتعوا بالاحترام والتقدير من قبل الجميع، وقد سكن بعضهم المدينة المنورة وما حولها، وبعضهم سكن منعزلًا عن بقية السكان[4]، وكان اختيار أمير المدينة من بينهم لرفعة مكانتهم.

---

(١) الفاسى، شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٤.

(٢) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٢، ص ٤٠٦؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، الجزء الأول، تحقيق/ جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص ١٠١.

(٣) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٤) أحمد بن محمد البرادعى، الدرر السنية فى الأنساب الحسنية والحسينية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٤هـ ص ٥٩.

ب- طبقة أصحاب الوظائف الدينية

هذه الطبقة كانت ذات شأن عظيم داخل مجتمع المدينة المنورة، وتتمثل فى القضاة والخطباء والقراء والمؤذنين والأئمة وغيرهم[1].

وأجل تلك المناصب كان منصب القضاء، فهى الوظيفة الثانية بعد ولاية إمارة المدينة، فلابد أن يكون القاضى فى المدينة من كبار العلماء والفقهاء لعظمة وظيفته[2]، حيث كانوا يختارون من رجال العلم وأهل الدين، ويقومون على تنفيذ الأحكام الدينية على كل الناس، وقد وجد فى المدينة قضاة لجميع المذاهب فكان لكل طائفة إمامها وقاضيها[3]، كما تمتع القضاة بنفوذ كبير داخل الدولة وباحترام أمراء بلاد الحجاز، وكذلك سلاطين المماليك بمصر، وعاش هؤلاء القضاة فى سعة من العيش نتيجة لما أغدقته الدولة عليهم[4].

وأما خطباء المدينة فهم يأتون بعد القضاة فى مكانتهم، إلا أن السمهودى يحدثنا عن حال بعض الخطباء الذين خالفوا آداب الخطبة فقال: "فلما فرغ من الخطبة الأولى جلس جلسة خالف فيها جلسة الخطباء... هذا الخطيب القليل التوفيق... فمنهم من يطرح له الثوب النفيس... ومنهم من يمد يده بالدينارين... والخطيب فى أثناء هذه الحال كلها جالس على المنبر... إلى أن كاد الوقت ينقضى والصلاة تفوت وقد ضج من له دين وإخلاص من الناس... حتى اجتمع له من ذلك السحت كوم عظيم فلما أرضاه قام وأكمل خطبته وصلى بالناس وانصرف"[5]، وكما كان لكل طائفة قاض، كان لها إمام يؤمها فى صلاتها، فلكل إمام مكان محدد فى المسجد يصلى فيه مع أتباعه[6].

---

(١) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ١٩.

(٢) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٢٩.

(٣) ابن بطوطة، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق/ عبد الهادى التازى، المغرب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٢٧؛ انظر أيضًا: عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٠٦.

(٤) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٢٠ .

(٥) السمهودى، الوفا بما يجب لحضرة المصطفى، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٦) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٠٦.

ج- طبقة المجاورين

يشكل المجاورون جزءًا كبيرًا فى البناء الاجتماعى لمجتمع المدينة المنورة، حيث استقروا واندمجوا مع السكان الأصليين، وهم من أكبر طبقات المدينة عددًا، وتسميتهم تأتى من الجوار والمجاورة، وتعنى المجاورة البقاء فى مكة والمدينة لفترة غير معلومة تنتهى بخروج المجاور من إحدى هاتين المدينتين أو الوفاة بها[1].

وتتكون هذه الطبقة من كثيرين قدموا من مختلف أنحاء العالم الإسلامى للمجاورة بجوار المسجد النبوى، وتعددت بلدانهم خاصة مصر والشام والعراق والمغرب واليمن وفارس وبلاد ما وراء النهر وغيرها. وكان منهم العلماء والتجار وطلبة العلم وأرباب الوظائف الدينية كالأئمة والقضاة وجماعات أخرى وفدت على المدينة، ولفضل المجاورة بها ما لبثوا أن استقروا واندمجوا مع سكانها وشاركوهم فى الحركة العلمية والاقتصادية[2].

وعن مدة مجاورتهم فلم تكن مدة محددة فقد تطول أو تقصر، تبعًا لرغبة المجاور وأحوال المدينة خلال فترة وجوده، فقد يمكث بعضهم بضع سنوات، وآخرون يفضلون الإقامة حتى يدركهم الموت، ومارس العديد منهم بعض الأعمال إضافة إلى تولية الوظائف الدينية، ومنها إمامة الحرم النبوى والأذان والقضاء والتدريس والفتوى، ومنهم طلاب للعلم[3]، وقد نالوا الرعاية من جانب الحكام المسلمين وخاصة من جانب سلاطين المماليك[4].

د- طبقة الأغوات[5]

هم من يقومون على خدمة المسجد النبوى الشريف، بعضهم من أصل حبشى أو صقلبى، وكان صلاح الدين الأيوبى، هو الذى ثبت قاعدة الخدام فى الحرم النبوى،

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٥٣٠، ٥٣١.

(٢) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٣) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة، ص ١٤٤.

(٤) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٢٤.

(٥) الأغوات: جمع آغا والمقصود بها خدام سيد السادات عليه أفضل الصلاة والسلام. انظر: عبد الرحمن الأنصارى، تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق/ محمد العروسى المطوى، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠م، ص ٥٣.

وأوقف عليهم الأوقاف والجامكية[1]، ولهم كتاب بذلك وقفهم فيه على الحرم النبوى الشريف سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م، كان موجودًا لديهم إلى أيام السخاوى[2].

كانت وظيفتهم كما ذكرها السخاوى فى كتابه "التحفة اللطيفة": "حفظ المسجد نهارًا ومباشرة قفل أبوابه والمبيت فيه لحراسته مما هو الأصلى فى ابتكارهم وتنزيل القناديل وتعليقها للتعمير والوقود وغسلها أو مسحها وإسراج ما يوقد منها سحرًا والدوران بعد صلاة العشاء بالقناديل لتفقد من يخشى مبيته ويرجعون عليه بالمنع ولا يبيت فيه إلا الفراش لإطفاء القناديل وفتح الأبواب للمؤذنين وكنس المسجد والروضة والحجرة كل جمعة مع مسح الجدر كل سنة وفرش بساط أمير المدينة"[3]. ومن الملاحظ أن هؤلاء الخدام كانوا يعملون لصالح السلطان المملوكى، حيث كانوا عيونًا على الأشراف ويبلغون السلطان بأفعالهم ليضمن السلطان ولاءهم وتبعيتهم له[4].

هـ - طبقة التجار

إحدى طبقات مجتمع المدينة ذات الأهمية الكبيرة، تتكون هذه الطبقة من التجار الذين يعملون فى التجارة بين الشرق والغرب[5]، حيث يأتون إلى المدينة بالأطعمة والمؤن المختلفة التى تحتاجها ويشترون من أهلها بضائعهم، وخاصة التمر الذى تشتهر به المدينة وتصدره إلى الخارج[6]، وقد قام التجار بدور كبير فى تجارة بلاد الحجاز لاعتماد

---

(١) الجامكية: لفظ فارسى مشتق من جامة بمعنى اللباس؛ أى نفقات أو تعويض اللباس الحكومى وقد ترد بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة والجمع (جامكيات. جوامك. جاكى). انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٥١.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦١، ٦٢.

(٣) السخاوى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦١ - ٦٣.

(٤) جميل حرب، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، م ٢، ص ١٢٢.

(٥) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، ص ٢٣٨.

(٦) محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ص ٢٥٩.

هذه البلاد بالدرجة الأولى على التجارة[١]، لذا كانوا طبقة ثرية داخل المجتمع لما يعود عليهم من ثراء بسبب اشتغالهم بالتجارة[٢].

و ـ طبقة العامة

تمثل هذه الطبقة الغالبية العظمى داخل مجتمع المدينة، فمنها الفلاحون وهم يمثلون فئة فقيرة داخل المجتمع، نظرًا لطبيعة أراضيها قليلة الأمطار[٣]. وهناك الصناع وهم فئة قليلة من السكان نظرًا لازدراء الناس لتلك الحرفة[٤].

فضلا عن أن الحرفة الأساسية عند أهل المدينة هى الرعى، نظرًا للبيئة التى كانوا يعيشون فيها، ولأنها الحرفة المفضلة عند العربى التى تتفق مع طبيعة الأرض[٥].

والحقيقة أن طبقة العامة كانت تتعرض كثيرًا للجوع والفقر وعدم الاهتمام من جانب الأشراف، لذلك كانوا يعتمدون على العمل لتوفير حاجاتهم سواء كبيرهم أو صغيرهم[٦].

ل ـ طبـــقة الأعـــراب

وهم يعيشون خارج المدينة فى المناطق المحيطة بها، وعلى طول الطرق المؤدية إليها، فهم فئة من الناس احترف بعضهم السرقة والنهب والاعتداء على الحجاج وسلب أموالهم، كما ظهر خطرهم أيضًا على أهل بلاد الحجاز[٧].

---

(١) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٠٦، ٢٠٧.
(٢) جميل حرب، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، م ٢، ص ١٢٢.
(٣) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، ص ٢٣٨.
(٤) جميل حرب، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، م ٢، ص ١٢٣.
(٥) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطمين والأيوبيين، ص ٢٣٨.
(٦) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٢٦.
(٧) عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٠٢.

ولم يكن إرضاء هؤلاء الأعراب والقبائل بالأمر اليسير، فكثيرًا ما تعرضوا لقوافل الحجاج بأعمال القتل والسلب والنهب، بل كانوا يغيرون على المدينة المنورة للسلب والنهب أيضًا[1].

ى- طبـــقة العبـــيد

إحدى طبقات مجتمع المدينة التى كثرت زمن سلاطين المماليك بوجه عام والمماليك الجراكسة بوجه خاص، كان منها أتباع الأمير وأعوانه وخواصه، الذين يسهرون على راحته وخدمته، بالإضافة إلى تنفيذ أوامره، حيث كان لكل أمير مجموعة من العبيد يتوقف عددها على مكانته فتكثر أو تقل حسب مركزه[2]، وهؤلاء العبيد من أجناس مختلفة فمنهم الفرس والروم والبربر والأحباش والنوبة والزنج، وكل مجموعة من هؤلاء كانت لهم عاداتهم من الأطعمة والأشربة والملابس[3].

وكذلك كانت هناك مجموعة تعمل فى الحقول والبساتين للخدمة فيها وحراستها ورعى المواشى، ولولا هؤلاء ما قامت زراعة بالمدينة، وكانوا يتقاضون مقابل ذلك بعض من الغلة ومنهم من يقوم بالخدمة فى البيوت وهم يسمون بالنخولة[4]، كما كانت الإماء والجوارى منهم يجلبن من أسواق النخاسة منهن الحبشيات والروميات والشركسيات والعربيات من مولدات المدينة والطائف واليمامة ومصر[5].

---

(١) محمد عبد اللطيف هريدى، شئون الحرمين الشريفين فى العهد العثمانى، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٢، ص ٤٣٨؛ انظر أيضًا: جميل حرب محمود حسين، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، المجلد الثانى، دراسات حول المدينة المنورة من محاضرات النادى الأدبى، الطبعة الأولى، الكتاب رقم (٩٨)، نادى المدينة المنورة الأدبى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٢٣.

(٣) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، مظاهر الحياة الاجتماعية فى مكة والمدينة إبان القرن الثامن الهجرى من خلال كتب الرحالة، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الرابع عشر والخامس عشر، رجب - ذو الحجة ١٤٢٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥م- يناير ٢٠٠٦م، ص ٦٢.

(٤) جميل حرب، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، م ٢، ص ١٢٣.

(٥) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، الجزء الثانى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م، ص ٤٣٢؛ صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٢٥.

ثانيًا ـ مظاهر الحياة الاجتماعية

تعددت مظاهر الحياة الاجتماعية فى المدينة المنورة خلال عصر سلاطين المماليك الجراكسة وتتمثل تلك المظاهر فى الآتى:

(أ) العادات والتقاليد

١ - الـــزواج

كان ولى أمر الفتى يتقدم لوالد الفتاة أو ولى أمرها لخطبتها، ويتم اتفاق أهل العروس مع أهل العريس، وبعدها يقوم خطيب من قبل الزوج ليخطب خطبة نثرية، يذكر فيها مفاخر الزوجة يتبعه خطيب من قبل المخطوبة يعدد فيها مآثر الزوج ومفاخر أسرته، ثم يقبض المهر بأكمله، أما الأسر الفقيرة فكان يؤخذ جزء من المهر الذى يأتى فى صندوق من فضة، توجد به ورقة مكتوب فيها مقدار المهر ومقدار الجارية التى يشتريها والد الزوج لتخدم العروس.

كان أهل المدينة يسرفون فى الجهاز كما يسرفون فى المهور[١]، وفى ليلة الدخول يذهب الزوج إلى المسجد النبوى ومعه أصدقاؤه وأقاربه ومعهم الشموع، فيدخل ويسلم على الرسول ﷺ[٢].

ويتم عقد النكاح بالمسجد النبوى الشريف، ثم يتم عمل حفل للزواج الذى يختلف من أسرة إلى أخرى، حسب مستواها المادى، غير إن الزوج يذهب فى الليلة الأولى إلى بيت أهل الزوجة، وفى الليلة التالية تنتقل الزوجة إلى بيت الزوج[٣]، ولا يباح للزوجة الخروج من منزل الزوجية إلا بعد مرور سنة، وربما يتساهلون إلى ستة أشهر[٤].

---

(١) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٢.
(٢) محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، ص ٢٩٠.
(٣) محمد القاضى، المرجع نفسه، ص ٢١٦، ٢١٧.
(٤) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٢.

٢ - الولادة

كان أهل المدينة المنورة عندما يولد لهم طفل جديد يعملون له عقيقة يوم الولادة، يكررها الأغنياء فى اليوم السابع، ويسمون فيه المولود ويضعون عليه من الحلى ما ينوء به، وبعد التسمية يحركون يد الهون فيزغرد النساء وهذا دليل تسميته، وعندما يتم الطفل أربعين يومًا فإنهم يغسلونه وينظفونه ويلبسونه ملابس جميلة بيضاء ويعطرونه ويثقله أهله بالزينة[1]، وتذهب به أمه وقريباته ومعه القابلة إلى المسجد النبوى الشريف قبل المغرب، وبعد انتهاء النساء من صلاة المغرب، يأتى أحد الخصيان (الأغوات) فيأخذ الطفل ويدخل به الحجرة الشريفة، فيضعه عند رأس النبى ﷺ، ويضعون بصحبته عيشا لت بالسمن يدخل معه الحجرة؛ يتم توزيعه بعد ذلك على الأهل والأقارب فيأكلون منه ويتبركون، كما أنهم يعطون للخصى نظير ذلك سكرًا ودراهم معدودة[2].

٣ - الوفاة

كان أهل المدينة فى الوفاة يتبعون عادة أهل السنة، فإذا فاضت الروح لا يرفعون صوتًا ولا يشقون جيبًا ولا تنوح فيهم نائحة[3]، ولكن العين تبكى والقلب يحزن ولا يقولون ما يغضب الرب كما أن من عاداتهم ألا تتبع امرأة جنازة[4].

وكان من عادة أهل المدينة إدخال الميت المسجد النبوى، فيقفون به أمام وجه النبى ﷺ ويصلون عليه فى الروضة الشريفة[5]، وبعد أن يوارى الميت التراب يقف أهل الميت فيعزيهم الناس، ويفعلون ذلك مرة أخرى إذا رجعوا إلى منزلهم؛ حيث يحضر الناس للعزاء ثلاث ليال ليقرءوا القرآن ويهدوه إلى روح المتوفى ويستغفروا له، وقد كانوا يسرفون فى المآتم كما يسرفون فى الأفراح، فيذهبون إلى المقابر ليلة الإثنين والخميس،

---

(١) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى، ص ٨٦.

(٢) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٤، ٤٤٥.

(٣) محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ص ٢٦٠؛ على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٢١.

(٤) محمد لبيب البتنونى، نفس المرجع، ص ٢٦١؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٣.

(٥) النهروالى، الإعلام، ص ٩٦.

ويأخذون معهم الريحان ليضعوه على المقابر، ويقرءون القرآن الكريم، ولكنهم لا يفرقون الأطعمة مثل ما كانوا يفرقون فى أثناء الموت، لكنهم يأخذون الماء معهم فى المقابر للراغبين[1].

٤ - تقديم الهدايا للحجرة النبوية الشريفة

كان كل واحد من أهل المدينة المنورة يقدم كل سنة ليلة السابع والعشرين من شهر ذى القعدة، كمية من الحنطة كهدية إلى الحجرة النبوية الشريفة، وذلك بعد غسلها وتنظيفها جيدًا ووضعها فى كيس جديد من القماش الأبيض، ويتم حملها إلى المسجد النبوى، لتوضع بكل أدب داخل الحجرة النبوية، وكانت هذه الأكياس تجمع بمعرفة خدام الحجرة ليهدون منها عظماء المسلمين تبركًا بها[2].

٥ - عادة استخدام الحمامات

انتشرت الحمامات داخل المدينة وخارجها قصدها أهل المدينة والقادمون إليها، بقصد الاستحمام والاسترخاء، وقد أوضح السمهودى أنه بعد عمارة المسجد النبوى الشريف سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، أمر السلطان قايتباى بإقامة حمام، وذكر أنه:"لم يكن بالمدينة الشريفة حمام قبل ذلك من مدة مديدة "[3].

٦ - الاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية

الاحتفال بشهر رمضان

من الاحتفالات الدينية الراسخة، حيث يتميز شهر رمضان باحتفالاته وعاداته الخاصة، بداية من رؤية هلاله وبداية صومه، حيث كانوا يتناولون فطورًا خفيفًا فى

---

(١) محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ص ٢٦١؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٣.
(٢) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى، ص ٨٦.
(٣) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٤.

المسجد النبوى بعد أذان المغرب بلا فرق بين غنى وفقر[1]، يتكون هذا الفطور من الأشياء الحلوة والفطير والزيتون، وبعد ذلك يصلون المغرب ويذهبون إلى بيوتهم، فيتناولون الفطور الكامل، ثم يعودون إلى المسجد النبوى لصلاة العشاء والتراويح، التى تقام بأئمة كثيرين قد يزيدون على الخمسين إمامًا، كذلك كان للنساء إمام، وهؤلاء الأئمة هم من الشبان الحافظين للقرآن الكريم، الذين يصرف لهم مرتبات آخر شهر رمضان، كما كان أغنياء المدينة يوزعون الثياب البيض على الفقراء والمساكين فى نهاية رمضان[2].

الاحتفـال ببدايات الشهور الهجـرية

من الاحتفالات التى وجدت زمن الفاطميين، وأخذت عنهم خلال عصر المماليك، كما احتفل بها أهل المدينة المنورة، ومنها الاحتفال بأول رجب وليلة النصف منه وليلة السابع والعشرين منه والاحتفال بليلة النصف من شعبان والاحتفال بشهر رمضان[3].

حيث كان العلماء والتجار وعامة الناس يحرصون على تبادل التهنئة فى اليوم الأول من كل شهر عربى[4]، فيذهب الواحد منهم أول يوم من الشهر إلى من له حق الولاية عليه أو لشيخوخه أو أصحابه فيهنئه فى منزله[5]، وذكـر الرحـالة التركى أوليا جلبى[6]

(١) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٢١؛ عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى، ص ٨٥.

(٢) محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ص ٢٦١؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٧٦؛ صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٢٨.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص ١٧٦؛ صبحى عبد المنعم، المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٥) محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، ص ٢٨٩.

(٦) أوليا جلبى بن درويش محمد أغا ظلى واسمه الحقيقى غير معروف قيل أن اسمه حافظ محمد خواجه وهو من مواليد أستانبول عام ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م والده درويش محمد أغا كان معمرًا فقد عاش مائة وسبع عشرة سنة وقد التحق بخدمة عشرة سلاطين عثمانيين بدأها بالعمل خبيرًا للجواهر فى قصر السلطان سليمان القانونى (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) وقد ذكر أن والده قام بتصنيع ميزاب الكعبة المشرفة وقد درس أوليا جلبى سبع سنوات فى مدرسة شيخ الإسلام حامد أفندى وعمل على حفظ القرآن

أن المدينة المنورة كانت تنار بالقناديل فى شهور رجب وشعبان ورمضان[1].

الاستعداد لموسم الحج

كان أهل المدينة المنورة يقومون بتنظيف المسجد النبوى فى اليوم السابع عشر من شهر ذى القعدة ويسمونه يوم الكنيس، ويصف العياشى ذلك بقوله: "يتهيأون بذلك للموسم؛ لأنه فى غالب الأمر مظنة ارتحال قاطن وقدوم غائب واجتماع الناس من الآفاق واشتغال أهل المدينة بقبض الأوقاف والجرايات التى تأتيهم من الآفاق وذهاب من يرد النسك إلى مكة أو من يريد التجارة فلا يبقى بالمدينة إلا قليل من الناس"[2].

كما يصف أوليا جلبى يوم مقدم الحجاج بيوم العيد للأهالى، حيث يخرجون لاستقبالهم بالقصائد والأناشيد مقدمين لهم التمر قائلين لهم: "الحمد لله على السلامة زيارتكم مقبولة إن شاء الله"، ويصطفون على جانبى الطريق للسلام عليهم[3] وفى تلك الأيام يجمع أهل المدينة أكثر أمور معيشتهم، حتى إنه لا يتفرغ أحد لتدريس ولا عبادة إلا ما لابد منه، فإذا انقضى الموسم رجع الناس إلى حياتهم المعتادة[4].

الاحتفـال باستقبال المحـمـل

كان أهل المدينة يتأهبون فى شهر شوال من كل سنة لاستقبال الحجاج والمحمل

الكريم على يد أستاذه أوليا محمد أفندى الذى قيل أن اسمه انتقل إليه منه ثم درس العلوم الأخرى على يد حسين أفندى الجنى وأخفش أفندى وتعلم من والده فى هذه الأثناء حسن الخط وفن الحك (الحك لغة هو القشر والكشط واصطلاحًا هو مهنة وطريقة لقطع الحجارة الكريمة وصقلها. انظر: الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ ٩ / ٤٥٧)؛ سهيل صابان، أوليا جلبى ورحلته إلى الحجاز فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة والعشرون، تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ ص ٦٣، ٦٤.

(١) سهيل صابان، أوليا جلبى ورحلته إلى الحجاز، ص ٨٦.

(٢) محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، ص ٢٧٣.

(٣) سهيل صابان، أوليا جلبى ورحلته إلى الحجاز، ص ٨٦.

(٤) محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، ص ١٩٧.

الذى يحمل الكسوة الشريفة فى ذى القعدة وأوائل ذى الحجة. وعند وصوله إلى المدينة يدخل فى احتفال كبير فإذا وصل إلى باب السلام تقدم شيخ الحرم النبوى الشريف، وأخذ زمام جمل المحمل ويتم رفع المحمل، فكانت ترفع الكسوة المزركشة ويلبسونه الكسوة الخضراء، وتظل الكسوة داخل الحجرة النبوية حتى يتم إخراجها يوم سفر المحمل إلى مكة[1].

الاحتفال بعيدى الفطر والأضحى

كان أهل المدينة المنورة كبقية المسلمين فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى يحتفلون بعيدى الفطر والأضحى، فمن عاداتهم فى الاحتفال بعيد الفطر، أنهم كانوا بعد صلاة الفجر يلبسون ثياب العيد ويتوجهون لصلاة العيد فى المصلى المخصص لصلوات الأعياد[2] ويتزاورون لمدة أربعة أيام، فلكل حى من أحياء المدينة يوم مخصوص يزور فيه أهله أهالى الأحياء الأخرى، حيث تقدم الحلوى للزائرين وماء الورد فيتطيبون والعود الهندى فيتبخرون[3].

أما عيد الأضحى والذى يتزامن مع توافد المسلمين فى شهر ذى الحجة من شتى أنحاء العالم الإسلامى لأداء الحج والعمرة، وتكون مراسم المناسك إلى حين يوم الأضحى[4] فتقام صلاة العيد بالمسجد النبوى الشريف، يقوم بها أئمة الإمامية والشافعية والأحناف، وذلك لقلة عدد المالكية الموجودين فى المدينة، وبعد صلاة العيد يذهبون لزيارة قبر الرسول ﷺ، ويقضون أربعة أيام يتزاورون فيها[5]، يقدم فيها الحلوى ويتطيبون بماء الورد ويتبخرون بالعود الهندى، كما يحدث فى أيام عيد الفطر[6]، كما يخرجون إلى بقيع الغرقد، ويعودون إلى منازلهم فيقضون أيام العيد فى الزيارة فيما بينهم[7].

---

(١) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٧٦؛ انظر أيضًا: محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ص ٢٤٢.

(٢) جميل حرب، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، م ٢، ص ١٢٦.

(٣) عائشة بنت عبد الله باقاسى، بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى، ص ٨٥.

(٤) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٣٥.

(٥) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٢١.

(٦) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ١٢، ص ١٥٨؛ انظر أيضًا: على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٩٣.

(٧) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٣.

الاحتفال بالموالد

احتفل أهل المدينة بعدة موالد، منها الاحتفال بالمولد النبوى الشريف، فى شهر ربيع الأول والذى يعد من أول الأعياد الدينية العامة فى بلاد الحجاز[1]، ويذكر العياشى فى رحلته عنه: "ففى داخل الحرم كانت تجرى مناظرات فقهية وحفلات بمناسبة الزواج وبمناسبة المولد النبوى حيث يقوم الشعراء بإلقاء قصائدهم وترتيل المدائح النبوية"[2].

وهناك الاحتفال بمولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، الذى يبدأ من أول شهر رجب إلى نصفه، بحضور أهل المدينة من الرجال والنساء، بالإضافة إلى أهالى البلاد الأخرى وسكان البوادى الذين يذبحون الذبائح ويطعمون الطعام.

كذلك الاحتفال بمولد على العريضى شقيق ذى النفس الزكية، فى شهر صفر من كل سنة ويستمر أربعة أيام، وفيه كانوا يفعلون مثلما يفعلون فى مولد سيدنا حمزة[3].

(ب) الأطعمة والأشربة

تعددت أصناف الأطعمة التى كانت يتناولها أهل المدينة المنورة زمن سلاطين الجراكسة بين مطبوخة وناشفة، إضافة إلى الحلويات والأشربة، وتعددت طريقة إعداد هذه الأطعمة التى من أشهرها الهريسة[4]، وأصحاب صناعتها يسمون بالهرائسيين، وكان المحتسب يشرف على هذه الصناعة حتى لا تغش ويلزمهم بعملها طبقًا للنسب المقررة، بل يختمون على قدور الهريسة بعد إتمام صنعها لمنع تغيير ما فيها[5]. ويبين الرحالة العياشى[6] كيفية طبخ الهريسة بقوله: "أن يجعل اللحم فى المطبخ، ويجعل معه القمح،

---

(١) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٢٩.

(٢) محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، ص ٢٠٨.

(٣) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٣؛ على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٤٤٥.

(٤) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، ص ٢٥٤.

(٥) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٤١.

(٦) قام أبو سالم العياشى بثلاث رحلات إلى المشرق فى أعوام ١٠٥٩هـ و١٠٦٤هـ و١٠٧٢هـ فأخذ عن

ويطبخ حتى يفارق اللحم العظم، فتزال العظام ويبالغ فى طبخ اللحم مع القمح حتى يطيب القمح ويزلع، فيأخذون عصيًا شبه المقارف عراض الرءوس فيلوكون ذلك به حتى يختلط اللحم مع القمح ويصير مثل العجين، فيأخذونه فى الأوانى ويصبون عليه السمن". ويؤكد العياشى أنها من أفضل الأطعمة عند أهل الحجاز، فإذا أكلها الإنسان لا يشتهى شيئًا من الطعام يومًا وليلة، كما أن من الأطعمة المطبوخة الباذنجان واللحم والأرز والبسلاء كما كان أهل المدينة يصنعون الخبز من القمح[1].

كما يذكر العياشى أن لأهل المدينة ولوع وغرام بأكل اللحم، زاعمين أنهم يستضرون بتركه لحرارة أبدانهم ويبسها فيحصل لهم الترطيب به، فإذا أكلوا غيره حصل لهم يبس فى الطبيعة، حتى إن من نسائهم من لا تطبخ غداء ولا عشاء إلا أن يكون لحمًا[2].

كما كانوا يصنعون الحلوى، ومنها أنواع كثيرة من العسل والسكر المعقود على أشكال مختلفة، فمنها تصاوير إنسانية وفاكهية وضعت فى منصات كأنها العرائس، ويضيفون إليها أنواع الفاكهة الرطبة واليابسة[3]، وهناك أنواع أخرى مثل اللبن الذى يشرب ويصنع منه السمن والجبن والعسل المسعودى وكان يضرب به المثل فى الجودة والطيب والرطب، ويعد عندهم بمنزلة التين الأخضر فى شجره يجنى ويؤكل[4] ويعتبر التمر

علماء مصر ومكة والمدينة المنورة وفلسطين فضلا عن اتصالاته الوثيقة والمباشرة مع علماء ومتصوفة من طرابلس والإسكندرية والقدس وتعد هذه الفترة أخصب مراحل حياته فقد أسهم فى الحركة الفكرية التى عرفها عصره فى العلوم والآداب فسجلت رحلته (ماء الموائد) وهو الاسم الذى اختاره لوصف رحلته الثالثة العلاقات الفكرية والاجتماعية بين المغرب والمشرق وقد أراد لرحلته أن تكون ديوان علم فلم يأل جهدًا فيما أورد فيها من الفوائد لرغبة كثير من أصحابه فى ذلك وأن يكون القصد منها جمع الفوائد لا انتقاء الفرائد ويؤكد العياشى على هذا القصد قائلًا:"وقصدى من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة، وإن وجد الأمران فيها معًا فذاك أدعى لنشاط الناظر فيها لا سيما إن كان صاحب تلوين، وأما صاحب التمكين فلكل شيء عنده موقع ونفع. انظر: محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، ص ١٢.

(١) محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، ص ١٧٦.

(٢) محمد القاضى، المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

(٣) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٤٢؛ جميل حرب، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، م ٢، ص ١٢٨.

(٤) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، ص ٢٥٥.

المحصول الأول للمدينة المنورة، فكانوا يأكلونه فى سائر أوقاتهم، مما أدى إلى صحة أبدانهم وقلت فيهم الأمراض والعاهات[1]. ويعدد النابلسى أنواع هذه التمور التى تقارب مائة وعشر نوعًا، منها " نوع يسمى الحلوى كل واحدة مثل الخيارة الصغيرة يقطر العسل منها كانوا يتهادونه، ولا يكاد يباع فى الأسواق "، وهناك الفاكهة التى وصفها العياشى بأنها غاية فى الجودة وبالخصوص العنب والتمر[2]، وكان من عاداتهم وضع الطعام مرة واحدة فيأكل منه ما يشتهى، مع غسل اليدين قبل الأكل وبعده، كما كان من عاداتهم أن يخدم المضيف مضيفه وعلى المضيف أن يأكل ولا يعتذر بالشبع ولا يفرط فى الأكل[3].

أما المشروب المفضل لديهم فهو القهوة التى تقدم دون سكر، ويؤخذ الماء من الآبار ليوضع فى أزيار لتصفيته وتبريده[4].

(ج) الملابس

بالنسبة إلى ما كان يرتديه أهل المدينة المنورة من ملابس زمن سلاطين الجراكسة، فإن ملابسهم كانت من الحرير والكتان وأنواع أخرى، كما عرفت أيضًا العمائم المزركشة ولبس الجبة، وهذه الثياب كانت تأتى إلى بلاد الحجاز من مصر.

وبالنسبة إلى ملابس العلماء وطلبة العلم، فإنهم كانوا يرتدون ثيابًا وجببًا مصنوعة من الكتان، وفى الغالب يرتدون العمائم السود[5]، إلا أنهم لا يلبسون الملابس الملونة ويعيبون على من يلبسونها، لأنهم يتشبهون بالنساء أو الإماء، وأقصى ما يلبسونه يكون داخل البيت[6].

---

(١) صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٤٢.
(٢) محمد القاضى، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، ص ٣٧٠، ٣٧١.
(٣) جميل حرب، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، م ٢، ص ١٢٨.
(٤) صبحى عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، ص ٢٥٥.
(٥) أحمد السباعى، تاريخ مكة، ج ١، ص ٢١٧؛ صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٣٩.
(٦) جميل حرب، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، م ٢، ص ١٢٦.

والغالب على أهل المدينة المنورة أنهم كانوا يميلون إلى لبس الثياب البيض التى يشيع استعمالها بينهم، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: "خلق الله الجنة بيضاء وخير ثيابكم البيض تلبسونها فى حياتكم وتكفنون بها موتاكم" وهى تصنع فى الغالب من الكتان والقطن[1].

وبالنسبة إلى الأحذية، فكان العامة يلبسون النعال أو الأحذية، أما الأعيان فكانوا يلبسون كليهما ويلبسون أيضًا الحذاء الخارجى (الجرموط)، عندما يدخلون المساجد أو القصور[2].

أما فيما يخص ملابس المرأة فكانت تتكون من ملاءة فضفاضة وقميص مشقوق عند الرقبة، ويوجد عليه رداء قصير ضيق يلبس فى العادة فى الشتاء، وفى حالة خروجها من بيتها ترتدى ملاءة طويلة تغطى جسدها وتقى ملابسها من التراب، وتلف رأسها بمنديل يلف فوق الرقبة، أما نساء الطبقات الراقية فى المدينة المنورة فكن يغالين فى التزين وارتداء أنواع الثياب المختلفة من الحرير[3]، ويحببن الطيب واستعمال الذهب بكثرة، ومنها الخلاخيل والخواتم والأساور فى أيديهن، ولا شك أن هذا الاختلاف فيما يرتديه أهل المدينة كان حسب مكانة وشخصية كل منهم[4].

ثالثًا ـ المجـــاورون وأثرهـــم داخل مجتمع المدينة المنورة

لم يكن المجاورون طبقة سلبية فى مجتمع المدينة المنورة، بل عاشوا داخل هذا المجتمع يؤثرون ويتأثرون، وقد حمل المجاورون كثيرًا من العادات والتقاليد الاجتماعية من مجتمعاتهم التى أتوا منها، وقاموا بنشرها دون قصد منهم، وكان أكثرهم فى المدينة المنورة من المصريين والشاميين وبعض العراقيين والمغاربة واليمنيين.

---

(١) صبحى عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، ص ٢٥٢.

(٢) جميل حرب، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، م ٢، ص ١٢٧.

(٣) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج ٢، ص ٤٢٩؛ صبحى عبد المنعم، المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، ص ٤٠.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٠؛ انظر أيضًا: جميل حرب، المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، م ٢، ص ١٢٧.

ويرجع كثرة أعداد المصريين والشاميين لقرب تلك البلاد من الحرمين الشريفين، ولأن المماليك هم المسيطرون على مصر والشام والحجاز، مما وفر للوافدين من تلك الأماكن الأمن الذى لا يجده غيرهم[1]. كما أنهم لم يكونوا جميعًا من الفقراء الذين يعيشون على ما كان يقدم من صدقات وهبات، بل نجد بعضهم من مشاهير التجار والأثرياء، وفضل بعضهم الإقامة بالمدينة المنورة للمجاورة بها، يأتون بالأموال لتوزيعها على سكان المدينة[2].

بدأت أعداد المجاورين قليلة ثم بدءوا فى الزيادة حتى صاروا جزءًا كبيرًا داخل مجتمع المدين[3]، كما نتج عن وجودهم بين أهل المدينة أن حصل تزاوج بين هؤلاء المجاورين وبعضهم، أو بينهم وبين بعض الطبقات الأخرى داخل المجتمع، مما أدى على مر السنين إلى خلق أسر كبيرة أصبحت جزءًا رئيسيًا داخل هذا المجتمع[4].

ولا شك أن هذا يرجع إلى ما قام به سلاطين المماليك الجراكسة، من إنشاء المدارس والأربطة والزوايا، وما أنفقوه عليهم من تبرعات وهبات، فلم يخش أحد منهم الحاجة، وهكذا شكل المجاورون جزءًا مهمًا داخل مجتمع المدينة المنورة[5]، وأسهموا فى جميع نواحى الحياة، سواء أكانت الاقتصادية أم الاجتماعية أم العلمية والثقافية أم الدينية[6].

لكن برغم ما ذكر عن الدور الكبير للمجاورين فى المجتمع، فإن انصراف الكثير منهم عن الكسب والعمل إلى العبادة والانقطاع لها، ما جعل الفقر ينتشر بين غالبيتهم فأصبحوا عالة على المجتمع، يعيش معظمهم على ما يأتيهم من صدقات وهبات[7].

---

(١) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك (٦٤٢ - ٩٢٣هـ)، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٦١، ٦٢.

(٣) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة، ص ٢٣١.

(٤) طرفة عبد العزيز العبيكان، المرجع نفسه، ص ١٤٩.

(٥) طرفة عبد العزيز العبيكان، المرجع نفسه، ص ٢٣١، ٢٣٢.

(٦) حسين سيد عبد الله مراد، المجاورون المصريون فى الحرمين الشريفين (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثامن والثلاثون، القاهرة، ١٩٩١ - ١٩٩٥م، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٧) أحمد عمر الزيلعى، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٤٩.

رابعًا - الأوقـاف والحـياة الاجتماعـية فى المدينة المنورة

اهتم سلاطين المماليك بصدقات وأعطيات المدينة المنورة، حتى لربما عملوا فيها من الخير أكثر مما عملوا فى مكة، وتتابعت الأوقاف والصدقات بكثرة فى أيام سلاطين المماليك الجراكسة، حتى أنه لا يوجد سلطان أو أمير إلا وتصدق بالمدينة مثلما فعل بمكة، فكانت نتيجة ذلك حدوث رخاء بالمدينة، حيث قلة سكانها وهدوء أحوالها الذى تميزت به المدينة فى كثير من الأحيان[1]، مما أدى إلى اطمئنان الناس على أرزاقهم وأمور معيشتهم، فتفرغوا لعبادتهم وتجارتهم، كما انصرف بعضهم للعلم وقراءة القرآن وتعليمه لغيرهم[2].

وقد حرص كثير من المسلمين حكام وأمراء وأفراد، على تقديم الأموال لتوزيعها بالحرمين، فكانت ترد إلى المدينة المنورة خاصة فى وقت الموسم، حصيلة الأوقاف التى أوقفها المسلمون على أهل الحرمين بوجه عام وأهل المدينة المنورة بوجه خاص فتوزع على الفقراء والمجاورين[3].

وكان عصر السلطان الظاهر برقوق كله خير على المدينة المنورة، كما كان على مكة، حيث اهتم بإصلاح الأوقاف الموقوفة على المدينة بمصر والشام[4]، ففى سنة ٧٨٣هـ/ ١٣١٨م اشتد الأمر على فقراء المدينة، فمات جوعًا الكثير من الناس وأكل بعضهم الجلود إلى أن وصلت القوافل من مصر تحمل الفرج، فقد بعث السلطان بثلاثة آلاف إردب فرقت على الحرمين الشريفين، يوزع فى كل يوم أربعين إردبًا يصنع منها ثمانية آلاف رغيف خبز، فلم يمت أحد من الجوع[5].

وكان للشعور الدينى أهمية كبيرة فى تحفيز الكثيرين على الوقف، حيث تسابق السلاطين والأمراء والأعيان على الوقف على الحرمين وأهاليهما، واشترط بعض

(١) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨١.

(٢) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣٠٥.

(٣) طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة، ص ١٩٣، ١٩٤.

(٤) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨١.

(٥) ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٠٨، ١٠٩.

الواقفين الصرف من ريع أوقافهم فى مساعدة بعض من يخرجون لتأدية فريضة الحج، حيث قرر السلطان فرج بن برقوق فى حجة وقفه الصرف على المنقطعين من الحجاج، فى أجرة الحمل والإطعام وسقاية الماء فى طوال الطريق ذهابًا وإيابًا حتى وصولهم إلى بلادهم[1].

كذلك اهتم بعض سلاطين الجراكسة بتوفير الراحة لأهل المدينة، ففى حجة وقف السلطان ناصر فرج بن برقوق المؤرخة فى ٧ محرم سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م، التى حددت ضمن أوجه الصرف على الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والمحتاجين والمجاورين والمقيمين، وكذلك فى تسبيل الماء وإطعام الجائعين وكسوة العرايا والمقلين وستر عورات الضعفاء والعاجزين، ويتم تفريق ذلك فضة أو فلوسًا أو حسب ما يراه ناظر الوقف[2]، كما كان السلطان المؤيد شيخ قد عزم الحج، لكنه لم يحج ورغم ذلك أرسل الكثير من الصدقات. وعرف عن السلطان جقمق الكرم والتدين، فاهتم بالحرم النبوى وأوقافه وصدقاته فكان يرسل الدشيشة لأكل أهل الحرم ليصرف الطعام لفقراء المدينة فى كل يوم[3]، كما قرر رواتب لعدد من أهل المدينة منهم الأشراف[4].

كما قرر السلطان برسباى فى حجة وقفه المؤرخة فى ١٦ جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م، الصرف على شراء ثمانمائة قميص من الخام تحمل فى كل سنة إلى الفقراء والمجاورين بالحرم المكى والحرم النبوى الشريف وتقسم بينهم على حسب ما شرطه الواقف[5].

وأرسل برسباى سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م مركبًا فيه قمح صدقة على أهل الحرمين، وأمر على الصدقة الأمير إقبغا التركمانى الذى بدأ بالمدينة وفرق فيها خمسمائة إردب قمح على القضاة والعلماء والفقهاء والخدام والأشراف والأيتام والأرامل[6].

---

(١) حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق، مؤرخة فى ٧ محرم سنة ٨١٢هـ رقم الحجة (٦٦)، رقم المحفظة (١١)، دار الوثائق القومية، سطر ٥٢١-٥٢٣.

(٢) حجة وقف السلطان الناصر فرج، المصدر نفسه، سطر ٥١٠-٥١٤

(٣) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٢٢.

(٤) محمد على فهيم بيومى، مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر، ص ٣٠.

(٥) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٧٥.

(٦) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٦٣٤.

ويأتى السلطان قايتباى على رأس سلاطين الجراكسة الذين اهتموا اهتمامًا كبيرًا بالمدينة المنورة بكثرة صدقاته وأوقافه، ففى سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م عندما حج قايتباى تصدق على أهل الحرم والأعيان والفقراء والغرباء[١]، وفى احتفاله بالمولد النبوى الشريف فى ربيع الأول سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م بالقاهرة، حضر الزين بن مزهر كاتب السر والبدر أبو البقاء بن الجيعان وخشقدم الزمام وهم مشاة، بعد العصر إلى جهة السلطان ومعهم ستة طواشية بستة أطباق على رءوسهم، حطت بحضرة السلطان ومن حضر هذا المجلس، كان بها من الذهب النقد العين ستون ألف دينار. فبدأ السلطان بالكلام فأخذه الزين بن مزهر منه، وقال لمن حضر: إن مولانا السلطان لما حج فى العام الماضى رأى ما به أهل المدينة المشرفة من الفقر والفاقة والقحط من عدم الأقوات، فأضمر نيته بأن يفعل بها من الخير ما يذكر به ويعم بذلك الناس بالمدينة المشرفة، وقد ميز من خالص ماله هذا المقدار وأرصده ليشترى به ما يوقفه على فقراء المدينة وأهلها، ما بين قرى وضياع ورباع وغيرها ليجمع من ذلك ما يصنع بالمدينة فى كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك، وجعل ذلك وقفًا مبتدئًا على المدينة إلى غير ذلك من نمط هذا الكلام، ثم أمر السلطان بأن يكون هذا المال تحت يد القضاة أو الأتابك أو يشبك الدوادار فامتنع القضاة من ذلك واعتذروا وتعذر الحال بأن يكون نصف هذا المال تحت يد يشبك ليشترى بذلك رزقًا وأملاكًا والنصف تحت يد السلطان وانتهى المجلس على ذلك[٢] وقد جعل السلطان وقفه هذا على ما ذكرهم، وليس كما يفعله الملوك وأبناء العصر فى أوقافهم على أنفسهم أولًا ثم على أولادهم ثم على أولاد أولادهم ثم على نسلهم وعقبهم طبقة بعد طبقة إلى آخره، ثم على فقراء المدينة، وقد كان قصد السلطان بهذا إيصال البر لأهل المدينة بداية لئلا تخرب الأوقاف وتصير دائرة، وذلك إن سلمت من الاستبدال[٣].

---

(١) عائشة مانع عبيد العبدلى، إمارة الحج فى عصر الدولة المملوكية، ص ١٢٤.

(٢) ابن شاهين الظاهرى، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهرى الحنفى ٨٤٤-٩٢٠هـ نيل الأمل فى ذيل الدول، مخطوطة مكتبة بودليان باكسفورد رقم ٦١٠، Hunt ٢٨٥، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمرى، القسم السابع، الجزء الثانى (٨٧٦-٨٩٠هـ)، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٢٥٥.

(٣) ابن الصيرفى، إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق د/ حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤٨٠.

فعلًا شرع السلطان فى بناء ربوع بباب النصر والبندقانيين والزجاجين بالقاهرة، ليكون ريعها مصروفًا على الفقراء، وأنه خصص لذلك مركبين كبيرين مسمارين[1]، ففى سنة ٨٨٩هـ جهز قايتباى بهاء الدين أبو البقاء بن الجيعان[2] فى مركب مع جماعة من خواصه، الذى وصل المدينة فى سابع ذى القعدة، ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية، من بينها مصحف كبير الحجم موقوفة كلها على المدرسة الأشرفية، وأحمال كثيرة من الحب والدقيق والقدور النحاسية التى جعلت برسم السماط، فرسم لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله، لكل نفر سبعة إرادب قمح مصرى وساوى فى ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وجعل للأفاقين[3]، ما يكفيهم من الخبز وطعام الدشيشة فى كل يوم[4].

كما أن الأمير تنم الناظر صنع مركبًا لنقل الدشيشة طولها ١٢٠ ذراعًا، وبها فرن وطاحون وصهريج ماء حلوة مقعد ومبيت وإسطبل للخيل[5]، وكان للقمح الذى يرسل إلى المدينة خاصة أثره على المجاورين والفقراء وطلبة العلم والأرامل واليتامى والمنقطعين وغيرهم حيث خفف عليهم أعباء المعيشة[6]، وذلك ما دعا ابن الصيرفى

---

(١) مسمارين: هى السفن المسمارية وجمعها مسماريات وهى السفينة التى تستعمل فيها المسامير الحديدية لربط الواحها بعضها ببعض. انظر: سعاد ماهر، البحرية فى مصر الإسلامية، ص ٣٦٨.

(٢) أبو البقاء بن الجيعان: البدر محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغنى شقيق المحمدين أبى البركات، وصلاح الدين ولد سنة ٨٤٧هـ بنى له مدرسة بالزاوية الحمراء وانتفع به الفقراء عندما حج وكان يقوم بالمهمات السلطانية. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٨، ٩.

(٣) الأفاقين: هم المجاورون القادمون من أطراف الأرض حيث ذكر الصيرفى فى أنباء الهصر بأنباء العصر (ص ٤٨٠) واصفًا المجلس الذى عقد فيه السلطان قايتباى هذا الوقف فقال فى حوادث سنة ٨٨٥ هـ بعد وصفه لاحتفال السلطان بالمولد النبوى الشريف بقلعة الجبل وفيه تكلم رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى فقال: "إنه لما حج السلطان تقبل الله منه فى العام الماضى... فأنه أخرج من ماله الطيب هذا القدر وأرصده؛ ليشترى به بلادًا ويوقفها على حرم المدينة الشريفة وسكانها ليصنع بها فى كل يوم خبزًا ودشيشة للفقراء والمحتاجين والقاطنين والواردين ".

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٩؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ١، ص ٤٦١.

(٥) عبد اللطيف ابراهيم على، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، الجزء الثالث، الكتاب الأول، من أبحاث المؤتمر الدولى لتاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٩٧٩م، ص ٢٥٢.

(٦) أحمد هاشم بدر شينى، أثر الأوقاف على الحياة الدينية والاجتماعية فى مكة والمدينة، ص ٧٦.

للقول إن السلطان قايتباى: "ما أكثر محاسنه وأعظم شأنه وأغزر همته وأكبر همته"[1].
حتى قيل عن السلطان قايتباى " إن الله قد أجرى على يديه من الخيرات لأهل مدينة رسول الله ما لم يجتمع لأحد من الملوك قبله "[2]. وفى زمن السلطان الغورى[3] سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م أرسل الكثير من الصرر والزيوت والأدوية صحبة الركب المصرى[4]، وكرر الغورى ذلك أيضًا سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م بإرسال الكثير من الهبات لأهل مكة والمدينة المنورة[5].

شارك الأمراء وغيرهم من الأغنياء سلاطين المماليك الجراكسة، فى وقف الأوقاف على أهل المدينة المنورة ففى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أرسل الأمير جركس الخليلى[6] قمحًا كثيرًا؛ ليعمل منه فى كل يوم خمسمائة رغيف بالمدينة تفرق على السائلين ونحوهم من الفقراء، وليس لأحد من ذلك راتب بل يأخذ من يحضر، ولا مراعاة لأى أحد فى التفرقة منها مما أعم النفع على الجميع[7]. فى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، ويأمر من الأمير شيخ المحمودى[8]، تم صرف مائتى قميص على كل منها عشرة دراهم فضية لفقراء

---

(١) ابن الصيرفى، إنباء المصر، ص ٤٨٠.
(٢) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨١.
(٣) الغورى: قانصوه بن عبد الله الجركسى السلطان الملك الأشرف المشهور بالغورى ولد فى حدود سنة ٨٥٠هـ تولى السلطنة فى بداية شوال عام ٩٠٦هـ قتل فى موقعة مرج دابق على يد قوات السلطان سليم العثمانى عام ٩٢٢هـ. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، حوادث ٩٢١هـ؛ نجم الدين الغزى، الكواكب السائرة، ج ١، ص ٢٩٤ - ٣٠٠؛ العصامى، سمط النجوم العوالى، ج ٤، ص ٥٠- ٥٧.
(٤) عائشة مانع عبيد العبدلى، إمارة الحج فى عصر الدولة المملوكية، ص ١٢٤.
(٥) آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٢٧٠.
(٦) جركس بن عبد الله الخليلى: تركمانى الأصل وأصله من مماليك يلبغا الخاصكى وتقدم عند الظاهر برقوق كان حسن الشكل مهيبًا مع رأى رصين وعظمة وكان له فى كل يوم خبز يتصدق به على بغلين يدور به أحد مماليكه فى القاهرة على الفقراء بمكة والمدينة توفى سنة ٧٩١هـ. انظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٣٨٥؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ١، م ٩، ص ١٧٢.
(٧) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٣٤٨.
(٨) الأمير شيخ عبد الله المحمودى: تسلطن بعد خلع السلطان المستعين بالله العباسى يوم الإثنين مستهل شعبان عام ٨١٥هـ عمر الجامع العظيم بباب زويلة مرض وتوفى فى يوم الإثنين قبل تاسع محرم عام ٨٢٤هـ. انظر: ابن تغرى، الدليل الشافى، ج ١، ص ٣٤٦.

الحجاز، كما أرسل السلطان غياث الدين أعظم شاه[1]، فى سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م هدايا قيمة إلى أهل الحرمين[2].

كما أن خان جهان وزير السلطان غياث الدين، أرسل خادمًا له يسمى حاجى إقبال، بصدقات من عنده إلى أهل المدينة المنورة وأرسل معه مالًا ليقوم ببناء مدرسة ورباط فى المدينة، بالإضافة إلى هدية لأمير المدينة الأمير جماز الحسينى[3].

فى سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م حج وزير السلطان مراد الثانى العثمانى[4]، الذى جاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة لأهل الحرمين الشريفين[5].

وشاركت زوجات بعض السلاطين وكبار الأمـراء، فى ذلك فعندما حجت زوجة السلطان إينال سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م، كان لها بمكة والمدينة المنورة أعمال خير وصدقات، وأنشأت ميضاة ورباطًا فى المدينتين[6]. وكانت آخر من حجت من زوجات السلاطين، زوجة السلطان الغورى حجت سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م فى آخر رحلات الحج التى شهدتها دولة المماليك، وقد أنفقت كثيرًا من الأموال على أهل الحرمين[7]، لتوفير حياة كريمة لأهل المدينة، خاصة لأمراء الأشراف الذين شكلت لهم الأوقاف موردًا مهمًا من موارد الإنفاق ولتصريف شئونهم؛ حيث نالوا حظًا من الهبات والعطايا والأموال فى صور نقدية وعينية[8] ففى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م أبطل السلطان قايتباى

(١) هو السلطان غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه بن إسكندر شاه سلطان بنجالة من بلاد الهند كان ملكًا له حظ من العلم وأفعال الخير توفى سنة ٨١٥. انظر: النهروالى، الإعلام، ص ١٩٨؛ الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) عائشة مانع عبيد العبدلى، إمارة الحج فى عصر الدولة المملوكية، ص ١١٨.

(٣) النهروالى، الإعلام، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٤) مراد الثانى العثمانى ابن السلطان محمد بن يلدرم تسلطن سنة ٨٢٥هـ كان ملكًا مطاعًا وصدقاته كثيرة للحجيج ومدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة. انظر: العصامى، سمط النجوم العوالى فى معرفة الأوائل والتوالى، ج ٤، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ص ٦٥، ٦٦.

(٥) النهروالى، الإعلام، ج ٣، ص ٢١٨.

(٦) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ١١٦.

(٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٩.

(٨) الفاسى، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٨٣؛ عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٩٧.

جميع المكوس التى بالمدينة وعوض صاحب المدينة - أمير المدينة - عن ذلك ألف إردب من القمح[1].

كما اشترط الزينى عبد اللطيف منصور بدوى الزمام[2] فى حجة وقفه المؤرخة ١١ جمادى الأولى سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م، أن يصرف فى كل سنة ما يقابل سبعين دينارًا ذهبًا يحمل لأمير المدينة يخصه من ذلك الثمن، والباقى يفرق على الأشراف الحسينيين المقيمين فى المدينة بالتساوى بينهم من ذكر وأنثى، وأن يعطى أمير المدينة فى كل سنة إشهادًا بوصول الأموال إليه ولغيره من الأشراف، فإن لم يكن هناك أمير يتولى صرف المال شيخ الحرم، فإن لم يكن هناك شيخ للحرم يتولى صرف المال من يقوم بحمل المال من مصر بحضور أحد حكام الشريعة وشاهدى عدل[3].

ولعل من أهم مصاريف الأوقاف على أهل المدينة، مساهمتها فى تحسين الآبار والعيون وتعميرها، وكان السلطان قايتباى أحد المهتمين بتجديد وترميم تلك الآبار والعيون، فقام بترميم عين الزرقاء بالمدينة المنورة على يد ابن الزمن[4]، وبإصلاحها جرت المياه إلى المدينة وذلك سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م[5]. كما أشارت حجة وقف السلطان الغورى، إلى صرف عشرة دنانير من الذهب سنويًا أو ما يقوم مقامها من النقود، فى ثمن دوارق وأجرة من يتولى تزويدها بالماء وتسبيلها على الخاص والعام بالحرم الشريف المدنى[6]. أدت هذه الأوقاف والصدقات والهبات وظيفتها فى طمأنة أهل المدينة جميعهم على سائر أمور معيشتهم فتفرغوا لأداء أعمالهم، كما كان لأوقاف الدشيشة الكبرى أيام

---

(١) ابن شاهين الظاهرى، نيل الأمل فى ذيل الدول، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٢) ذكر أحمد هاشم بدر شينى أنه لم يجد له ترجمة فى المصادر المتداولة.

(٣) حجة وقف الزينى عبد اللطيف الزمام، مؤرخة فى ١١ جمادى الأولى سنة ٩٠٣هـ رقم الحجة (٢٢٢)، رقم المحفظة (٣٥)، دار الوثائق القومية.

(٤) محمد بن عمر بن محمد بن عمر الزمن الخواجة الشمس بن السراج القرشى الدمشقى ثم القاهرى الشافعى ويعرف بابن الزمن ولد فى سنة ٨٢٤هـ بدمشق وأشرف على عمائر السلطان قايتباى بالحرمين الشريفين كما باشر بالمدينة المنورة سنة ٨٧٩هـ عمارة وترميم عين الزرقاء وسائر منشآت السلطان المذكور مات يوم الأحد ١٨ من شوال سنة ٨٩٧هـ انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٨، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٥) الفاسى، شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٥٤.

(٦) حجة وقف السلطان الغورى، رقم الحجة (٨٨٢ ق) أوقاف، دراسة/ عبد اللطيف إبراهيم على.

سلاطين الجراكسة جقمق وقايتباى والغورى أثرها الكبير على أهل المدينة المنورة، فيذكر السخاوى أن السلطان جقمق: " قرر لأهل الحرمين دشيشة للفقراء فى كل يوم، ولكثير منهم رواتب الذخيرة فى كل سنة تحمل إليهم من مائة دينار إلى عشرة أو أكثر من ذلك"[١]. وقد ارتبط كل وقف بوثيقة تبين أهدافه وأغراضه وقدره، وكذلك تحديد المستفيدين وصفاتهم وأعدادهم، وغيرها من الأشياء التى يحرص الواقف على النص عليها فى وثيقة وقفه[٢].

ظلت الأوقاف التى أوقفها سلاطين الجراكسة فى مصر والشام على المدينة المنورة - حتى عصر متأخر بعد السلطان الغورى - لها حرمتها وأربطتها ومرافقها، فظل ريعها يصل لأهل المدينة فتفرق بين المستحقين لها من السكان والمجاورين شهريًا، بطرق مختلفة سواء أكانت مالية أم عينية[٣].

وذكر ابن ظهيرة فى كتابه " روضة الأديب ونزهة الأريب " الكيفية التى تصرف بها أموال الأوقاف الموقوفة على وجوه الخير، وذلك على النحو التالى: ١- الأشراف الذين يعود نسبهم إلى الرسول ﷺ، ٢- الفقهاء (الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة)، ٣- طلبة العلم الفقراء والأسرى وأبناء السبيل والمرضى والمجانين وتجهيز الموتى والمنقطعون والأيتام والأرامل[٤].

إلا أن هذه الأوقاف تعرضت للانهيار، ولعل من أسباب انهيارها بعض من القائمين على إدارتها كالقضاة والمباشرين الذين خرجوا على نظامها[٥]، حيث أهمل بعضهم فى الاهتمام بها، مع استيلاء بعضهم على ريعها، مما ساعد على ظهور بعض السلوكيات السيئة كالتحاسد والتباغض للحصول على عائد هذه الأوقاف، وعمل بعضهم على

---

(١) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٧٣.

(٢) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٠.

(٣) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨٢.

(٤) ابن ظهيرة، شمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن ظهيرة الحنفى، روضة الأديب ونزهة الأريب، منشور ضمن بحوث الندوة الدولية فى تاريخ القاهرة، عن النظم الإدارية بمصر فى القرن التاسع الهجرى، ١٩٧١م، ص ١٠٩٢، ١٩٠٣.

(٥) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٢٥٧.

إرضاء السلطة للفوز بالأوقاف وعوائدها، مما كان له دوره فى إبراز بعض الانحرافات فى سلوك بعض فئات المجتمع[1].

لعل ذلك ما دفع بعض الواقفين إلى الاشتراط على ناظر الوقف، أن لا يستبدل شيئًا من الوقف حتى ولو بلغ الخراب، وإن فعل الناظر ذلك يكون معزولًا، وإن وافقه القاضي على ذلك كان ملعونًا، وإن حاول ذلك أحد أرباب الوظائف عزل وإن كان مستحقًا حرم مقدار استحقاقه[2].

---

(١) محمد عفيفى عبد الخالق عفيفى، الأوقاف ودورها فى الحياة الاقتصادية فى مصر (٩٢٣-١٠٦٩هـ/ ١٥١٧-١٦٥٨م)، رسالة ماجستير، إشراف د/ رءوف عباس حامد، د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٥٧ ـ ١٥٩.

(٢) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٢٣٣.

• الفصل الرابع

الحركة العمرانية فى المدينة المنورة

أولًا ـ عمارة المسجد النبوى الشريف

ثانيًا ـ اهتمام سلاطين المماليك الجراكسة بمساجد المدينة المنورة الأخرى

ثالثًا ـ سلاطين المماليك الجراكسة وسائر المنشآت المدنية فى المدينة المنورة

أولًا ـ عمـــارة المسجـد النـبوى الشـريف[1]

* إرســـال المـنابـر

استمر اهتمام سلاطين الجراكسة بالمسجد النبوى الشريف، والقيام بها يتطلبه من تجديدات وعمارة ومنها إرسال المنابر إليه، وأولها ذلك المنبر الذى أرسله السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩ م[2]. وإن كان السمهودى فى " خلاصة الوفا " والسخاوى فى " التحفة اللطيفة " ذكرا إرسال هذا المنبر أواخر سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م، ليحل مكان المنبر الذى سبق أن أرسله السلطان بيبرس وكانت الأرضة قد أثرت عليه، فأمر برقوق بعمل المنبر الجديد وأرسله صحبة أمير الحج المصرى الأمير أيتمش الذى وضعه مكان منبر بيبرس، ونقل منبر بيبرس إلى حاصل الحرم النبوى[3]، واستمر هذا المنبر إلى ما بعد سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م[4]، فكانت مدة الخطابة على منبر برقوق قصيرة، ذلك أن السلطان المؤيد شيخ (٨١٥- ٨٢٤هــ/ ١٤١٢-١٤٢١م) كان قد أمـر نجارين من أهل الشام بعمل منبر لمدرسته فى القاهرة المعروفة (بالمؤيدية)، لكن تم صناعة منبر

(١) انظر المسجد النبوى الشريف وما حدث فيه من عمارة ملحق رقم ٣ شكل رقم ٢.

(٢) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكى، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٦٩.

(٣) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٢٦٨؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢١٣.

(٤) ابن حجر، أنباء الغمر، ج ١، ص ٧٩٧.

لهذه المدرسة فقام المؤيد بإرسال منبر أهل الشام إلى المدينة المنورة[1]. وينقل السمهودى ما ذكره ابن حجر:"أن المنبر الموجود اليوم (زمن ابن حجر) أرسله المؤيد سنة عشرين وثمانمائة "، وهذا مخالف لما هو شائع من أنه أرسله سنة ٨٢٢هـ، ومن ذلك فإن مدة بقاء منبر برقوق فى المسجد النبوى بين سنتى (٧٩٨-٨٢٠هـ/ ١٣٩٥-١٤١٧م) أى اثنتين وعشرين سنة[2].

يذكر السمهودى أن ابن حجر جعل منبر المؤيد بدل منبر بيبرس لأنه لم يطلع على منبر برقوق، ويذكر أيضًا أن منبر المؤيد هو المنبر المحترق فى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م[3]، وبذلك فقد استمر منبر برقوق إلى أن أرسل المؤيد منبرًا سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م، وجعل ابن حجر منبر المؤيد هذا هو المحترق فى الحريق الثانى[4].

كما يذكر شهاب الدين القليوبى فى " النبذة اللطيفة " أن المنبر الذى أنشأه المؤيد شيخ استمر إلى أن أبدله السلطان خشقدم بغيره سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م، حيث استمر هذا المنبر إلى أن احترق فى الحريق الثانى فى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، فقام السلطان قايتباى بصناعة منبر من الرخام للمسجد النبوى[5].

والمرجح أن المؤيد شيخ قام باستبدال منبر السلطان برقوق لما وجد من روعة المنبر الذى صنعه أمهر صناع أهل الشام، وأرسل به إلى المدينة سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م ليوضع فى المسجد النبوى مكان منبر برقوق، وقد بقيت الخطبة على هذا المنبر حتى دمر فى الحريق الذى أصاب المسجد النبوى الشريف فى رمضان سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م وذلك لمدة (٦٧) سنة[6]، وطول هذا المنبر فى السماء دون قبته وقوائمها ستة أذرع وثلث

---

(١) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٤٠٨.
(٢) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٠٨.
(٣) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٢٦٩.
(٤) العباسى، عمدة الأخبار، ص ١١٠.
(٥) القليوبى، شهاب الدين أحمد القليوبى الأزهرى الشافعى توفى أواخر شوال سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م، نبذة لطيفة فى مباحث شريفة فى تاريخ الحجاز ومعالمه، مخطوطة رقم (٢٤٩٢) تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم (٢٨٧١٦)، دار الكتب المصرية، ص ٦٠.
(٦) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٤١٠.

وامتداده فى الأرض ثمانية أذرع ونصف راجحة، وعدد درجه تسع بالمقعد وارتفاع المقعد ذراع ونصف، ولما احترق هذا المنبر بنى أهل المدينة مكانه منبرًا من آجر مطلى بالنورة (الجير)، استمرت الخطبة عليه إلى رجب سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، فهدم وتأسس مكانه المنبر الرخام للأشرف قايتباى، وهو أقصر فى الامتداد فى الأرض من المنبر المحترق بنحو ثلاثة أرباع ذراع وعدد درجه كالمحترق[١].

* تجديدات وإصلاحات المسجد النبوى:

فى عصر السلطان برسباى وفى قرابة سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٨م، أقر الشيخ علاء الدين البخارى الحنفى[٢] على ما قام به من تسمير لأبواب الدرابزين المحيطة بالحجرة النبوية الشريفة، وذلك لتعظيمها " وتنزيه المشهد الشريف عن كثرة اللامسين بالأيدى"، وقد بقى هذا الدرابزين مسمرًا حتى احترق سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م[٣]. كما قام برسباى بإصلاح وتجديد الرواقين المطلين على الصحن جهة القبلة اللذين كان الناصر قلاوون قد أضافهما سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م على يد مقبل القديدى[٤] من مال جوالى قبرص[٥]،

---

(١) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٢٦٩، ٢٧٠.

(٢) هو الشيخ علاء الدين البخارى الحنفى كانت له حظوة عند سلطان مصر بسبب ورعه وعلمه وقال عنه السخاوى أنه قام فى حجة سنة ٨٣١هـ بإغلاق " أبواب المسجد الحرام بمكة مدة حجه فكانت لا تفتح إلا أوقات الصلوات الخمس ومنع من نصب الخيام وإقامة الناس فيه أيام المواسم وأغلق أبواب مقصورة الحجرة الشريفة النبوية ومنع كافة الناس من الدخول إليها ". انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٩، ص٣٩٤.

(٣) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦١٦، ٦١٧.

(٤) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٤؛ انظر أيضًا: عبد السلام هاشم حافظ، المدينة المنورة فى التاريخ، دراسة شاملة، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث، د. ت.، ص ٧٤؛ صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، تطورها العمرانى وتراثها المعمارى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ص ٨١.

(٥) الجوالى جمع جالية والجوالى: الجزية وهو المال الذى يؤخذ من أهل الذمة مقابل استمرارهم فى بلاد الإسلام تحت الذمة وعدم إجلائهم عنها وهى الجزية وهى من أحل الحلال من الأموال لذا جعلت من أجور العلماء والمدرسين والجالية لفظ أطلق على أهل الذمة؛ لأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب، ثم لزم بهذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الجزية وإن لم يجلوا عن أوطانهم. انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٥٦.

كما أصلح جزءًا من سقف الجناح الشمالى المعروف بالسقف الشامى بجوار المئذنة الشمالية الشرقية المعروفة (بالسنجارية)[1]، وبذلك أقام أسقف جديدة فى المسجد بدلًا عن التالفة من الناحيتين الجنوبية والشمالية[2].

كما تم فى عصر برسباى عمل رحبات واسعة أمام أبواب المسجد النبوى، ليتمكن الناس من خلع نعالهم قبل دخول المسجد منعًا للزحام، الذى كان يحدث عند درابزين الأبواب، وتم عمل إفريز من الحجارة عند طرف عقد باب السلام[3]، وعمل عند باب الرحمة مثل ذلك.

ولابد أن سبب هذه التجديدات التى قام بها السلطان برسباى، هو طول ما مر على تلك الأجزاء من سنوات، حيث تأثرت بعوامل الزمن وتعرضت للأمطار، فكانت أن ظهرت آثار تلفها فقام برسباى بتجديد ما ظهر فى عصره.

وأكمل السلطان جقمق (٨٤٢- ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م) ما ظهر فى عصره من آثار للتلف فى المسجد النبوى، ففى سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م قام بتجديد سقف المسجد النبوى خاصة الروضة النبوية، كما قام بعمل باب للجهة الشمالية بالمقصورة الخشبية التى وضعها السلطان بيبرس، وعمل أعلاه رفوف وأرضية رخام حتى الصحن، وكذلك الأرضية بين المقصورة وحائط عمر بن عبد العزيز حول القبر بالرخام الملون[4].

ويذكر ابن المحجوب عن اهتمام السلطان جقمق بالمسجد النبوى الشريف فيقول: "تفقد جميع المسجد بالردم وجدد جميع سقفه بالخشب المربعة الرفيعة والدهان المنوع بالذهب (واللازورد)[5]، إلا أن سقف بعض مجنباته لم يتم تذهيبها لموت هذا الملك

---

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢١٢؛ السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٤.
(٢) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٥.
(٣) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٠٥.
(٤) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦١١.
(٥) اللازورد: أن اللازورد نوع من الجواهر " يبرد ويجلى ويطحن ويستعمل فى الأصباغ وما دام صحيحًا فإنه يضرب إلى لون النيل وربما مال إلى السواد... وإذا سحق وهو برخاوته مؤاتى للطحن أشرق لونه وجاء منه صبغ مؤنق لا يدانيه شيء من أشباهه ". البيرونى، أبو الريحان محمد بن أحمد (توفى فى حدود سنة ٤٣٠هـ)، الجماهر فى معرفة الجواهر، بيروت، عالم الكتب.

(جقمق) قبل تمام ذلك وقصور همم الملوك بعده عن إكماله"[1]، وقد قام بالإشراف على كل هذه التجديدات الأمير برد بك التاجى[2].

فى عصر السلطان إينال أقام طوغان شيخ[3] بعد سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م محرابًا، هو محراب الحنفية غرب المنبر الشريف متأخرًا فى الصف عن المحراب الشافعى، وفى مكان مصلى الرسول ﷺ[4]. أكد ذلك السخاوى فى " التحفة اللطيفة "، حيث ذكر أن إحداث المحراب كان باقتراح من الأمين الأقصرائى على طوغان شيخ الأحمدى أحد أمراء السلطان إينال[5]. إلا أن ابن الصيرفى ذكر أن إحداث محراب للحنفية تم سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م، بمرسوم من السلطان برقوق[6] كما قام القاضى زين الدين أبو الصدق المعروف بابن مزهر (٨٣١-٨٩٣هـ)، حين زار المدينة المنورة موسم سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م، بعمل من المعروف ما عم أهل المدينة، وأمر بإصلاح ما تهدم من الرخام بالحجرة الشريفة[7].

* عمارة المسجد النبوى فى عصر قايتباى[8]

حظى المسجد النبوى الشريف بقسط كبير من عناية السلطان قايتباى[9]، لما له من

(١) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٢٨٢ نقلًا عن ابن المحجوب، قرة العين فى أوصاف الحرمين، ورقة ٧٨ ب.

(٢) برد بك التاجى الظاهرى: وهو من مماليك الظاهر جقمق ومن خواصه رقاه إلى أن صار خاصكيًا ثم أمير عشرة وجعله من رءوس النوب وتوفى سنة ٨٨٢هـ. انظر: السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٥؛ ابن تغرى، الدليل الشافى، ج ١، ص ٨٥.

(٣) طوغان شيخ الأحمدى: ولى نظر المسجد الحرام مات فى ذى الحجة ٨٨١هـ/ ١٧ آذار- ١٥ نيسان (مارس- أبريل) ١٤٧٧م بالقاهرة. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٠.

(٤) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٧٠؛ صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٢.

(٥) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٦) ابن الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، ج ١، ص ٤٩٣؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٤٥.

(٧) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٢٨٥.

(٨) انظر عمارة السلطان قايتباى للمسجد النبوى الشريف ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م ملحق رقم ٣ شكل ٣.

(٩) السلطان قايتباى: كانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحد وعشرين يومًا، وهذه المدة لم تتفق لأحد من ملوك التى قبله وكان محبًا لجمع الأموال ناظرًا إلى ما

مكانة كبيرة وقدسية وجلال فى نفوس المسلمين، فضلًا عن أن قايتباى أراد أن يثبت بعنايته بالأماكن المقدسة بالحجاز أن سلطان مصر والشام جدير بلقب " خادم الحرمين الشريفين"[1]. حيث حدثت فى عصره عمارتان للمسجد النبوى، أولهما قبل حريق سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، والثانية بعده لإصلاح ما أحدثه الحريق.

أما العمارة الأولى التى بدأت سنة ٨٧٨-٨٧٩هـ/ ١٤٧٤-١٤٧٥م[2]، فيذكر السمهودى أن السبب فيها هو أن مسئولي المسجد طالعوا الأمير شاهين الجمالى[3]، عند

فى أيدى الناس ولولا ذلك لكان خيار ملوك الجراكسة على الإطلاق، ولكنه كان معذورًا فى ذلك وكان له اشتغال بالعلم كثير المطالعات فى الكتب وله أذكار وأوراد جليلة وإلى الآن تتلى فى الجوامع وكان له اعتقاد فى الفقراء ويعظم العلماء عارفًا بمقام الناس ينزل كل أحد منزلته وكان تابعًا لطريقة الصوفية فى التقشف وكان له بر ومعروف وأوقف عدة جهات على وجوه البر والصدقة وكانت محاسنه أكثر من مساوئه. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٢٥، ٣٣٢ وقد عمر قايتباى الحجرة الشريفة والقبة المبتناة عليها وعمر مسجد الرسولﷺ وعمر بالمدينة مدرسة ورباطًا وساق ماء العين الزرقاء إليها وهذا كما (قال) الشيخ رضى الله تعالى عنه:

هذا وحقك شيء ما سبقت له ... وكم مليك تمناه وما قدرًا

أليس يكفيك هذا سيدى ... شرفًا على الملوك وفخرًا زين السيرًا

وكانت وفاة السلطان قايتباى فى ليلة الاثنين الثامن عشر ذى القعدة سنة إحدى وتسعمائة ولذلك قيل إنه المجدد من الملوك على رأس القرن العاشر. انظر: الغزى، نجم الدين محمد ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، الجزء الأول، تحقيق/ جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٩٧.

(١) خادم الحرمين الشريفين: ورد لفظ خادم كوظيفة فى كثير من الكتابات على الآثار العربية والخادم هو من يقوم بالخدمة وفى موضع آخر استخدم لفظ خادم كترجمة تدل على التواضع كما دخلت الكلمة فى تكوين بعض الألقاب المركبة الفخرية ومنها " خادم حرمى الله ورسوله " و " خادم الحرمين الشريفين " ويقصد به المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة وقد لقب بهذا اللقب الكثير من سلاطين المماليك وذلك للدلالة على سيادتهم على الأقطار الحجازية وحمايتهم للحرمين الشريفين كما أنه يرمز إلى شمول نفوذهم على العالم الإسلامى ومن هؤلاء السلاطين الذين حرصوا كل الحرص على تشريفهم بخدمة الحرمين الشريفين السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى وقد وجد هذا اللقب بصيغة أخرى فى نقش على وكالة تحمل اسمه بباب النصر بتاريخ سنة ٨٨٥هـ وهى " خادم حرمى الله ورسوله ". انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، الجزء الأول، ص ٤٣٣ - ٤٣٧؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى تاريخ الوثائق والآثار، ص ٢٦٦- ٢٦٩.

(٢) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٠٥.

(٣) هو الأمير شجاع الدين شاهين الجمالى الرومى، ثم القاهرى الحنفى أحد أمراء العشرات ولد سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م وعمل فى وظائف متعددة بالمدينة المنورة منها ناظر الحرم النبوى ومتولى عمارة المسجد

مروره على المدينة قادمًا من جدة فى طريقه إلى مصر، على بعض الأجزاء التالفة من سقف المسجد، وكذلك الحائز المخمس الدائر حول الحجرة الشريفة لوجود شقوق قديمة فى بعض الأجزاء تظهر إذا رفعت الكسوة عنها[1]. واجتمع السمهودى بالأمير شاهين لمعرفة رأيه فى ذلك فكان قراره " أنه ليس بضرورى لأنه شق فى طول الحائط لا فى عرضه وهو قديم مملوء بالجص والحائط ليس عليه يقف فيثقله فنخشى عليه "، وفى سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٤م تم إبلاغ السلطان قايتباى بحاجة المسجد النبوى للإصلاح. فاهتم السلطان بذلك اهتمامًا كبيرًا، واختار لذلك الأمير شمس بن الزمن[2]، الذى كان له سابقة اهتمام كبير بالمدينة المنورة[3]، فأرسله سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٥م إلى المدينة، حيث اطلع على حالة السقف والأعمدة التى يستند إليها المسجد وكذلك على سوره، وقد أحضر المهندسين ورتب العمال للبدء فى العمل، كما ترك لهم كل ما يلزمهم من الأموال[4].

إلا أنه عاد إلى مصر بعد أن قام بتفويض شرف الدين الأنصارى[5] للقيام بأعمال هذه العمارة، والذى أمر العمال " فهدموا عقود المسجد التى تلى رحبته من جهة المشرق وسقف الرواق الذى كان عليها لاقتضاء نظرهم ذلك ونقضوا بعض أساطينه فوجد

النبوى وعين نائبًا فى جدة وناظرًا على عمارة المسجد الحرام وعلى سقيا العباس بمكة. انظر: ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٤٨٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٩٣؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢١٠-٢١٢.

(١) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦١٧.

(٢) يذكر القلقشندى عن مهام وظيفة نظار العمارة أنه الذى له الأمر على المهندسين والحجارين وصناع العمائر ونحوهم وكان يتولاها فى بادئ الأمر أمير عشرة ثم صار يتولاها قوم بغير إمرة. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣، كما كان شاد العمائر من الوظائف الجليلة وكان يشغلها فى عصر المماليك الأمراء ومهامها الأساسية الإشراف على العمائر السلطانية وكان لبعض الأمراء والأوقاف شادين للعمائر. انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ٢، ص ٦١٦ - ٦١٨.

(٣) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٢٩٠.

(٤) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٥) شرف الدين الأنصارى: هو موسى بن على بن سليمان التتاى الشافعى ناظر الجيش ناظر الخاص ووكالة بيت المال توفى بمكة فى ١٧ صفر ٨٨١هـ/ ١١ جزيران (يونيه) ١٤٧٦م. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٢٠.

بعضها لا رصاص فيه وبعضها فيه رصاص"[1]. وصبوا فى أساس المئذنة الشرقية ما يقويها بعد أن لاحظوا اهتزازها[2]، وتم إعادة تثبيت الأسطوانات بالحديد والرصاص وسقف بالبلاط، كما قاموا بموازاة السطح السفلى لمقدم المسجد وكل هذا كان فى السنة الأولى[3].

وبعد انتهاء هذه الأعمال توقف العمل فى المسجد لمدة سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م، وذلك لنفاد المال وعدم وصول أموال جديدة من مصر وكتب إلى السلطان بذلك[4]، كما أدت وفاة شرف الدين الأنصارى بمكة سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م دون استكمال العمارة[5]، إلى عودة شمس الدين بن الزمن للإشراف على الإصلاحات مرة أخرى[6].

جاء ابن الزمن إلى المدينة هذه المرة، ومعه عدد من أرباب الصنائع وآلات ولوازم العمارة، وذلك مما مكنه من العمل فور وصوله، حيث تم رفع سقف الروضة الأعلى وما اتصل به مما حول القبة الزرقاء، ورفع أيضًا بعضًا مما يوازى غربى المنبر الشريف لحدوث تكسير لأخشابه، وقد كان هذا الجزء من الروضة قد تم تجديده فى عصر السلطان جقمق سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م' وتم عمل التجديد للروضة فى بلاطاتها الثلاثة، بداية من جدار الحجرة النبوية الشريفة وحتى الأسطوانات التى تلى المنبر[7].

بالنسبة إلى الحجرة النبوية الشريفة، فيروى السمهودى فى فصل كتبه بعنوان " فيما تجدد من عمارة الحجرة الشريفة فى زماننا على وجه لم يخطر قط بأذهاننا، ما حصل بسببه من إزالة هدم الحريق الأول من ذلك المحل الشريف، ومشاهدة وضعه المنيف، وتصوير ما

(١) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٠٦.
(٢) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص ٣٠٩.
(٣) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٠٦.
(٤) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٢٩٣؛ عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص٣٠٩.
(٥) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦١٨.
(٦) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٠٦؛ انظر أيضًا: عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ج ٢، ص٣٠٩.
(٧) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٠٦، ٦٠٧.

استقر عليه أمر الحجرة فى هذه العمارة"[1]. حيث تم تجديد حلية الصندوق الذى يقابل الرأس النبوى الشريف من شقوق وآثار التلف فى أسفل الأسطوانة التى يرتكز عليها الصندوق، بعدما هالهم منظر التلف الذى تم ملاحظته أوائل سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م، وتأكد لهم مدى خطورته، فعقدوا النية على استخراج الخرزات التالفة، وكانت ست قطع تقع كلها أسفل الأسطوانة، إلا أن السمهودى استبعد قدرتهم على ذلك دون إلحاق الضرر ببقية أجزائها، فظلوا يحاولون إخراج الخرز التالف عدة أيام حتى تمكنوا من ذلك، وأعادوا مكانها مثلها كانوا قد نقضوه من مسجد قباء وأحكموا إعادتها بالرصاص وأعمدة الحديد[2].

كما أنهم عند تجديدهم لرخام جدران الحجرة الشريفة، ظهر لهم شق قديم سده السابقون بكسر الآجر، وأفرغوا فيه الجص وبيضوه بالقصة فانشق البياض، وحاول متولى العمارة اختبار الشق فعمل على استخراج ما بداخله من الآجر والجص، وتبين له أنه كبير يستطيع المرء من خلاله أن يرى ما بداخل الحجرة الشريفة، فقاموا ببناء الحجرة النبوية حول مربعها الذى كان عمر بن عبد العزيز قد أقامه، وجعلوا عليها قبة مكان القبة التى سبقتها، والتى لم تقاوم الزمن لكونها من الخشب[3] كما تم تجديد بعض الدرابزين المصنوع من الخشب الذى سبق للظاهر بيبرس أن أحاط به الحجرة الشريفة مما يلى الروضة[4].

أما فيما يخص الرواق فيذكر السمهودى عنه: "أنهم سقفوا الرواق الأوسط الذى يلى الرواق الذى سبق عمارتهم إياه فى العام الماضى وأعادوا ذلك". كما يذكر السمهودى أنهم انتقلوا إلى مؤخرة المسجد الشريف، فقاموا بإصلاح " شيئا من السقف الشامى وغيره"[5]. وتم هدم الحائط الشرقى من المئذنة الشمالية الشرقية إلى أساسه وإعادة

---

(١) محمود الشرقاوى، المدينة المنورة، دار الشعب، القاهرة، د. ت.، ص ١٩٣.

(٢) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦١٩، ٦٢٠.

(٣) محمد حسين هيكل، فى منزل الوحى، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٦هـ ص ٥٥٣.

(٤) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦١٢.

(٥) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٠٨.

بنائه، واستخدمت فى ذلك أفضل مواد البناء المتوافرة فى ذلك العصر من الجير والجص والحصباء الناعمة[1].

وقد تم الصرف على هذه التجديدات من قيمة قناديل حاصل الحرم النبوى الشريف، التى تم حملها إلى مصر خلال عمل هذه الإصلاحات، وذلك ما رواه ابن الزمن؛ حيث حسن للسلطان " صرف ذلك فى مصالح المسجد والمدينة الشريفة "[2].

وبعد اكتمال هذه التجديدات زار السلطان قايتباى المدينة المنورة قبل حجه[3]، التى وصلها فى ٢٢ ذى القعدة ٨٨٤هـ/ فبراير ١٤٨٠م، ومكث فيها لمدة يومين[4]، حيث وقف على أعمال العمارة الشريفة وصلى بالروضة الشريفة، وانتهت زيارته للمدينة المنورة فى ٢٤ ذى القعدة سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٨٠م[5]، وبعد عودته إلى مصر، قام السلطان قايتباى بتخصيص الكثير من الأوقاف على المدينة المنورة بوجه عام والمسجد النبوى بوجه خاص.

إلا أنه قبل مرور سنتين على ما تم من تجديدات، احترق المسجد النبوى للمرة الثانية[6]

---

(١) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوى، ص ٢٨٣.

(٢) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٥٩٠.

(٣) حيث سافر السلطان قايتباى للحج سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م وبدأ بالمدينة المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ وأجزل الهبات والعطايا حتى قيل إنها بلغت أكثر من ستة آلاف دينار. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٥٩؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ١، ص ٧١٣.

(٤) على بن موسى، وصف المدينة المنورة، ص ٧٩.

(٥) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوى، ص ٢٨٤.

(٦) ذكر النهروالى "أنه من أعظم ما وقع فى أيام السلطان قايتباى من الأمور الهايلة حريق المسجد الشريف النبوى ذكرناه استطرادًا؛ لأنه أمر هايل عظيم الهول وتفصيل ذلك أن فى ثلث الليل الأخير من ليلة الإثنين ثالث عشر شهر رمضان سنة ٨٨٦ طلع رئيس المؤذنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب إلى المأذنة الشريفة اليمانية من ركن المسجد الشريف المعروفة بالرئيسية، وهو يذكر ويمجد وكانت السماء متراكمة بالغيوم متوارية النجوم إذ سمع رعد هايل وسقطت صاعقة لها لهب كالنار أصاب بعضها هلال المآذنة فانشق رأسها ومات المؤذن - رحمه الله - وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند المأذنة فعلقت النار فيه ففتحت أبواب المسجد ونودى بالحريق فى المسجد فحضر أمير المدينة يومئذ السيد قسطل بن زهير الجمالى وشيخ الحرم والقضاة وساير الناس وصعد أهل النجدة والقوة إلى سطح المسجد بالمياه فى القرب يسكبونها على النار لتطفئ فالتهبت وأخذت فى جهة الشمال والمغرب وعجزوا عن إطفائها فهربوا واستولت النار عليهم فمات منهم فوق عشر أنفس وعظمت النار جدًا وأحاطت بجميع سقف المسجد الشريف وأحرقت ما فى المسجد من المصاحف وخزاين الكتب والربعات وكانت كتبًا نفيسة ومصاحف

فى ١٣ رمضان ٨٨٦هـ/ نوفمبر١٤٨١م[١]، بسبب صاعقة أصابت المئذنة الجنوبية الشرقية (الرئيسية) قبل صلاة الفجر، عندما كان يستعد رئيس المؤذنين شمس الدين محمد بن الخطيب، لرفع الأذان من أعلى هذه المئذنة[٢]، وانتشرت النيران فى المسجد الذى لم يكن موجودًا به إلا المؤذنين، وهم فى أعلى المآذن لرفع الأذان، وبعض الخدام القائمين على حراسته، وبعد بدء الحريق حاول الناس إطفاءه فلم يتمكنوا، فقد أتلفت جزءًا كبيرًا من سقوفه كما امتدت إلى شماله وغربه[٣].

ويذكر السمهودى أن النيران خلال وقت قصير، قد دمرت جميع سقوف المسجد النبوى وحواصله وأبوابه، وما كان فيه من خزائن الكتب والمصاحف[٤]، كما أتلفت الكثير من أسطواناته، فيما عدا الأساطين الملاصقة لجدار الحجرة النبوية الشريفة، وهدمت أكثر المئذنة الرئيسية[٥]. وكذلك احترقت المقصورة والمنبر النبوى - منبر المؤيد شيخ -، ولم تصب النيران الحجرة النبوية والقبة التى فوقها، وفى البداية ترك الناس الأنقاض والردم الحاصل عن الحريق كما هو حتى تأتى إليهم أوامر السلطان بما يجب فعله، إلا أن أمير المدينة والقضاة وغيرهم، قاموا بنقل الأنقاض من مقدم المسجد إلى مؤخرته، وقاموا بنصب الخيام للصلاة، وخاصة جهة القبلة وحول الحجرة النبوية[٦].

عظيمة وصار المسجد كبحر لجى من النار يرمى بشرر كالقصر إلى أن استوعب الحريق جميع المسجد والقبة العليا إلى فوق قبة النبى ﷺ وذاب رصاصه ولم يصل أثر النار إلى جوف الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لسلامة القبة السفلى وعدم التأثير فيها مع ما سقط عليها كما هو أمثال الجبال واحترقت حتى حجارة الأساطين وسقط منها نحو مائة وعشرين أسطوانة واحترق المنبر الشريف النبوى والصندوق الذى فى المصلى الشريف والمقصورة التى حول الحجرة الشريفة وسلمت الأساطين الملاصقة للحجرة الشريفة وسلم ما حول المسجد من البيوت وشوهد أشكال طيور بيض يحومون حول النار كأنها تكفها عن بيوت جيران النبى ﷺ مع وقوع بعض شرر النار فيها وعدم تأثيره فيها". انظر: النهروالى، الإعلام، ج ٣، ص ٢٢٧، ٢٢٨؛ انظر أيضًا: على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ٢٩، ٣٠.

(١) صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٤.

(٢) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٣٣.

(٣) السمهودى، المصدر نفسه، ص ٦٣٣، ٦٨٥.

(٤) جدير بالذكر أن السمهودى قد شاهد هذا الحريق بنفسه، بل واحترق فيما احترق بعض أشياء تخصه كان يحتفظ بها فى مؤخرة المسجد ومن ضمنها أصل كتابه وفاء الوفا وقد قدم لنا السمهودى وصفًا تفصيليًا دقيقًا لظروف هذا الحريق ومراحله. انظر: السمهودى، وفاء الوفا، ج ١، ص ٤٥٧.

(٥) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٧٥؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٣٥، ٦٣٦.

(٦) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوى، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

وأرسل أمير المدينة فى ١٦ رمضان ٨٨٦هـ/ نوفمبر١٤٨١م[١]، رسولاً إلى مصر لعرض أمر الحريق على السلطان قايتباى[٢]، الذى وقع عليه الخبر كالصاعقة إذ ذكر ابن إياس أن السلطان عندما سمع بذلك " بكى وبكى من كان حوله"[٣]، كما أصاب المسلمون الجزع من الدخول إلى الحجرة الشريفة لإصلاحها، وثار جدل حاد حسمه السمهودى الذى قدم الحجج الشرعية لذلك وطالب بسرعة إصلاح الحجرة[٤].

وبالنسبة إلى العمارة الثانية للمسجد النبوى فى عصر قايتباى بعد حريق سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، فيذكر السمهودى أن السلطان رأى فى إعادة بناء المسجد النبوى، مزيد التشريف له وكمال التعريف به، وأنه كرامة من الله تعالى أكرمه بها، وذخيرة يرجو

---

(١) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٢٢.

(٢) الإسحاقى، محمد عبد المعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبد المغنى بن على الإسحاقى المنوفى، لطائف أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الشويخ، الكويت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣٢٠.

(٣) قال ابن إياس: فكتب بذلك محضر وثبت على قضاة المدينة وكان مما كتب فى المحضر أن المؤذن لما طلع على المئذنة الشرقية لأجل التسبيح فرأى صاعقة عظيمة نزلت من السماء على المسجد الشريف فعملت فيه النار فلما عاين المؤذن ذلك خرس ونزل من المئذنة، فأقام ساعة ومات وقد عاينوا (كذا) الناس عدة أطيار بيض بأعناق طوال طائفة حول المسجد تمنع النار أن لا تحرق البيوت التى حول المسجد وأن المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور فلما سمع السلطان ذلك بكى وبكى من حوله وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت فى مثل هذا المكان الشريف فأخذ شيخنا شمس الدين محمد القادرى يعتذر عن ذلك وهو يقول:

بطيبة سيئات الركب بدلها ... رب العلا حسنات عندما زاروا

وعندما قبلت ضاهت لذى حرم ... المختار من أكلت قربانه النار

قال ابن إياس وأعتذر آخر عن ذلك:

لم يحترق حرم النبى لحادث ... يخشى عليه ولا دهاه العار

لكنها أيدى الروافض لامست ... ذاك الجناب فطهرته النار

واعتذر آخر عن ذلك:

قالوا لقد غاب الصواب لحادث ... تبنى عليه رضاهم الكفار

بل ضم شمل السحت وهو محرم ... عند الرسول فحرقته النار

انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٨٧، ١٨٨؛ انظر أيضًا: محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٢٥.

(٤) مصطفى نبيل، المدينة المنورة، طيبة الحجاز، العدد ٢٥٢، مجلة العربى، ذو القعدة ١٣٩٩هـ نوفمبر ١٩٧٩م، ص ٨٢.

الفوز بسببها[١]، لذلك أصدر قايتباى مرسومًا بوقف جميع عمائره فى مكة وغيرها[٢]، للتحول لعمارة المسجد النبوى.

كما يذكر ابن طولون فى حوادث سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م، أنهم شرعوا فى إعادة بنائه قبل دخول موسم الحاج، حيث وردت المراسيم بعمارته، وأن يكون ذلك تحت إشراف خير بك حديد، الذى كان محبوسًا بقلعة دمشق، لكنه أبى وقال: هذا عمارته طويلة واستمر منفيًا بمكة، وعلق ابن طولون على موقفه هذا بقوله:"فواحزناه عليه فإن ذلك يدل على سوء طويته"[٣].

ولإنجاز ذلك أرسل السلطان على الفور مجموعتين من العمال لإزالة آثار الحريق من المسجد، المجموعة الأولى: قدر عددها بقرابة مائة صانع، من أرباب الصنائع منهم البناءون والنجارون والنشارون والدهانون والحجارون والنحاتون والحدادون والمرخمون، وعددًا كبيرًا من الحمير والجمال، ومبلغ عشرين ألف دينار[٤]. وكان ضمنهم مجموعة من أهل دمشق، حيث أرسل السلطان قايتباى فى ذى القعدة سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م فى أخذ جماعة من الصناع الذين عمروا الجامع الأموى[٥]. وكان ذلك تحت إشراف الأمير سنقر الجمالى[٦] وأخيه شاهين الجمالى[٧].

كما يذكر السمهودى أن السلطان شرع " فى تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت فى الطور والينبع والمدينة الشريفة "، وكانت تلك المؤن والآلات تصل إلى المدينة، بمعرفة موظفين مكلفين من السلطان بذلك[٨].

---

(١) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٨.
(٢) النهروالى، الإعلام، ج ٣، ص ٢٢٨.
(٣) ابن طولون، شمس الدين محمد بن طولون ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م، مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، تاريخ مصر والشام، القسم الأول من سنة ٨٨٤ إلى سنة ٩٢١هـ (١٤٨٠-١٥١٥م)، تحقيق/ محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ص ٥٣.
(٤) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٨.
(٥) ابن طولون، مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، ق ١، ص ٥١.
(٦) هو يوسف بن كاتب حكم الزينى أبو السعادات رقى فى الخدمة حتى ولى شادية العمائر بمكة والمدينة يعاونه فى ذلك أخاه الأمير شجاع ولى حسبة مكة عدة سنين كان ممدوح الأخلاق محمود الأعمال. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٧٣؛ التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٧، ١٩٨، ٢١٢.
(٧) صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٤.
(٨) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٨.

أما المجموعة الثانية: فتتكون من ثلاثمائة من الصناع وغيرهم من الحمالين والمبيضين والجباسين والسباكين، وأكثر من مائتى جمل ومائة حمار، وقد حضروا من القاهرة ومعهم مواد البناء اللازمة[1]، بالإضافة إلى مبلغ قدره مائة ألف دينار، وقد أكثر السلطان من تجهيز المؤن حتى امتلأت البنادر من الخيرات[2]، فيذكر السمهودى أن هذه الأحمال صارت تتواصل وقل أن تنقطع برًا وبحرًا[3]، وذلك بإشراف ابن الزمن الذى سبق أن أشرف على العمارة الأولى قبل الحريق[4].

ذكر عبد العزيز بن فهد خبر وصول ابن الزمن إلى ينبع، حيث وصلت أخبار إلى مكة فى ١٧ ربيع الثانى "بأن الخواجة شمس الدين بن الزمن وصل إلى الينبع، ومعه القاصد ومعه خلعته، وتوجه إلى المدينة الشريفة مشرفًا ومتكلمًا على عمارة المسجد الشريف النبوى"[5].

ورغم عدم وجود السمهودى فى ذلك الوقت فى المدينة المنورة لوجوده فى مكة، ومنها سافر إلى مصر لزيارة أهله، رغم ذلك فإن السمهودى يطلعنا على التجديدات التى تمت فى المسجد النبوى، حيث تتبع أخبارها بعد عودته ووصفها لنا[6].

بدأت أعمال العمارة فى بداية ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م، واستمرت حتى نهاية سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م. وقد بدأت بجد واجتهاد، وبدايتها كانت بعمارة المئذنة الرئيسية حيث هدموها إلى أساسها وبنوها[7]، وقد أوضح السمهودى أن ارتفاع هذه المئذنة، التى أقيمت فى عهد قايتباى قبل الحريق من رأس هلالها إلى أسفلها خارج المسجد ٧٧

---

(١) السمهودى، وفاء الوفا، ج ١، ص ٦٤٠؛ أنظر أيضًا: أحمد رجب محمد على، المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، رمضان ١٤٢٠هـ/ يناير ٢٠٠٠م، ص٦٩.

(٢) الإسحاقى، لطائف أخبار الأول، ص ٣٢٠؛ النهروالى، الإعلام، ج ٣، ص ٢٢٩.

(٣) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٨.

(٤) أحمد رجب محمد على، المسجد النبوى بالمدينة المنورة، ص ٦٩؛ صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص٨٤.

(٥) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى فى الذيل على إتحاف الورى، ج ١، حوادث سنة ٨٨٧هـ.

(٦) صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٤.

(٧) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٦٨.

ذراعًا (٣٥ , ٣٨ مترًا)، وقد بلغ ارتفاعها بعد إعادة بنائها أزيد من ١٠٠ ذراع (أكبر من ٥٠ مترًا)[1]، وهى مكونة من أربعة طوابق السفلى: مربع المسقط مرتفع، وينتهى من أعلى بثلاثة حوائط من المقرنصات تعلوها شرفة، وبالجسم السفلى أربع شرفات صغيرة محمولة على مقرنصات تفتح عليها أبواب عقودها على نمط عقود فتحات المآذن المملوكية، ووضعت هذه الفتحات من الخارج فى قوصرات معقودة بعقد مثلث يحيط به حفت يتقاطع أعلى العقد بشكل دائرة، ثم يستمر حول بدن المئذنة، كما يستمر نفس القطاع حول بدن المئذنة أيضًا فى منسوب القوصرة. أما الطابق الثانى: فهو مثمن القطاع قليل الارتفاع حلى بدالات ملونة باللون الأحمر والأبيض فى المنتصف، حدد هذا الجزء بحلية من أعلى ومن أسفل، وينتهى هذا الجزء بثلاثة حوائط من المقرنصات يعلوها شرفة، يعلو ذلك الطابق الثالث المستدير وهو أقل ارتفاعًا من الطابق أسفله، وينتهى أيضًا بثلاثة حوائط من المقرنصات حاملة للشرفة الأخيرة، وتنتهى المئذنة بجوسق يعلوه خوذة مضلعة تتوج من أعلى بفانوس[2].

كما أولوا الحجرة النبوية وما يجاورها والمصلى النبوى عناية خاصة، حيث أقاموا على جدران الحجرة النبوية قبة فوق السقف الذى كان عليها، وجعلوا فوق هذه القبة قبة أخرى ترتكز على أعمدة أو أساطين جديدة أقاموها خصيصًا لذلك، واقتضى متولى العمارة فى سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م، أن تكون القبة متناهية العلو، وأن تكون من الآجر على دعائم عظيمة بأرض المسجد وحولها العقود[3].

وتم إعادة ترخيم الحجرة النبوية الشريفة وما حولها، وألبسوا الحجرة الستارة التى أرسلها السلطان، وكان قايتباى قد احتفل بهذه المقصورة فى شعبان من سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م قبل إرسالها؛ حيث نصبت أمامه بحوش قلعة القاهرة، ووزنها أربعمائة قنطار من الحديد، حملت إلى المدينة على سبعين جملًا[4].

---

(١) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣١١.

(٢) صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٦.

(٣) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٤٦.

(٤) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٤٤.

ذكر عنها ابن شاهين الظاهرى أنه سنة ٨٨٨هـ " نصبت المقصورة التى صنعها السلطان من الحديد لأجل حجرة النبى ﷺ بالحوش من القلعة، وكانت بديعة الصنعة فرآها من حضر رأس الشهر من القضاة وغيرهم " وذكر أن زنتها ثمانمائة قنطار من الحديد[١].

والأنسب أن يكون وزنها كما ذكره ابن إياس وغيره أربعمائة قنطار، وذلك نظرًا إلى عدد الجمال الحاملة للمقصورة، والأخذ فى الاعتبار طول المسافة بين القاهرة والمدينة المنورة. وقد نقش عليها نص هو:"أنشأ هذه المقصورة الشريفة مولانا وسيدنا السلطان أبو النصر قايتباى تقبل الله منه فى عام ثمانى وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية"[٢].

كما أعادوا تجديد المنبر والمحراب النبوى، فبعد أن احترق المنبر الذى أرسله السلطان المؤيد شيخ سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، فى الحريق الثانى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، قام أهل المدينة ببناء منبر من الآجر طلى بالنورة فى محله[٣]، إلا أن السلطان قايتباى أمر بصناعة منبر من الرخام على صفة المنبر الأول، من حيث عدد درجاته، إلا أنه ينقص عنه فى الامتداد نحو ثلاثة أرباع ذراع، ويزيد عنه فى العرض، وقد انتقص من الروضة خمسة قراريط، وتقدم عن المنبر الأول إلى جهة الجدار القبلى عشرين قيراطًا[٤]. وبالنسبة إلى المحراب النبوى، فقد جعلوا أرض المحراب مرتفعة قليلًا على المصلى الشريف، وتم زخرفة المحراب النبوى بكثير من الآيات القرآنية التى كتبت بخط بارز مذهب فى إطار ضيق يحيط بالجزء العلوى من المحراب النبوى، وتم تحلية واجهته بتقسيمات الرخام البديعة[٥]، والمحراب الذى أنشأه السلطان قايتباى مصنوع من حجر المرمر ومزين بالآيات القرآنية " المرقوم خطها الثلثى النافر بماء الذهب وقطع ملونة من الرخام وناهيك بجمال العمودين بجوانبه فهما من الرخام الأحمر ذى اللون الإثمدى، وفى

(١) ابن شاهين الظاهرى، نيل الأمل فى ذيل الدول، ص ٣٥٥.

(٢) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٥٤١.

(٣) على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ٦١.

(٤) القليوبى، نبذة لطيفة فى مباحث شريفة، ص ٦٠، ٦١.

(٥) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٣٧٨.

الجانب الغربى من المحراب كتب بخط نافر: (هذا مصلى رسول الله ﷺ)[1] "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد أمر بعمارة هذا المحراب النبوى الشريف العبد الفقير المعترف بالتقصير مولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى خلّد الله ملكه بتاريخ شهر الحجة الحرام سنة ثمانى وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية ".

كذلك قاموا بزخرفة محراب القبلة وترخيمه، ونقشوا بجزئه العلوى من مدخله كثيرًا من الآيات القرآنية، كما تم زخرفة محراب الحنفية[2] الذى بنى غربى المنبر النبوى بناه طوغان شيخ بعد سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، حيث أراد طوغان أن يصلى بأصحاب المذهب الحنفى إمامًا خاصًا بهم بالمحراب الذى بناه، فقام بعض المتمسكين بالسنة بالوقوف ضده، فما كان منه إلا السعى لدى الدولة المصرية، حتى استطاع الحصول على إجازة بذلك، فأصبح يصلى بالحنفية إمامًا لهم بالمحراب البدعى بعد صلاة الناس وراء إمام شافعى يقف بالمحراب النبوى وكانا يصليان التراويح معًا، واستمر ذلك إلى سنة ١٢٢٩هـ، وقد رخم هذا المحراب بالرخام الأبيض والأسود السلطان سليمان سنة ٩٣٨هـ، ولهذا سمى بالمحراب السليمانى[3]، فأصبح إجمالى محاريب المسجد النبوى أربعة محاريب هى المحراب النبوى ومحراب القبلة ومحراب الحنفية، بالإضافة إلى محراب رابع بالمتهجد شمالى الحجرة فى إحدى دعائمها، وهو من باب جبريل وتجاه خزانة الخدام[4].

وتم تشيد مجموعة من القباب، منها قبة على محراب القبلة، وقبة على الحجرة الشريفة، وقبة فى الجهة الشمالية وكان بجوارها ثلاث قباب، بالإضافة إلى قبتين أمام باب السلام من الداخل[5].

---

(١) حسين على المصطفى، أضواء على معالم المدينة المنورة وتاريخها، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٣٣.

(٢) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٤٣.

(٣) إبراهيم رفعت، مرأة الحرمين، ج ١، ص ٤٦٩ ، ٤٧٠.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥١.

(٥) زكريا هميمى، الحرم النبوى الشريف وصفحات من تاريخ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، ٢٠٠٧م، ص ٦٤.

كما خفضت أرضية مقدم المسجد حتى ساوت أرضية الروضة الشريفة، وجدد ابن الزمن النفق الذى كان يعرف بخوخة آل عمر رغم أوامر السلطان سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م بإغلاقه، وتباطأ مرة ثانية فى تنفيذ أوامر السلطان سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م بهذا الخصوص، مما كان سببًا فى ضيق السلطان منه، فكان أن قام شيخ الحرم النبوى بسده فيما بعد ببناء محكم من خارج المسجد، حيث نزع باب طابقه وردمه بالأتربة حتى ساوى أرض المسجد، حتى إذا جاءت سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م لم يعد له أثر(١).

ووضعوا على حدود المسجد النبوى مما يلى القبلة درابزين من الخشب المخروط(٢) وأعيد بناء الحائط الخارجى للمسجد من باب جبريل بالجهة الشرقية إلى باب الرحمة بالجهة الغربية، وقد زيد فى سمك الحائط عن السابق قليلًا(٣). أيضًا عملت خزائن بالحائط الشرقى بالإضافة إلى فتحات دائرية ومعقودة بالجزء العلوى من ذلك الحائط وبالحائط الجنوبى " حائط القبلة "، وكان سبب عمل الفتحات هو أن العقود قد قللت من الضوء داخل الأروقة فسدت الفتحات فى حائط القبلة، ما عدا تلك التى فى منطقة المحراب العثمانى وعمل للفتحات قمريات بالزجاج عليها شباك من النحاس(٤). بالنسبة إلى أبواب المسجد النبوى الرئيسية، فقد احتفظت بعددها ومواضعها فى هذه العمارة، فهى أربعة أبواب(٥) هى باب السلام وباب الرحمة وهما فى الجهة الغربية، وباب جبريل وباب النساء وهما فى الجهة الشرقية(٦)، وباب السلام هو أعظم أبواب الحرم الشريف عملًا وخاصة فى الموسم، أما باب الرحمة فهو أقل منه بيسير فى الازدحام والعمل(٧). كما أن المسجد كان له إلى جانب هذه الأبواب الرئيسية، مجموعة أخرى من

---

(١) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٤٢.

(٢) ذكر البرزنجى فى نزهة الناظرين (ص ٣٧) أثناء حديثه عن عمارة السلطان عبد المجيد خان أنهم "استبدلوا الدرابزين الخشب والخزائن الموضوعة فيما يسامت حد المسجد الأصلى من جهة القبلة... بحاجز مسنم من الحجر الأحمر المنحوت... ".

(٣) صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٤.

(٤) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٤٧.

(٥) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٧٦، ٤٧٧.

(٦) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٦، ٢٧.

(٧) على بن موسى، رسالة فى وصف المدينة المنورة، مخطوطة رقم (١٦٤٤) تاريخ، ميكروفيلم رقم (٣٠٧٧٩)، دار الكتب المصرية، ورقة ٣.

الأبواب الصغيرة، منها الأبواب التى فتحت فى الجدار الغربى بين باب السلام وباب الرحمة للدخول منها إلى المدرسة والرباط اللذين بناهما السلطان قايتباى فى هذا الجانب من المسجد[1].

ويذكر محمد هزاع الشهرى أنه على الرغم مما أخذ على ابن الزمن خلال عمارته للمسجد النبوى، فإنه قد استكمل عمله وانتهى منه أواخر سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م، يؤكد على ذلك بما ذكره ابن طولون عن عودة الحجاج فى تلك السنة إلى دمشق يحملون أخبار العمارة التى انتهت على أحسن حال[2]. إلا أنه بمراجعة ما ذكره ابن طولون من خلال مؤلفه " مفاكهة الخلان "، تبين أن ما ذكر كان ضمن حوادث سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، وحيث إن رحلة الحج هى رحلة سنوية فهم يخبرون بتطور عمارة المسجد سنويًا والتى قد تستغرق سنوات عدة، ولذا جاء تاريخ نهاية عمارته مختلفة، كما أن هناك فرقًا بين الانتهاء من سقف المسجد وبين انتهاء أعمال عمارته، وهم قد أخبروا بعمارة الحرم النبوى، وأنه عمر فى عمارة عظيمة على يد ابن الزمن لكنه لم يكمل[3]، مما يدل دلالة واضحة على أن أخر ما قام به ابن الزمن فى عمارة المسجد النبوى كان فى سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م.

ويدل على ذلك أيضًا ما ذكره ابن شاهين الظاهرى فى " نيل الأمل "، من أنه سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م عاد الصناع والعمال الذين سبق أن توجهوا لعمارة المسجد النبوى، حيث انتهوا من العمل فيه وقد جاء البناء حسنًا[4]، كما ورد خبر عمارة المسجد فى " وجيز الكلام " حيث يذكر السخاوى: "استهلت (السنة)، وقد كمل الحرم الشريف المدنى كله، ولم يبق منه شيء أصلًا، وكذا لم يبق من المدرسة السلطانية غير الترخيم وبعض تتمات من أعلاها وسكن بعض خلاويها وانتهى الفرن والطاحون وما تم ترخيمها حتى وصل شاد عمائر الحرمين منها لمكة وناظرها للقاهرة "[5].

---

(١) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٣، ٦٨٠.

(٢) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٤٩.

(٣) ابن طولون، مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، ق ١، ص ٥٩.

(٤) ابن شاهين الظاهرى، نيل الأمل فى ذيل الدول، ص ٣٦٨.

(٥) السخاوى، وجيز الكلام فى الذيل على دول الإسلام، الجزء الثالث، تحقيق/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٩٤٨؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، ق ١، ص ٦٢.

إلا أنه وقبل الانتهاء من هذه العمارة، أخذت الأخبار تتوالى على السلطان قايتباى بما حدث من نقص فى بعض جوانب عمارته، فقام السلطان سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م بإرسال جماعة من الدهانين لمحو الآثار السيئة لاستخدام النيلة فى بعض أجزاء سقف المسجد، وأبدلوا ذلك باللازورد، وكان ذلك سببًا فى تغير خاطر السلطان على ابن الزمن[١]، مما دعاه لاستبداله بإرسال بهاء الدين أبى البقاء بن الجيعان إلى المدينة فى ٧ ذى القعدة ٨٨٩هـ/ نوفمبر، ديسمبر ١٤٨٤م، الذى أشرف على إصلاح ما ظهر بأسقف المسجد[٢]، وبعد الانتهاء من هذه العمارة سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٤م أصبح طول المسجد ٢٥٣ ذراعًا (١٢٦, ٥ متر)، وعرضه فى المقدمة ١٦٧ ذراعًا (٨٣, ٥ متر)، وفى المؤخرة ١٣٥ ذراعًا (٦٧, ٥ متر)، وقد زادت مساحة المسجد النبوى الشريف نحو ١٢٠ مترًا مربعًا، وبذلك أصبحت مساحة المسجد النبوى الإجمالية ٩٠١٠ أمتار مربعة[٣].

حتى وبعد انتهاء عمارته ظهرت بعض جوانب الخلل فيه، حيث بلغ السلطان ظهور شروخ فى القبة وميل فى المئذنة الرئيسية، فعين السلطان الأمير شاهين الجمالى وفوضه فى مشيخة الخدام ونظر المسجد والسماط، وقد وصل المدينة سنة ٨٩١-٨٩٢هـ/ ١٤٨٦-١٤٨٧م[٤]، واجتمع مع أهل الخبرة وكبار المدينة، وتوصلوا إلى "هدم المنارة الرئيسية"[٥]، فقام بالهدم وإعادة البناء وكتب على طراز القبة من الناحية الغربية " أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القدير قايتباى"[٦]، كما تبين أن السبب فى ميل هذه المئذنة عدم كفاية حفر أساسها، فحفر أساس المئذنة من جديد حتى بلغ الماء، واستخدم فى هذا الأحجار السود، وتم البناء بإحكام وحسن، كما زاد فى طولها ٢٠ ذراعًا، بحيث أصبحت ١٢٠ ذراعًا وزاد فى عرض جدرانها[٧].

(١) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٧١.
(٢) صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٨٥.
(٣) زكريا هميمى، الحرم النبوى الشريف وصفحات من تاريخ المدينة المنورة، ص ٦٤.
(٤) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٧١.
(٥) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٦.
(٦) محمود الشرقاوى، المدينة المنورة، ص ١٩٦.
(٧) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٥٢٧.

أما عن مصاريف هذه العمارة وغيرها من المدرسة وتوابعها، فيذكر السخاوى أن:"مصروف العمارة بالمسجد والمدرسة وتوابعهما نقدًا... وغير ذلك مائة وعشرون ألف دينار فأزيد فيما قيل"[1]. وبعد قايتباى كان الاهتمام بعمارة المسجد النبوى محدودًا، من ذلك أن السلطان قانصوه الغورى كسا الحجرة النبوية الشريفة أثناء حج زوجته[2].

من ذلك يتضح أن السلطان قايتباى كان من أعظم سلاطين الجراكسة الذين اهتموا بعمارة المسجد النبوى، كما أنه وقف بنفسه على ما كان من عمارته خلال زيارته للمدينة المنورة سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م، وبعد عودته إلى مصر أوقف الكثير من الدور والأراضى للنفقة من ريعها على عمارة المسجد النبوى بخلاف من سبقه من السلاطين، الذين اهتموا فقط بإرسال الأموال والفنيين كلما احتاج المسجد للعمارة[3]، أو إرسال بعض من المنابر.

* كسوة الحجرة النبوية الشريفة وبعض ما أهدى لها عصر المماليك الجراكسة:

يذكر السمهودى أنه فى زمنه كان للحجرة النبوية ثلاث ستائر بعضها فوق بعض[4]، كما ذكر ما قاله كل من الفاسى والزين المراغى، من أن كسوة الحجرة كانت كل ست سنين مرة تعمل من الديباج الأسود مرقومًا بالحرير الأبيض ولها طراز منسوج بالفضة المذهبة دائرة عليها، إلا كسوة المنبر فإنها بتقصيص أبيض وكانت العادة تقسيم الكسوة العتيقة عند ورود الكسوة الجديدة[5].

من ناحية أخرى استمر إرسال القناديل وتعليقها فى الحجرة النبوية الشريفة أجيالًا متعاقبة، ولم تزل القناديل فى زيادة، حيث ذكر السمهودى أن السبكى ألف تأليفًا سماه

---

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٨٢.
(٢) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ١١٥.
(٣) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوى، ص ٢٨٦.
(٤) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٣٩.
(٥) السمهودى، المصدر نفسه، ص ٣٤٠.

"تنزل السكينة على قناديل المدينة "[1]، وذكر أن أحسن ما رآه من معاليق الحجرة قنديل من الفولاذ حسن التكوين مكفت بالذهب، عليه كتابة تبين أن الناصر محمد بن قلاوون علقه بيده هناك، وكان بالقبة فعلقه الشجاعى شاهين الجمالى قبالة المصلى النبوى[2].

فى عصر السلطان قايتباى تم نقش اسمه على الكثير من التحف الفنية التى أهديت إلى المدينة المنورة، ومنها الشمعدانان النحاسيان اللذان أوقفهما على الحجرة النبوية الشريفة، يحتفظ بهما متحف الفن الإسلامى بالقاهرة للآن، والشمعدان الأول من النحاس الأصفر، يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية البدن الأكبر مساحة قوام زخرفته كتابة دعائية باستدارة البدن وبخط الثلث المملوكى على مهاد من الزخارف النباتية نصها "عز لمولانا السلطان الملك العادل المجاهد سلطان الإسلام والمسلمين الملك الأشرف أبو النصر قايتباى"[3]، وعلى منطقة الرقبة من هذا الشمعدان توجد كتابة بخط الثلث المملوكى نصها " هذا ما أوقف على الحجرة النبوية مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى بتاريخ سنة سبع وثمانين وثمانمائة "، ولم تكف المساحة لكتابة بقية النص فتم استكماله على مساحة من الكتف بعبارة " عز نصره " " فى رمضان المعظم قدره ".

أما الشمعدان الثانى فقد أوقفه السلطان قايتباى على الحجرة النبوية الشريفة أيضًا، وهو من النحاس ويشبه الأول من حيث الشكل العام والعناصر الكتابية مع اختلاف

---

(١) يجب الإشارة إلى ما كان من الخلاف الذى وقع بين علماء المسلمين فى العصور المختلفة حول جواز تحلية الحجرة النبوية بالذهب والجواهر النفيسة مع العلم بأنها مكروهة شرعًا حلية للأفراد والمنازل والمساجد فالذين يقولون بالجواز فيستندون إلى ما كان يوهب للكعبة وأن رسول الله لم ينكره وأن أبا بكر لم يفكر فى التصرف فيه وأن عمر فكر فى ذلك، ثم عدل عنه تاسيًا برسول الله وأما الذين يقولون بعدم الجواز فيذكرون حديث النبى لعائشة:"لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأنفقت كنز الكعبة فى سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض " فهو ﷺ لم يفعل وما منعه اعتبار من الشرع وإنما منعته اعتبارات السياسة ويذهب قوم إلى أن المسجد النبوى لا يجوز تحليته بالذهب والفضة أسوة بالمساجد جميعًا، ويذهب آخرون إلى أن الحجرة غير المسجد ويبلغون حد القول بأن المدفن الشريف بالحجرة له شرف على جميع المساجد وعلى الكعبة فلا يلزم من المنع فى المساجد والكعبة المنع هنا وقد كان لهذا الخلاف أثره فى الهبات ونوعها فى القرون الأولى من الإسلام وقد بلغ حد التفانى فى الهبات. انظر: محمد حسين هيكل، فى منزل الوحى، ص ٥٥٧.

(٢) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٤٢.

(٣) عائشة عبد العزيز محمد التهامى، أضواء على بعض التحف الفنية التى أهداها السلطان قايتباى للحجرة النبوية، مجلة المؤرخ العربى، العدد الخامس، المجلد الأول، مارس ١٩٩٧م، ص ٥٣٣.

بسيط فى النص الكتابى على البدن. لم تقتصر إهداءات قايتباى على ذلك، بل أنه أهدى الحجرة النبوية ما يقارب الخمسة شمعدانات فى سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م[1]، كذلك أهدى قايتباى للحجرة النبوية مصحفًا كبيرًا " مصحف حمايلى " أى ينوء بحمله الإنسان ولا يستطيع حمله ربما لثقل وزنه وكبر حجمه، وكان هذا المصحف من النوادر على حد تعبير ابن إياس، كتب هذا المصحف الشريف الخطاط الشهير شاهين النورى ومات ولم يتمه، فأكمله الخطاط وكاتب الوثائق خطاب بن عمر الدنجاوى بأمر من السلطان قايتباى، ويعد غلاف هذا المصحف من أبدع الأغلفة الجلدية ذات الزخارف المضغوطة والمذهبة من ذلك العصر، وهذا المصحف محفوظ الآن فى دار الكتب المصرية بالقاهرة[2].

غير أن الحجرة النبوية الشريفة تعرضت للنهب وسرقة ما بها من تحف على يد بعض الأمراء المتصارعين حول السلطة[3]، من ذلك ما كان من تمرد الأمير جماز بن هبة، عندما صدر مرسوم السلطان بعزله سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م[4] فأخذ ستارتى باب الحجرة كما طلب من الخدام تسعة آلاف درهم حتى لا يتعرض لحاصل الحرم فامتنع الخدام عن إعطائه ما طلب فضرب شيخهم وكسر قفل الحاصل. وذكر ابن حجر أن جماز أخذ من

---

(١) محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ص ٢٤٨- ٢٥٠؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، ص ٣٣١- ٣٣٣؛ عائشة عبد العزيز محمد التهامى، أضواء على بعض التحف الفنية، ص ٥٣٥، ٥٣٦.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٠٤؛ انظر أيضًا: عائشة عبد العزيز محمد التهامى، أضواء على بعض التحف الفنية، ص ٥٣٧، ٥٣٨.

(٣) لقد تعرضت الحجرة الكريمة منذ القرن الثامن الهجرى للسلب والنهب من أولئك الذين يعتبرون حماتها وقد أورد السخاوى فى كتابه " التحفة اللطيفة " عددًا من أمراء المدينة ممن نهبوا ما فى الحجرة منهم:

- جماز بن هبة بن جماز بن منصور سنة ٨٠٥هـ.
- غرير بن هيازع بن هبة سنة ٨٢٤هـ.
- ثابت بن نعير بن هبة بن جماز سنة ٨٢٩هـ.
- عجلان بن نعير بن هبة بن جماز سنة ٨٣٠هـ.
- ذربان الحسينى الطفيلى عاون عجلان بن نعيرعلى النهب سنة ٨٣٠هـ.
- حسن بن زبيرى بن قيس بن ثابت بن نعير بن منصور سنة ٩٠١هـ.
- شامان بن زهير- لم يترجمه السخاوى - وذكر أنه ممن نهب الحجرة.

انظر: حمد الجاسر، رسائل فى تاريخ المدينة، ص ١٧، ١٨.

(٤) محمود الشرقاوى، المدينة المنورة، ص ٢٠٠.

حاصل الحرم إحدى عشر خوشخانًا وصندوقين كبيرين وصندوقًا صغيرًا بها فى ذلك من المال... كما صادر أموال بعض الخدام[1]، وقد أعدت قائمة بما نهبه جماز، فكان وزن ما كان بالحجرة من قناطير الذهب تسعة قناطير، ومن قناديل الفضة ثلاثة وعشرون قنطارًا.

لم تكن حادثة جماز هى الوحيدة، بل إن الأمـير غرير بن هيازع' قام سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م بأخذ مما كان بالقبة ما زنته سبعة عشر ومائة رطل من الفضة، وزعم أن ذلك على سبيل القرض، فـر به إلى القاهرة حيث مات مسجونًا.

ولم تزل القناديل المهداة فى زيادة حتى عدا على الحجرة الشريفة أواخر سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، برغوث بن بتير بن جريس الحسينى، بتسوره جدار المسجد النبوى[2] عن طريق دار الشباك وأخذ من الحجرة الشريفة من القناديل الشيء الكثير، مما يدل على تردده مرات كثيرة على الحجرة فى غفلة من خدام المسجد، إلا أن أمة لبعض جيران دار شباك رأت شخصين فى أعلى الدار يتعاطيان شيئًا له حجم كبير، وفى الصباح أخبرت بواب المسجد فلم يعبأ بذلك، ولكن الله أراد كشف ما قام به برغوث، فقد أبلغ بعض الناس أمير المدينة عن ما ظهر من مال كثير مع برغوث، وهذا غير معروف عنه فقبض عليه الأمير وسجنه، لكنه هرب إلى الينبع سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م، ومعه قطع من ذهب القناديل، وتفقد النظار الحجرة الشريفة فوجدوه أخذ أكثر القناديل[3]، فاجتمع أعيان المدينة وكتبوا إلى أمير ينبع بالقبض عليه وإرساله، فقبض عليه ومعه دبوس بن سعد الحسينى الطفيلى الذى ساعده، وبعد القبض عليه وشريكه قرر أمير ينبع عدم إرساله إلى المدينة حتى تأتى أوامر السلطان، فجاءت المراسيم بقتل من تجرأ على الحجرة النبوية الشريفة.

وذكر السمهودى عدة القناديل التى كانت موجودة فى الحجرة النبوية الشريفة على زمنه، أول سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م، والتى عدت بأمر السلطان قايتباى حيث أمر

---

(١) حمد الجاسر، حوادث تتعلق بالحجرة النبوية، ضمن رسائل فى تاريخ المدينة، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٢) محمود الشرقاوى، المدينة المنورة، ص ٢٠٠.

(٣) حمد الجاسر، حوادث تتعلق بالحجرة النبوية، ص ١٩١، ١٩٢.

شيخ الحرم الأمير إينال والقاضى الزكوى بذلك، فكانت معاليق الذهب ثمانية عشر قنديلًا وبعض قنديل وأربع مشنات ومغرفان وسواران وزنة ذلك سبعة آلاف قفلة أهداه سلطان الكلبرجة شهاب الدين أحمد وعدة معاليق الفضة ثلاثمائة قنديل وأربعة وأربعون قنديلًا وثرية كبيرة زنة ذلك ستة وأربعون ألف قفلة وأربعمائة وخمسة وثلاثون قفلة، ضبطت قبل ذلك فى سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م على يد الأمير برد بك التاجى، فكان الزائد على ما ضبط فى التاريخ المتقدم من الذهب ألف قفلة ومائة وخمسة وخمسون ومن الفضة ثلاثة عشر ألف قفلة وسبعمائة وخمسة وثمانون قفلة، فذلك القدر هو الوارد من عام ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م إلى آخر عام ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م وهناك الكثير غيرها[1].

وفى سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م قام أمير المدينة حسن بن زبيرى مع جماعة مسلحة بالسيوف، فدخلوا المسجد النبوى وأمر خازندار الحرم الشريف بإحضار مفاتيح الحاصل، فامتنع فضربه ضربًا مبرحًا وكسر باب الحاصل، وأخذ جميع ما فيه من نقد وقناديل وسبايك فى ثلاثة أحمال على فرسين وبغل وغراير تسع على ظهور الحمالين، ذهب بكل ذلك إلى حصنه وأحضر الصياغ وسبك تلك القناديل، وذكر أن ذلك رغبة منه عن إمارة المدينة؛ لأن الشريف محمد بن بركات أمير الحجاز أخذ حصته من الصدقات والإقطاعات وعطل ما كان يأتيه من مصر مما حمله على فعل ذلك[2].

ورغم ذلك فإن المسلمين لم ينصرفوا عن إرسال الهدايا لتوضع فى الحجرة النبوية الشريفة.

ثانيًا - اهتمام سلاطين المماليك الجراكسة بمساجد المدينة المنورة الأخرى

اهتم سلاطين المماليك الجراكسة بإصلاح وتجديد مختلف المساجد الموجودة بالمدينة المنورة، وذلك لتؤدى دورها كاملًا، من ذلك ما حدث زمن الأشرف برسباى؛ حيث

(١) حمد الجاسر، حوادث تتعلق بالحجرة النبوية، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٢) حمد الجاسر، المرجع نفسه، ص ١٩٦.

قام أبى القاسم المحلى[1] سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م بتجديد أغلب سقف مسجد قباء[2]. وإن كان محمد كبريت الحسينى فى " الجواهر الثمينة " ذكر أن ذلك " فى سنة أربع وثمانمائة"[3]، لكن التاريخ المرجح هو سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م؛ لأن سلطنة برسباى كانت بين سنتى (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٧م). وكذلك ما حدث سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م بإشراف ابن الزمن على عصر قايتباى من هدم مئذنة مسجد قباء وإعادة بنائها من أساسها، التى سبق أن سقطت سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢ [4] وأحدث هذا السقوط أضرارًا للأسقف المجاورة، مما استدعى إعادة بنائها وإجراء إصلاحات للسقف والسور الخارجى الغربى من جهتها وحتى الباب الغربى، وقد بلغ ارتفاع هذه المئذنة بعد بنائها من سطح الأرض ٦١ ذراعًا قرابة (٥٠ , ٣٠ مترًا)[5].

أما مسجد الجمعة فيذكر السمهودى عنه أن سقف هذا المسجد خرب، وقام بتجديده الخواجة شمس الدين قاوان فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى[6]، كما يعطينا وصفًا له فى نهاية القرن التاسع الهجرى، ومن خلاله يتضح أن المسجد عبارة عن مستطيل طوله من الشمال إلى الجنوب ٢٠ ذراع، وعرضه من الشرق إلى الغرب ٥٠ , ١٦ ذراع، ويتكون من رواق بسقف مستوٍ من الخشب، ينفتح من الجهة الشمالية على رحبة عن طريق عقدين بينهما عمود فى المنتصف، وجدد عمارته أيضًا الملك المظفر بايزيد العثمانى قرابة سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م[7].

---

(١) أبى القاسم المحلى: كان أحد شيوخ خدام المسجد النبوى ويلقب أيضًا بشيخ الحرم استقر به الأشرف برسباى سنة ٨٣٩هـ بعد بشير التيمى بسؤال منه ثم صرف سنة ٨٤٢هـ بفارس الأشرف الرومى ويكون من الأغوات وهم الخصيان الذين كانوا يجلبون من إفريقيا منذ العهد الأيوبى. انظر: السخاوى ، التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٣٤.

(٢) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٤٤؛ انظر أيضًا: أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ١٦٧.

(٣) الحسينى، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٣٨٨.

(٤) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٤٤.

(٥) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٤؛ الحسينى، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٣٨٨.

(٦) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٤.

(٧) الحسينى، الجواهر الثمينة، ج ١، ص ٣٨٨.

مسجد القبلتين لم تتحدث المصادر عن أى إصلاحات أو تجديدات له خلال عصر سلاطين الجراكسة قبل عصر قايتباى، حيث يذكر السمهودى أن هذا المسجد قد تشعث فأصلحه، وجدد سقفه شاهين الجمالى شيخ خدام المسجد النبوى فى سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م[١].

وعن مسجد الشجرة الذى يقع فى آبار على على طرف وادى العقيق، فيذكر السمهودى أنه فى سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٦-١٤٥٧م)، قام زين الدين استادار المملكة المصرية خلال إقامته بالمدينة المنورة، بتجديد حوائطه على أساسه القديم وبدون تجديد مئذنته، وهو مربع مساحته اثنان وخمسون ذراعًا[٢]، وجعل له ثلاث درجات فى الشرق والغرب والشمال، وعمل له محرابًا فى حائط القبلة[٣].

مسجد المصلى يقع جنوب غرب المناخة قريب من المسجد النبوى، حدثت به بعض الإصلاحات على عصر السلطان الجركسى إينال سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م، وذلك بإشراف برد بك المعمارى، كما قام برد بك بعمل دكة خارج المسجد أمام الباب، خصصت لجلوس المبلغين[٤].

مسجد أبى بكر الصديق عرف بهذا الاسم نظرًا لصلاته به زمن خلافته، لم تحدث أى إصلاحات أو تجديدات به كما ذكر السمهودى؛ حيث لم يجد به موضع للصلاة، وقد أشار إليه أنه كالمزبلة، وذلك ما دعاه للتحدث عنه مع شيخ خدام المسجد النبوى الشريف إينال الإسحاقى[٥]، كما يشير السمهودى إلى أن بعض الفقراء قد جددوا المسجد المنسوب لأبى بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م[٦]، وكذلك أشار إليه العباسى فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى، لكنه لم يذكر حالة المسجد المعمارية[٧].

---

(١) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٦٣؛ انظر أيضًا: محمد صالح البليهشى، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، هذه بلادنا (٧)، د. ت، ص ٥٠؛ أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ١٩٦.

(٢) السمهودى، المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٣) صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٢٠٧.

(٤) صالح لمعى مصطفى، المرجع نفسه، ص ١٣٦؛ أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ١٤٣.

(٥) صالح لمعى مصطفى، المرجع نفسه، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٦) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٦٠.

(٧) صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ١٤٦.

مسجد على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ يقع غربى المسجد النبوى، أشار إليه السمهودى فقال: " المسجد المنسوب إلى على ـ كرم الله وجهه ـ كان قد تهدم ودثر حتى صار بعض الحجاج يدفنون فيه من يموت فى زمن الموسم، فإنه إلى جانب منزلة الحجاج، فجدد بناءه أمير المدينة رزين الدين ضيغم المنصورى فى سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م "(١).

إلا أن هناك اختلافًا فيما ذكره السمهودى عن تاريخ تجديد هذا المسجد على يد الأمير ضيغم فى موضعين من كتابه " خلاصة الوفا "، أحدهما أن ذلك كان سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م، والآخر أنه كان سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م، وليس معقول أن يستمر تجديد هذا المسجد لمدة خمس سنوات، فالمؤكد أن ما قام به أمير المدينة كان سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م، لوجود لوحة تؤرخ لهذا التاريخ بسنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م، وقد أشار بوركهارت سنة ١٨١٥م لهذا المسجد، وذكر أن بناءه كان سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١-١٤٧٢م لكنه لم يذكر مصدره، مما يرجح ما قاله السمهودى لكونه معاصرًا للأحداث خلال تلك الفترة.

مسجد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لم يذكر هذا المسجد فى أى من كتابات مؤرخى المدينة المنورة، إلا أن السمهودى كان قد ذكر مسجدًا فى قبلة مسجد المصلى على رابية مرتفعة بوادى بطحان فى مكان كان لإعداد الآجر، وقد أقام هذا المسجد شمس الدين محمد بن أحمد السلاوى بعد سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦-١٤٤٧م، وفى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى، أشار إليه أحمد العباسى، بأنه المسجد المسمى عند العامة بمسجد سيدنا عمر(٢).

مسجد الفتح كما سمى بمسجد الأحزاب، وصفه السمهودى فى أواخر القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى، بأنه كان مكونًا من رواق واحد مغطى بقبو ينفتح من الجهة الشمالية على رحبة عن طريق ثلاثة عقود، وعرض المسجد من الشرق إلى الغرب ١٧ ذراعًا، وطوله بالرحبة ٢٠ ذراعًا(٣).

---

(١) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٣٠.

(٢) صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ١٥١.

(٣) صالح لمعى مصطفى، المرجع نفسه، ص ١٨٥، ١٨٦.

مسجد الإجابة سمى بذلك لأن الرسول ﷺ دعا فيه فأجيب، يقع شرقى البقيع أشار إليه ابن النجار فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى بقوله: "أنه خرب متهدم ولكن ما زال محرابه قائمًا وفيه أسطوانات قائمة "، وفى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى أشار السمهودى إلى عدم وجود الأسطوانات التى أشار إليها ابن النجار، وأضاف أن حوائط المسجد قد رممت وأن المحراب ما زال قائمًا، كما ذكر أن مقاسات المسجد كانت من الشرق إلى الغرب أقل من ٢٥ ذراعًا، ومن الشمال إلى الجنوب (القبلة) أقل من ٢٠ ذراعًا[١].

مسجد بنى قريظة يقع شرقى مسجد الفضيخ قرب الحرة الشرقية، ذكر السمهودى أن شاهين الجمالى جدد بناء جداره فى سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م، وجعل مكان منارته دكة[٢]، كما يذكر القليوبى أن مساحته ـ طولًا وعرضًا ـ أربعة وأربعون ذراعًا[٣].

مسجد سلمان الفارسى وصفه السمهودى بقوله: "وسقف كل من مسجد الفتح والذى فى قبلته (يقصد مسجد سلمان الفارسى) رواق واحد مقبو قبوًا محكمًا، وفى كل منها ثلاث قناطر آخذة من المشرق إلى المغرب "، ومساحة المسجد من القبلة إلى الشام ١٤ ذراعًا، ومن المشرق إلى المغرب ١٧ ذراعًا[٤]، ويبدو أنه امتدت إليه يد البناء والتعمير، وذلك لاستمراره إلى عصر السمهودى.

مسجد السقيا سمى باسم إحدى آبار حرة المدينة الغربية المعروفة ببئر السقيا، يرجح السمهودى من خلال آثاره فى عصره، أنه يرجع إلى عصر عمر بن عبد العزيز، أما فى عصر السمهودى فقد أقيم بناء جديد للمسجد فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، على أساسه الأول وهو مربع مساحته نحو سبعة أذرع طولًا وعرضًا[٥].

---

(١) صالح لمعى مصطفى، المدينة المنورة، ص ٢٠٥.
(٢) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٥٢.
(٣) القليوبى، نبـذة لطيفة فى مباحث شريفة، ص ٧٠.
(٤) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٣، ص ٨٣٦.
(٥) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٦٤.

مسجد الراية يقع على جبل صغير بعد ثنية الوداع، كانت عمارته بالحجارة وقام بتجديده بعد أن تهدم النيروزى سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م، ومساحته ١٦م٢ كما أن له قبة فى وسطه(١).

مسجد البقيع يذكر السمهودى عنه أنه كان به عقدان وقد سقطا وكانت بقاياه موجودة، وتبين منها أنه كان مبينًا بالحجارة المنقوشة على ما بناه عمر بن عبد العزيز. كما يذكر أيضًا أن هذا المسجد جدده شاهين الجمالى سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م، وأنهم عندما حفروا أساسه أخرجوا أحجار كثيرة منحوتة من بنائه الأول استخدموا بعضها فى بناء الحائط الشامى(٢).

مسجد حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، زاد فيه قايتباى من الجانب الغربى فى سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م، كما حفر خارجه بئرًا بدرج للنزول للماء وذلك على يد شاهين الجمالى(٣).

وهناك الكثير من المساجد التى وجدت بالمدينة المنورة فى ذلك العصر، لكن اقتصر الحديث على مساجدها، التى نالت اهتمام سلاطين المماليك الجراكسة من حيث التجديد والعمارة.

ثالثًا ـ سلاطين المماليك الجراكسة وسائر المنشآت المدنية فى المدينة المنورة

اتسعت المدينة المنورة فى زمن الجراكسة نحو الغرب مرة ونصف امتدادها نحو الشرق، وامتد العمران غرب المسجد النبوى ثلاثة أمثال ما كانت عليه فى نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى(٤).

---

(١) محمد صالح البليهشى، المدينة المنورة، ص ٥٤.

(٢) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٦٩.

(٣) أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٤) ذكر البكرى المتوفى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م أن أول من بنى سورًا حول المدينة إسحاق بن محمد الجعدى بنى هذا السور سنة ٢٦٣هـ وذكر أن له أربعة أبواب باب فى الشرق وراء دار عثمان بن عفان وباب فى المغرب يخرج منه إلى بقيع الغرقد ويخرج منه إلى العقيق وباب من الشمال والمغرب يفضى إلى مسجد الفتح وباب آخر يخرج منه إلى قبور شهداء أحد (الجزيرى: درر الفوائد المنظمة، ص ٦٤٠) يبدو أن هذا النص

وبالنسبة إلى بعض منشآت المدينة المنورة فقد مرت أسوار المدينة[1]، بعدة مراحل

نقله البكرى من كتاب الأوراق لأبى بكر الصولى فقد قال: إنه فى سنة ٢٦٣ أغارت بنو كلاب على مدينة رسول الله فقتلوا رجالًا وسبوا نساء وصبيانًا فجاء صريخهم إلى بغداد، فتولى البزاز، وكان صالحا عدلًا تجميع الأموال لتحصين المدينة فبعث المال إلى المدينة وبنى السور (انظر: تعليق حمد الجاسر على كتاب المغانم المطابة للفيروزآبادى، ص ١٩٠) وينفرد إبراهيم رفعت باشا بالقول: إن أول من قام بعمل السور حول المدينة هو محمد بن إسحاق الجعدى عام ٢٣٦ ولعل هذا تحريف فى الطباعة. انظر: إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤١٠؛ عبد القدوس الأنصارى، آثار المدينة المنورة، ص ١٦٩؛ على حافظ، فصول من تاريخ المدينة، ص ٣٧، ٣٨.

ويذكر بعض مؤرخى المدينة (المطرى، التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة، ص ٧٣؛ المراغى، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، ص ٢٣٩؛ الفيروزآبادى، المغانم المطابة فى معالم طابة، ص ١٩٠؛ العباسى، عمدة الأخبار فى مدينة المختار، ص ١٤٥) أن أول من بنى سورا حول المدينة هو عضد الدولة البويهى بعد ٣٦٠هـ، ولكن الرحالة المسلمين ذكروا سورًا يحيط بالمدينة قبل عهد عضد الدولة البويهى فهذا الإصطخرى المتوفى عام ٣٤٦هـ/ ٩٥١م فقد قال:"وأما المدينة أقل من نصف مكة... وعليها سور والمسجد فى نحو من وسطها... ومصلى رسول الله ﷺ الذى كان يصلى فيه الأعياد فى غربى المدينة داخل الباب وبقيع الغرقد خارج باب البقيع فى شرقى المدينة ". انظر: الإصطخرى، المسالك والممالك، ص ١٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٧.قال المقدسى المتوفى سنة ٣٨٠هـ والمدينة هائلة الأبواب ولها أربعة أبواب باب البقيع وباب الثنية وباب جهينة وباب الخندق والخندق من نحو مكة عامرة الحصن مشرفة. انظر: المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٨٢. ثم تهدم السور الذى بناه عضد الدولة البويهى وخرب لخراب المدينة ولم يبق إلا آثاره قبلى جبل سلع. انظر: المطرى، التعريف، ص ٧٣؛ المراغى، تحقيق النصرة، ص ٢٣٩؛ الفيروزآبادى، المغانم المطابة، ص ١٩٠؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٦٦، ثم جدد الوزير جمال الدين محمد بن أبى منصور الجواد الأصفهانى سورًا محكمًا على رأس ٥٤٠هـ وبعد أن كثر الناس خارج السور وفى أثناء زيارة السلطان الملك العادل نور الدين محمود زنكى فى سنة ٥٥٧هـ طلب أهل المدينة من السلطان بناء السور لحفظ ماشيتهم وأبنائهم فأمر ببناء السور المحيط بالمدينة وكتب اسمه على باب البقيع. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٤٤؛ الإدريسى، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٤٣؛ المطرى، التعريف، ص ٧٤؛ المراغى، تحقيق النصرة، ص ٢٤١.

قال الرحالة ابن جبير حينما زار المدينة عام ٥٧٩هـ " وللمدينة أربعة أبواب وهى تحت سورين فى كل سور باب يقابله آخر الواحد منها كله حديد ويعرف باسمه باب الحديد ويليه باب الشريعة ثم باب القبلة وهو مغلق ثم باب البقيع ". انظر: ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٧٥.

وذكر المراغى أن السور قد جدد فى سنة ٧٥٥هـ فى أيام الملك الصالح صالح أحد أولاد الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر. انظر: المراغى، تحقيق النصرة، ص ٢٤٢ وقد نقل عنه السمهودى فى وفاء الوفا (السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٧٠؛ العباسى، عمدة الأخبار، ص ١٤٦) وبعد استيلاء الدولة العثمانية على الحجاز قام السلطان سليمان القانونى عام ٩٣٩هـ ببناء سور المدينة الذى استمر قائمًا حتى إزالته فى العهد السعودى الحديث وقد بنى هذا السور على أساس السور القديم واستمر العمل فيه سبع سنوات حيث انتهى العمل منه فى عام ٩٤٦هـ. انظر: العباسى، عمدة الأخبار، ص ١٤٧.

(١) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١١٢.

سواء من حيث البناء والهدم أم التجديد، واختلفت طبيعة ذلك على مر العصور التاريخية[1]، فكانت هناك محاولات عديدة لإنشاء الأسوار، وإن كانت غير محكمة سواء من ناحية التصميم أم البناء[2].

لعبت أسوار المدينة المتعاقبة دورًا بارزًا فى تشكيل المدينة المنورة عمرانيًا، فأصبحت على شكل بيضوى تبعًا لشكل السور[3]. لذلك يعتبر سور المدينة المنورة من أهم المنشآت التى اهتم بها سلاطين المماليك الجراكسة، لضمان الأمن والاستقرار بها، لذلك ما كان يحدث أى خلل فى هذا السور أو هدم جزء منه، حتى يسارع المماليك فى القيام بترميم هذا الخلل، من ذلك ما قام به السلطان قايتباى سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م، من تجديد بعض أجزاء السور[4]، حيث جدد السور من باب المصرى غربى المدينة، إلى الركن القبلى بطول سبعمائة ذراع وأربعة عشر ذراعًا، وبناه من الحجر إلى أعالى العقود التى من خلفه من داخل المدينة وبنى أعاليه باللبن[5].

وكانت جميع أسوار المدينة قد أنشئت بغرض حمايتها خلال فترات ضعف الدولة الإسلامية، وذلك يدل على قدر اهتمام حكام المسلمين بالمدينة المنورة، وعندما كانت تغلق أبواب أسوارها فإنها تعزلها عن غيرها[6]. وتتفق كثير من المصادر على أن السبب فى إنشاء تلك الأسوار للمدينة هو حمايتها من هجمات الأعراب عليها[7].

---

(١) مختار محمد بلول، المدينة المنورة درة المدائن، الطبعة الأولى، دار بلول للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٥٠.

(٢) عمر الفاروق، المدينة المنورة التركيب الوظيفى... النمو والتغيرات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧م، ص ١٨.

(٣) محمد محمود السريانى، السكن الحضرى، ص ١٨٠.

(٤) العباسى، عمدة الأخبار، ص١٢١؛ السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٢٨.

(٥) ابن الرومى، محمد بن خضر الرومى الحنفى، كتاب التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة، ضمن رسائل فى تاريخ المدينة، تقديم وإشراف/ حمد الجاسر، الطبعة الأولى، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٨٦.

(٦) عمر الفاروق، المدينة المنورة، ص ١٩.

(٧) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤١٠؛ محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ص ٢٦٣.

كذلك اهتم سلاطين المماليك بأبواب المدينة المنورة، حيث كان لها فى تلك الفترة أربعة أبواب:

- الباب الأول: فى غرب المدينة من جهة المصلى، عند منزلة الحاج المصرى، وهو يعرف بدرب المصلى ودرب سويقة، وقد ذرع السمهودى ما بينه وبين عتبة السلام فكان (٦٤٥ ذراعًا)، كان عليه باب متقن صناعته، أحرقه صبيان الأمير ضيغم بن خشرم سنة عزله سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م، فأخذ أمير المدينة باب الحوش الذى عمره الأمير ضيغم وجعله عليه، ثم عمل به بابًا متقنًا كالأول فى عمارة المسجد المتجددة بعد الحريق الثانى الذى حدث سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م.
- الباب الثانى: فى جهة الغرب عند رحبة حصن أمير المدينة، ويعرف بالدرب الصغير.
- الباب الثالث: وهو المعروف بالدرب الكبير والدرب الشامى.
- الباب الرابع: وهو المعروف بدرب البقيع فى شرق المدينة، ويعرف بدرب الجمعة، وعليه باب متقن مغشى بصفائح الحديد، ويذكر السمهودى أنه باقٍ من زمن نورالدين، وذرع السمهودى ما بينه وبين عتبة باب المسجد المعروف بباب جبريل فكان (٤٣٣ ذراعًا)، وفى قبلة سور المدينة موضع باب مسدود، كان يعرف بدرب السوارقية[1].

كما وجد فى المدينة المنورة الشوارع التجارية، تركزت على أطراف المدينة لتسهيل حركة نقل السلع دون إعاقة الحركة داخلها، كمثل الشارع الواصل بين الباب المصرى وباب السلام، وبين باب الرحمة والباب الشامى، مع ملاحظة عدم السماح بوجود أى نشاط تجارى كثيف قرب المسجد النبوى، لتحقيق الاحترام الواجب - اللهم إلا بعض

---

(١) السمهودى، وفاء الوفا، ج ١، ص ٧٧٠؛ انظر أيضًا: أحمد محمد شعبان، أسوار المدينة المنورة فى التاريخ، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثانى عشر، محرم - ربيع الأول ١٤٢٦هـ/ مارس- مايو ٢٠٠٥م، ص ٦٥، ٦٦.

الأدوات الخاصة بالعبادة والصلاة والعطور - لا سيما وأن المنطقة المحيطة بالمسجد قد ازدحمت بالمنشآت[1]، فكان فى المدينة سكتان طويلتان، إحداهما تمر من الغرب إلى الشرق، وهى معوجة متصلة بالسكة الأخرى، وتشتمل على بيوت وقصور وأسواق، والسكة الأخرى من الشرق من باب السلام إلى جهة الغرب، حيث الباب المصرى، وهى تشتمل على أسواق وحوانيت وبيوت وقصور، بالإضافة إلى عطفات أخرى تشتمل على حوانيت وبيوت وقصور كثيرة[2]، وكان باب عاتكة من أبواب المسجد النبوى يعرف أحيانًا بباب السوق؛ لأن سوق المدينة كانت تقع فى جهته، وكان يسمى أيضًا بباب الرحمة[3]، وجميع هذه الأماكن نستطيع أن نقول إنها كانت عبارة عن أسواق، تحتوى على جميع ما يرغب به أهل المدينة من بضائع، ويذكر السمهودى أن قريبًا من المدرسة الباسطية، توجد وكالة السلطان قايتباى، وفى غربها سوق المدينة يباع فيها الفاكهة[4].

كما اهتم سلاطين الجراكسة بإنشاء الأسبلة والحمامات فى المدينة المنورة، منها السبيل الذى أنشأه القاضى عبد الباسط، وألحقه بمدرسته قرب المسجد النبوى[5]، كما أمر السلطان قايتباى فى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م بإنشاء سبيل ملحق بمدرسته بإشراف ابن الزمن، وكذلك أمر السلطان الغورى فى ربيع الأول سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م بإنشاء سبيل فى بدر[6].

وبالنسبة إلى إنشاء الحمامات، فهناك الحمام الذى أنشأه السلطان قايتباى ضمن مجموعته المعمارية، ناحية ميضأة باب السلام، حيث لم يكن فى المدينة حمام عام[7].

---

(١) عبد الفتاح أحمد دسوقى، الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، ص ١٣٣.

(٢) النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٤٣.

(٣) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٨.

(٤) السمهودى، المصدر نفسه، ص ١٢.

(٥) محمد حمزة إسماعيل الحداد، الأسبلة فى العمارة الإسلامية بمكة المكرمة والمدينة المنورة " دراسة تاريخية آثارية "، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، سلسلة العمارة الإسلامية فى الجزيرة العربية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٩، ٣٠.

(٦) محمد حمزة إسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص ٣٠، ٣١.

(٧) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٧٠.

ولعل من أهم سلاطين الجراكسة الذين اهتموا بإنشاء العديد من المنشآت فى المدينة المنورة، السلطان قايتباى الذى لم يكد ينتهى من عمارة المسجد النبوى بعد حريق سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، حتى أنشأ رباط بجانب مدرسته الأشرفية، بالإضافة إلى بناء رباط آخر بدل رباط الحصن العتيق' كما بنى حمام ناحية ميضأة باب السلام، وسبيل ماء وفرن وطاحون، حيث لم يكن فى المدينة طاحون عام ومطبخ لطبخ الدشيشة وتوزيعها يوميًا على الفقراء[١]، وكذلك بنى وكالة ذات حواصل فى الدور التى اشتروها من قبل من دور العياسا[٢]، من أجل بناء السماط الذى أراد السلطان بناءه بالمدينة[٣].

ولعل أهم ما أنشأه قايتباى فى المدينة المنورة هى مدرسته عند باب السلام، وهى مكان نزول أمير الحاج المصرى حين قدومه إلى المدينة[٤]، وقد ظلت هذه المدرسة قائمة حتى زارها الرحالة النابلسى سنة ١١٠٥هـ، وقال عنها: "مدرسة السلطان قايتباى التى عمرها على شكل القاعة بأربعة لواوين (يقصد أواوين)، كلها بالحجارة المنحوتة الملونة والشبابيك الكبار من النحاس الأصفر، وفى وسطها الميدان المفروش بالبلاط المنقوش، مرتفعة يصعد إليها بدرج ودهليز مبلط، وشبابيكها مطلة على داخل الحرم النبوى من جهة الغرب قبالة الحجرة النبوية، وفيه الخلوات للمجاورين ولها شباك مطل على باب السلام"[٥].

كان لهذه المدرسة مئذنة خاصة بها فى ناحية باب الرحمة، كذلك كان فيها الخلوات لسكن الطلبة، وقد أصبحت فيها بعد تستخدم لاستضافة المجاورين[٦].

كما كان هناك أبواب صغيرة فتحت فى الجدار الغربى للمسجد النبوى بين باب السلام وباب الرحمة للدخول منها إلى المدرسة والرباط اللذين أنشأهما السلطان[٧].

(١) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٧٠.
(٢) هم الأشراف بنو عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم الحسينى وهو جد العياسا.
(٣) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ١، ص ٣٧١.
(٤) الإسحاقى، لطائف أخبار الأول، ص ٣٢٠.
(٥) النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٣٥؛ انظر أيضًا: على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٨٩، ٩٩.
(٦) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٩٨، ٩٩.
(٧) – محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٤٨.

وكذلك أنشأ خلاوى للفقراء، وخزانة كتب ومكتب للأيتام[1]، وكانت جملة ما تكلفته جميع منشآت عمارة قايتباى، بما فيها عمارة المسجد النبوى الشريف " مائة وعشرون ألف دينار "[2].

يتضح من ذلك أن سلاطين المماليك الجراكسة قد اهتموا بكل مظاهر العمران فى المدينة المنورة لعظيم شرفها وأهمية مكانتها لديهم.

وقد اقتصر الحديث على بعض المنشآت المهمة فى المدينة المنورة التى نالت عناية ورعاية سلاطين الجراكسة.

---

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٢) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٥٠.

• الفصل الخامس

الحياة العلمية والثقافية فى المدينة المنورة

أولًا ـ دُور العلم فى المدينة المنورة

ثانيًا ـ خزائن الكتب (المكتبات)

ثالثًا ـ أنواع العلوم

رابعًا ـ أثر الأوقاف على الحياة العلمية والثقافية فى المدينة المنورة

أولًا - دُور العلم فى المدينة المنورة

تعددت دُور العلم بالمدينة المنورة زمن المماليك الجراكسة، فكان منها الآتى:

(١) المساجد

كانت المساجد من أهم مراكز التعليم فى العصور الإسلامية الأولى، حيث لم يقتصر دورها على العبادة والصلاة، وإنما كان لها دور تربوى من خلال حلقات العلم لدراسة القرآن الكريم والفقه واللغة العربية وغيرها[١]. ويمثل المسجد النبوى الشريف أهم تلك المساجد؛ حيث كانت سواريه والروضة الشريفة أماكن للقراء والمحدثين والفقهاء وغيرهم من العلماء، يقصدونها للعلم والتعلم[٢]، وكانت حلقات العلم بالمسجد تمثل أبرز مظاهر النشاط العلمى فى المدينة، بما أتاحته من إثراء للحركة العلمية، حيث كان العلماء يلقون دروسًا مختلفة فى التفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول والصرف والنحو والبلاغة، وإن كانت هذه الدروس بغير نظام أو إدارة مسئولة أو اختبارات منظمة[٣]، فهم يلقون العلم فيه بنظام الحلقات العلمية، حيث يجلس من يريد العلم على

---

(١) سحر بنت عبد الرحمن مفتى الصديقى، أثر الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢١.

(٢) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٥٥.

(٣) محمد عبد الرحمن الشامخ، التعليم فى مكة والمدينة، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢م، ص ٦٣.

الأرض بشكل دائرة حول الشيخ، الذى يستقبلهم بوجهه ويلقى عليهم الدروس، كما أن منهم من كان يجلس على مكان مرتفع ليظهر للجميع[1].

وأشار السخاوى إلى أن أماكن الدرس ومجالس العلم، قد شملت جميع أنحاء المسجد النبوى الشريف، فيذكر عن نفسه أنه عندما جاور فى المدينة قرأ " تجاه الحجرة النبوية على مؤرخها البدر بن عبد الله بن فرحون "، ويذكر أيضًا أن ضمن أساطين المسجد كانت هناك أسطوانة تعرف بأسطوانة عائشة[2]، كان يجلس بجوارها الراغبون فى قراءة الحديث النبوى الشريف وعلومه، وكانت لا تخلو من كبار العلماء الذين يلتف حولهم طلبة العلم[3]، فى حلقات يتحكم فى عدد طلابها شهرة شيخهم[4]، فيجلس الشيخ مستقبل القبلة فى المكان المخصص من أروقة المسجد وحوله الحاضرون الذين يقرأ عليهم درسه ويناقشونه[5].

وقد تمتد حلقات بعض مشاهير العلماء لسنوات، وعند ذلك يكون لهم مكان معلوم فى المسجد يختلف إليه طلبة العلم فيه[6]، فيجلس طلاب العلم بين يدى الشيخ ويسمعون منه الدروس فى الحديث والتفسير والفقه وعلوم العربية، ويستمرون فى هذا لسنوات، ومتى أحس الطالب مقدرة على التدريس بتشجيع من أساتذته يبدأ الطالب

---

(١) عدنان على الفراجى، الحياة الفكرية فى المدينة المنورة فى القرنين الأول والثانى للهجرة، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٥٤.

(٢) أسطوانة عائشة: أسطوانة أم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هى إحدى الأساطين التاريخية فى الروضة المطهرة بالمسجد النبوى الشريف تعرف أيضًا بأسطوانة المهاجرين أو بمجلس المهاجرين ويطلق عليها أحيانًا مع غيرها من الأساطين وصف (المخلقة) أى المعطرة بطيب الخلوق ووجه تسميتها بأسطوانة عائشة أن أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هى التى أخبرت بها وحددت مكانها وقيل: لم تحددها السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولكن استنبط مكانها بعد ذلك وقيل: هى التى كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتهجد عندها ليلًا. انظر: المطرى، التعريف، ص ٣٤؛ انظر أيضًا: عبيد الله محمد أمين كردى، الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخًا، الرياض، ص ٢٥١.

(٣) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١١.

(٤) عبد الغنى محمود عبد العاطى، التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٦٩.

(٥) على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر، الطبعة الأولى، إشراف د/ إبراهيم عصمت مطاوع، د/ عبد الغنى عبود، تقديم د/ عبد الغنى عبود، مكتبة التربية الإسلامية، الكتاب الثالث، دار الفكر العربى، ١٩٨١م، ص ٣٦٦.

(٦) عدنان على الفراجى، الحياة الفكرية فى المدينة المنورة، ص ٥٦.

دروسه، ويتوقف نجاحه أو فشله فى ذلك على مقدرته فى إدخال المعلومات إلى عقول مستمعيه وإلى رأى هؤلاء المستمعين(١).

كما عرفت طريقة التعلم بالملازمة؛ حيث يلازم الطالب أحد المشايخ باستمرار، وفيها يكون نبوغ الطالب العلمى ظاهرًا بشكل واضح(٢).

وقد أشار السخاوى إلى تخصيص الكثير من دروس العلم داخل المسجد النبوى الشريف، لطلبة أحد المذاهب دون غيره من المذاهب الأخرى، أو تخصيصها لمذهبين من المذاهب، مثل المذهب الشافعى والحنفى(٣)، كما أنه رغم أن الحريق الثانى الذى شب بالمسجد النبوى الشريف فى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م أيام السلطان قايتباى، قد عطل المسجد عن أداء وظيفته التعليمية، إلا أنها كانت فترة قصيرة، عاد المسجد بعدها إلى ممارسة مهامه(٤).

وكانت مجالس العلم فى المسجد النبوى تعقد غالبًا بعد صلاة العصر وتمتد إلى صلاة العشاء، وتفتتح بذكر الله تعالى والصلاة على الرسول ﷺ(٥).

وممن تولى التدريس والإقراء فى المسجد النبوى الشريف، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم اللخمى الأسيوطى (ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٦م). كان ماهرًا فى الفقه والعربية والأصلين وقام بالتدريس والإفتاء فى الحرمين(٦). ومنهم إبراهيم بن على بن فرحون اليعمرى (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) حدث فى المسجد النبوى وبرع فى الفقه على المذهب المالكى(٧).

---

(١) على بن حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٩٨.

(٢) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ١٢٩.

(٣) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٤.

(٤) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٠١.

(٥) ابن رشيد، أبو عبد الله محمد بن عامر رشيد الفهرى السبتى، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، الجزء الخامس، تحقيق د/ محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٦، ٢٧.

(٦) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٤١، ١٤٢.

(٧) السخاوى، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣١، ١٣٢.

كذلك كان هناك أحمد بن محمد بن محمد الجلال أبو الطاهر الخجندى (ت ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)، أقام بالمدينة أكثر من أربعين سنة، قام بالتدريس والإفتاء، وكان إمامًا للحنفية[1].

وكان منهم محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان الششترى (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، تصدى للإقراء، التى أخذها عن محمد الكيلانى وغيره، فانتفع به أهل المدينة، كما أخذ عنه السيد المحيوى قاضى المذهب الحنبلى فى المدينة[2]. وهناك كثيرون من الأعلام الذين أخذوا القرآن الكريم قراءة وتجويدًا على شيوخ فى المسجد النبوى الشريف.

ولا شك أن حلقات العلم فى المسجد النبوى الشريف، قد لعبت دورًا كبيرًا فى الحياة العلمية والثقافية فى المدينة المنورة، خلال عصر سلاطين الجراكسة، فالمسجد كان له دوره ولا يزال هذا الدور قائمًا، ليسهم فى تطور الأمة الإسلامية دينيًا وفكريًا وحضاريًا[3]، كما أنه لا شك أن هذه الحلقات العلمية كانت تمثل المدرسة فى الإسلام، وكان لها منهجها وطرق تدريسها، وقد خرجت متخصصين فى كثير من العلوم[4].

(٢) الكتاتيب (المكاتب) فى المدينة المنورة[5]

خلال عصر المماليك الجراكسة تم عزل الكتاتيب عن المدارس والمساجد، لأن

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٥٦.

(٣) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ١٢٦.

(٤) عبد الله قاسم الوشلى، المسجد ودوره التعليمى عبر العصور من خلال الحلق العلمية، سلسلة نحو النور (٩)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ت.، ص ٢٤.

(٥) تعريفات لإعطاء صورة واضحة لمدلول الكُتاب الذى نتحدث عنه لغويًا وتربويًا:

١ - " الكُتاب بالضم والتشديد والمكتب واحد والجمع الكتاتيب والمكاتب أى موضع الكتابة "

٢ - " الكُتاب مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن والجمع كتاتيب "

٣ - الكُتاب عند القابسى " هو المكان الذى يتلقى فيه الصبيان العلم ".

٤ - الكتاتيب مفردها كُتاب وهى " المكان الذى يجتمع فيه أطفال المسلمين لحفظ القرآن الكريم قراءة وكتابة وتلقى مبادئ الدين الإسلامى وتستخدم أيضًا كلمة " المكاتب "ومفردها مكتب "

٥ - " الكُتاب جمعه كتاتيب وهو موضع تعليم القراءة والكتابة وهو من المؤسسات التعليمية المهمة التى وجدت فى المجتمع الإسلامى لتثقيف لصغار وتربيتهم التربية الإسلامية الجيدة ". انظر: دخيل الله عبد الله الحيدرى، التعليم الأهلى فى المدينة المنورة من ١٣٤٤هـ إلى ١٤٠٨هـ دراسة تاريخية وصفية، من منشورات نادى المدينة المنورة الأدبى (٧٠)، ص ٤٣، ٤٤.

الأطفال لم يكونوا حريصين على النظافة والهدوء، وكان يقام بعضها بجوار سبيل للماء وبعضها بنى بجوار الحرم النبوى الشريف[1]. كما كان شائعًا أن يوضع الكُتاب فوق السبيل، ما عدا أمثلة قليلة يتم وضع الكُتاب فوق إحدى الوحدات المعمارية الأخرى، وذلك بغرض أن يكون الكُتاب عرضة لأكبر قدر من الإضاءة والتهوية؛ حيث يوجد به عدد كبير من الأطفال[2].

عرفت الكتاتيب باسم مكاتب السبيل أو مكاتب تعليم الأيتام أو مكاتب تعليم الأبناء، وكان عدد أطفال الكتاتيب يتراوح بين الثلاثين والأربعين طفلًا[3]، فالهدف من إنشاء معظم الكتاتيب فى الأصل تعليم الأيتام ولهذا قام أهل الخير بإقامتها والوقف عليها[4].

وكان الأطفال يتعلمون فيها العلوم الأساسية التى تتناسب ومداركهم، منها القرآن الكريم فهو " أول العلوم التى ينبغى أن يدرسها الصبيان، بل هو المحور الذى يدور عليه التعليم فى الكتاتيب " وضرورة ذلك تنبع من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحث على تعلم القرآن وتعليمه[5].

إلى جانب تعليم القرآن الكريم، كان الأطفال يتعلمون الكتابة، ويبدو أنهم يتعلمون كتابة الحروف مفردة لأول مرة، ويعتمدون طريقة التهجى لحفظها، وفى مرحلة متقدمة يتعلمون بعض الشعر والأمثال، أما اللغة العربية والنحو فكان يتعلم الأولاد إياها فى مرحلة متقدمة من دراستهم فى الكُتاب، وكان الصبى يتعلم فضلًا عن ذلك الحساب وشيء من السيرة النبوية[6].

يمكن إجمال ما كان يتعلمونه فى الكُتاب، فيما قاله ابن الأخوة أن يعلمه المؤدب: "السور القصار من القرآن بعد حذاقته بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل ويدرجه

---

(١) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٨١.
(٢) عدنان محمد فايز الحارثى، عمارة المدرسة فى مصر والحجاز، ج ١، ص ٣٧٣، ٣٧٤.
(٣) حمد الجاسر، رسائل فى تاريخ المدينة، ص ٥١، ٥٢.
(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٤، ص ١٠ ٤١؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٤.
(٥) عدنان محمد فايز الحارثى، عمارة المدرسة فى مصر والحجاز (فى القرن ٩هـ/ ١٥م)، ج ١، ص ٦٩.
(٦) عدنان على الفراجى، المرجع نفسه، ص ٧٠، ٧١.

بذلك حتى يألفه طبعًا، ثم يعرفه عقائد أهل السنة ثم أصول الحساب وما يستحسن من المراسلات، وفى وقت البطالة يأمرهم بتجويد الخط على المثال ويكلفهم عرض ما أملاه عليهم حفظًا غائبًا لا نظرًا "[1].

ولم يكن سن الالتحاق بالكُتاب يختلف كثيرًا عن سن الالتحاق بالتعليم الابتدائى فى عصرنا غير أنه لم يحدد حد أدنى لدخول الكُتاب[2]. حيث كان الطفل يلتحق بالكُتاب من سن الرابعة وحتى العاشرة، وتتوقف مدة وجوده فى الكُتاب على مدى استعداده وقدراته، حيث كان بعضهم يدرس إلى سن العاشرة، وأما إذا بلغ الطفل سن الحلم، فكان يصرف ليحل محله طفل آخر[3].

فتشير الكثير من المصادر إلى أن الحد الأعلى للبقاء فى الكُتاب هو سن البلوغ[4].

أما عن مواعيد الدراسة والعطلات، فيذكر ابن الحاج:"وانصراف الصبيان واستراحتهم يومين فى الجمعة لا بأس به، وكذلك انصرافهم قبل العصر بيومين أو ثلاثة وكذلك بعده بل ذلك مستحب، لقوله عليه ﷺ "روحوا القلوب ساعة بعد ساعة"، فإذا استراحوا يومين فى الجمعة نشطوا لباقيها "[5] فكانت العطلة فى الكتاتيب عطلة أسبوعية فى يومى الخميس والجمعة، ويروى أن العطلة الأسبوعية كانت فى الجمعة فقط أول الأمر[6]. وعن إلحاق يوم الخميس بالجمعة، تذكر المصادر قصة خلاصتها أنه لما خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام عام فتحها، وقد مكث شهرًا ثم رجع إلى المدينة، وقد استوحش الناس فخرجوا للقائه تلقاه الصغار على مسيرة يوم، وكان ذلك يوم الخميس فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة فتعبوا فى خروجهم ورجوعهم، فشرع لهم الاستراحة فى اليومين المذكورين فصار ذلك سنة متبعة ودعا بالخير لمن أحيا هذه

---

(1) ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٢٦١.

(2) على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٢٥٠.

(3) ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٧٠.

(4) على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٢٥٠.

(5) ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، المدخل، مدخل إلى الشرع الشريف على المذاهب، الجزء الثانى، القاهرة، ١٩٢٩م، ص ١٠٠.

(6) عدنان على الفراجى، الحياة الفكرية فى المدينة المنورة، ص ٦٤.

السنة، وكان ثمة عطلة أخرى للكتاتيب على العرف المشتهر المتواطأ عليه وهى " ثلاثة أيام فى عيد الفطر... وخمسة أيام فى الأضحى يوم قبل النحر وثلاثة أيام النحر واليوم الرابع وهو آخر أيام التشريق، ثم يعودون - التلاميذ - إلى معلميهم فى اليوم الخامس من أيام النحر وهذا أوسط الرفق ".

يذكر عدنان على الفراجى أن هذا العرف استمر فى المدينة وفى غيرها إذ: "اقتدى به السلف فى الاستراحات المشروعة إلى يومنا هذا..."[١].

وعندما ينتهى الطفل من حفظ القرآن الكريم، كان يحتفل به احتفالاً يسمى "الإصراف"، حيث تزين أرض الكُتاب وحيطانه، ويقوم أهل الطفل بتزيينه بقلائد الذهب والعمائم ويركبونه على فرس أو بغلة ويمشى بين يديه أطفال الكُتاب حتى يصلونه إلى بيته فيدخل المؤدب ويعطى أهل الطفل لوح الإصرافة، فيقوم أهله بإعطاء المؤدب ما يقدرون عليه من مال ويحتفلون بالجميع ويقدمون لهم الأطعمة والحلوى[٢]. بالإضافة إلى أنه كان يصرف إلى الصبى مكافأة مالية تشجيعية لإتمامه حفظ القرآن الكريم[٣].

أما عدد الكتاتيب فى المدينة المنورة، فكان بها عدد غير معروف يرتبط معظمه بالمعلمين الذين يدرسون فيها، ومنها الكُتاب الذى أنشأه السلطان قايتباى لتعليم الأطفال فى المدينة المنورة، ضمن مجموعته التى أنشأها بجوار المسجد النبوى بعد إعماره فى أعقاب الحريق الذى حصل له سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م[٤]، ولا شك أنه كان يوجد منها الكثير فى المدينة فى ذلك العصر.

(٣) المدارس فى المدينة المنورة

لم تختلف المدرسة فى المدينة المنورة، على عصر المماليك الجراكسة عن المسجد، من

---

(١) عدنان على الفراجى، الحياة الفكرية فى المدينة المنورة، ص ٦٥.
(٢) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٣٣١.
(٣) محمد على فهيم بيومى، دور مصر فى الحياة العلمية فى الحجاز أبان العصر العثمانى، ص ٨.
(٤) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٤.

حيث البناء ولا الوظيفة[1]، حيث يتشابه التصميم المعمارى للمسجد والمدرسة، بحيث يصبح من الصعب التمييز بينهما، ولكن روعى فى تصميم المدرسة الأغراض التعليمية، وإنشاء مساكن للطلبة والمدرسين وغيرهم من أصحاب الوظائف وبعض الملحقات من القاعات والحواصل، وغالبًا ما يكون بجوار المدرسة سبيل للماء يعلوه مكتب لتعليم الأيتام[2]، وقد حرص المنشئون لها على أن تكون مطلة على المسجد النبوى الشريف لارتباطهم به[3]، ومعظمها كانت دُورًا أو أربطة تم شراؤها ثم أعيد بناؤها لتناسب غرض التدريس[4]، واختلفت الدراسة بها باختلاف المذاهب الفقهية وباختلاف الهدف من إنشائها، ذكر السخاوى فى ترجمته للسمهودى بأن خيرى بك قرره فى المدرسة الشافعية بالمدينة[5].

وكان هناك مدارس للحنفية، فيذكر السمهودى أن المدرسة التى بناها الأمير بازكوج أحد أمراء الشام، قد بناها لأبناء المذهب الحنفى ودراسة فقه المذهب[6]، كما وجدت بعض المدارس لمذهب الحنابلة والمالكية، وكذلك وجدت مدارس لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، مثل مدرسة الأشرف قايتباى بإيواناتها الأربعة؛ حيث تم تخصيص كل إيوان منها لأبناء أحد المذاهب[7].

كما حرص الواقفون على اختيار العلماء والمدرسين للتدريس بمدارسهم، وقد اشترطوا فيهم أن يكونوا معروفين بالعلم والفضل، من ذوى المذاهب الأربعة[8]، كما كان يتم اختيار المدرسين من بين المقيمين فى المدينة أو من القادمين إليها[9].

---

(١) عبد الله قاسم الوشلى، المسجد ودوره التعليمى عبر العصور من خلال الحلق العلمية، سلسلة نحو النور (٩)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د. ت.، ص ٧٢.

(٢) عبد اللطيف إبراهيم على، دراسات تاريخية وآثرية فى وثائق من عهد السلطان الغورى، الجزء الأول، رسالة دكتوراه، كلية الأداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٤٩.

(٣) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ١٣٧.

(٤) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٦٠.

(٥) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٣٢.

(٦) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٦٢.

(٧) السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٣٢.

(٨) راشد سعد راشد القحطانى، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ص ٩٤.

(٩) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٦٠.

ووجد فى المدارس الكبرى خازن للكتب، كان فى كثير من الأحيان من كبار العلماء، ويعرف "بمفرق الربعة الشريفة"، مهمته تفريق المصاحف الشريفة على الطلبة للقراءة، ثم جمعها بعد الانتهاء من القراءة والمحافظة عليها[1].

وكانت كثير من هذه المدارس غالبًا ما تسمى باسم منشئيها، وقلما تسمى باسم أحد من مدرسيها أو مكان وجودها، وذلك يتضح من الأسماء التى أطلقت على هذه المدارس ومن أهمها:

١ - المدرسة البنجالية الغياثية

أنشأها السلطان غياث الدين أبى المظفر صاحب بنجالة من بلاد الهند فى سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م[2]، وكان السلطان غياث قد ندب حاجى إقبال مولى خان جهان وزير صاحب الهند بصدقة لأهل المدينة المنورة، وكذلك هدية لأميرها جماز بن منصور، كما أمر حاجى إقبال ببناء مدرسة للسلطان الهندى فى المدينة وشراء وقف عليها[3]، وقد أنشئت هذه المدرسة بمكان يقال له الحصن العتيق عند باب الرحمة من أبواب المسجد النبوى، كان هذا الحصن العتيق منزلًا لأمراء المدينة، ثم انتقل إلى السلطان غياث الدين بالشراء، حيث أقام فيه المدرسة ورتب لها المدرسين والطلبة وجعل لها وقفًا[4].

٢ - المدرسة الباسطية[5]

أنشأها عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الزينى الدمشقى (٧٨٤-٨٥٤هـ/ ١٣٧٢-

(١) سحر بنت عبد الرحمن الصديقى، أثر الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٤٣؛ على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ١٠٤.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٣٣.

(٣) يسرى أحمد زيدان، دور الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربى، المجلد الأول، العدد الثانى عشر، القاهرة، مارس ٢٠٠٤م، ص ٢٤٦.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٣٣٣؛ انظر أيضًا: يسرى أحمد زيدان، دور الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين، ص ٢٤٦.

(٥) انظر المدرسة الباسطية فى المدينة المنورة ملحق رقم ٣ شكل رقم ٤.

١٤٥٠م)، ناظر الخاصة والكتابة عند السلطان الأشرف برسباى[١]، أنشأها فى سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م، حيث قام بشراء دار مطيع التى كانت بأيدى أويس بن سعد بن أبى السرح وهدمها، وأقام عليها المدرسة التى كانت تقع فى مواجهة المدرسة الأشرفية التى بناها فيما بعد السلطان الأشرف قايتباى[٢] قريبة من باب السلام أحد أبواب المسجد النبوى الشريف[٣].

وعندما تحدث السخاوى عن الشيخ على بن إبراهيم الحسينى العجمى[٤]، ذكر أن القاضى عبد الباسط لم ينشئ هذه المدرسة إلا من أجل هذا الشيخ حيث قرره الزينى فيها[٥].

هناك اختلاف فى تاريخ نشأة هذه المدرسة، حيث أشار إليها السمهودى إشارة عارضة، وذلك أثناء تحديده لبعض دور المدينة القديمة، فذكر أنه يقابلها دار أخرى هى " اليوم المدرسة الباسيطة التى أنشأها القاضى عبد الباسط سنة بضع وأربعين وثمانمائة"[٦].

وهو بذلك يذكر أن المدرسة قد أنشئت بعد سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م، ولكن أحد الباحثين وهو سامى نوار يذكر فى " الأعمال المعمارية للقاضى عبد الباسط " أن المدرسة أنشئت سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م، ودون تقديم دليل يرجح قوله[٧]، إلا أن الأقرب إلى الصواب هو أن إنشاء تلك المدرسة على ما ذكره السمهودى من أنه كان فى البضع والأربعين وثمانمائة، وذلك لقرب عهد السمهودى بتاريخ إنشاء تلك المدرسة ومؤكد

(١) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٦٢.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥١؛ انظر أيضًا: أيوب صبرى باشا، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٨٩٣؛ آمنة حسين محمد على جلال، طرق الحج ومرافقه، ص ٣٩٨.

(٣) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٥٢.

(٤) على بن إبراهيم بن محمد السيد الحسينى ولد ونشأ فى فارس، ثم ارتحل طالبًا للعلم حتى استقر به المقام فى المدينة المنورة معلمًا ومدرسًا حتى توفى سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) أو سنة (٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م). انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٥) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٥٩.

(٦) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٢٢.

(٧) عدنان محمد فايز الحارثى، عمارة المدرسة فى مصر والحجاز، ج ١، ص ٢٠٤.

أن تلك المدرسة كانت مخصصة لتدريس المذهب الشافعى، حيث تولى مشيختها علماء الشافعية، مثل الشيخ على بن إبراهيم الحسينى، ومن بعده وليها أحد علماء الشافعية، وهو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن المدنى الشافعى[1].

ومع عدم توافر أية معلومات عن عدد الطلاب بها، فمن المرجح أنها كانت تقوم بوظيفة الخانقاة وبها مكتب سبيل مثلها كمثل المدرسة الباسطية فى مكة[2]، وقد ذكر السخاوى أنه جاور فيها فى إحدى مجاوراته[3]، كما سكنها ودرس فيها عدد من علماء المجاورين، وقد اشتهرت هذه المدرسة بتدريس العلوم الشرعية والعربية وتدريس تجويد الخط[4].

٣ - المدرسة الزمنية

أنشأها الشمس بن الزمن، ناظر العمارة الذى قام بعمارة المسجد النبوى، بعد الحريق الثانى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م فى عهد السلطان الأشرف قايتباى؛حيث أنشئت فى سنة ٨٧٨هـ/ ١٣٧٣م[5].

٤ - المدرسة الكلبرجية

أنشأها السلطان شهاب الدين أبو المغازى أحمد صاحب كلبرجة من بلاد الهند[6] فى سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م[7]، ولكن هناك العديد من المراجع التى تبين أن تاريخ إنشاء

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح المدنى، ولد فى المدينة المنورة ونشأ وتعلم بها ورحل مرارًا فى طلب العلم وقد ولى مشيخة الباسطية بالمدينة المنورة علاوة على الإمامة والخطابة فى المسجد النبوى الشريف. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ١، ص ١٤٨، ١٤٩.

(٢) عدنان محمد فايز الحارثى، عمارة المدرسة فى مصر والحجاز، ج ١، ص ٢٠٥.

(٣) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٦.

(٤) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢.

(٥) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٤، ص ٦٤.

(٦) كلبرجة: تقع بإقليم الدكن بالهند كان يحكمها فى ذلك الوقت ملوك مسلمون وساحلها الديل. انظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٩٢٩.

(٧) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٩٦؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٤٩.

هذه المدرسة كان فى سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م، وهى نفس السنة التى توفى فيها السلطان شهاب الدين(١).

أشار السخاوى إلى أن إنشاء هذه المدرسة كان فى سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م قرب باب الرحمة(٢)، ومن خلال البحث عن تاريخ إنشاء هذه المدرسة نجد أن التاريخ المؤكد لهذا هو سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م، فهذه المدرسة أنشئت أمام المسجد النبوى، فى الأرض التى كان عليها دار جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، جهة المسجد الشمالية ملاصقة لباب الرحمة(٣). وذكر أن السلطان المذكور بعث مالاً كثيرًا لكى تعمر به مدارس له فى مكة والمدينة والقدس(٤).

٥ - المدرسة الأشرفية أو المدرسة السلطانية أو مدرسة قايتباى

أنشأها السلطان قايتباى سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م(٥)، لكن ابن شاهين الظاهرى فى " نيل الأمل فى ذيل الدول " يبين أنه فى سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م " وردت الأخبار أن الخواجة شمس الدين بن الزمن ابتدأ بعمارة مدرسة السلطان بالمدينة، وزاد ابن إياس بقوله:"وأنا حججت تلك السنة وشاهدت هذه الوقائع، وجاءت بعد ذلك من أحسن المبانى، وأنه أخذ لها مكانًا يسكنه الرافضة، وهو الذى كان السبب المفضى لقتل القاضى"(٦). قاضى المدينة المنورة. لكن بعض المراجع ذكرت غير ذلك، حيث ذكرت أنه أنشأها سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، حيث قام ببناء هذه المدرسة بعد الحريق الثانى للمسجد النبوى الشريف سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، بعد هدم كل من المدرسة الجوبانية(٧) والمدرسة

(١) يسرى أحمد زيدان، دور الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين، ص ٢٤٧.

(٢) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٦٤٣؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٤.

(٣) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٩٨.

(٤) عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ص ٦٤٣؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٧٧.

(٥) محمد على فهيم بيومى، دور مصر فى الحياة العلمية فى الحجاز، ص ٧.

(٦) ابن شاهين الظاهرى، نيل الأمل فى ذيل الدول، ص ٢٠٧.

(٧) المدرسة الجوبانية: بنيت بأمر جوبان بن تدوان اتابك العساكر المغولية نائب السلطان المغولى أبو سعيد ابن خربندا فى مناطق آسيا الوسطى سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م قتل على يد أبى سعيد سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م وموقعها كان دار عبد الله بن مكمل غربى المسجد النبوى وقد خصصت غرفة بها لتكون مدفنًا له وأنفق

الغياثية وبنى مكانها المدرسة والرباط والحمام وكتاب للأطفال فيما بين باب السلام وباب الرحمة من أبواب المسجد النبوى الشريف[1].

والرأى الراجح أن إنشاء تلك المدرسة كان بعد الحريق الذى حدث للمسجد النبوى الشريف فى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، حيث إنه لو كان إنشاؤها كما ذكرت بعض الروايات سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م أو ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م لكانت قد تأثرت بما وقع للمسجد النبوى من حريق سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، وخاصة أنها كانت مجاورة للمسجد بين بابى السلام والرحمة، إلا أن أى من المعاصرين لم يذكر ذلك وخاصة السمهودى، مما يؤكد ما دللنا عليه، كما يمكن القول إنه ربما شرع السلطان قايتباى فى بناء مجموعته المعمارية فى سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م أو فى سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م، وأخذ بناء تلك المجموعة عدة سنوات، وربما كان الانتهاء منها سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م[2].

على أنه يمكن القول إن من ذكر من المؤرخين أن بناء مدرسة السلطان قايتباى فى المدينة كان فى سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م، فلا بد أنه قد اختلط عليه الأمر بالتداخل بين ما قام السلطان قايتباى بإنشائه بين مكة والمدينة، حيث كلف السلطان قايتباى ابن الزمن وسنقر الجمالى ببعض الإنشاءات فى مكة، فقاموا بشراء دار الشريفة شمسية بنت عجلان بنت رميثة (ت ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م) ورباط المراغى وجزء من رباط السدرة، وبدء فى أعمال الهدم سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م، وتم الانتهاء من ذلك سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م، وكانت هذه المنشآت عبارة عن مدرسة ورباط وميضأة وسبيل وبيت لتعليم الأيتام، ومن حسن تشييدها وصفت بأنها لا نظير لها فى مكة[3].

على بنائها بسخاء حتى أن المشرف على بنائها شكا له أن طين المدينة غير قابل لعمل الآجر الذى سيستخدم فى بنائها فقال: "يحمل ذلك من بغداد على ظهور الجمال" وقد مات سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م، ولكنه لم يتحقق له قصده بالدفن بها لامتناع أمير المدينة عن دفنه فيها. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٣٣؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٠٢؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٧٨؛ ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٨٥.

(١) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٠٢.

(٢) الفاسى، شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٣٠؛ عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج ٤، ص ٦١٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٠٧.

(٣) الفاسى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣٠؛ عمر بن فهد، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦١٢؛ السخاوى، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٠٧.

لذلك يمكن القول إنه اختلط التاريخ على بعض المؤرخين، فخلط بين تاريخ منشآت قايتباى فى مكة والمدينة.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن السلطان قايتباى عندما علم بأمر حريق المسجد النبوى الشريف أوقف العمارة فى مكة، وأمر بالاتجاه إلى عمارة المسجد النبوى.

وكان لهذه المدرسة شبابيك تطل على حرم المسجد النبوى[1]، كما كانت المدرسة متصلة بالرباط الملحق بها، والمبنى الذى يشمل المدرسة يتكون من ثلاث طبقات إحداها تحت الأرض، كان بجداره ثلاثون فتحة موزعة على طبقاته، وقد أثارت شبابيك المدرسة المطلة على الحرم اعتراضات بين الكثيرين[2].

وقامت على السلطان الأشلة فى ذلك[3] - على حسب قول ابن إياس - وأفتى بعض العلماء بأن ذلك لا يجوز فإن حرمة النبى ﷺ ميتًا كحرمته وهو حى[4]، وقد أضيف فيها مئذنة وقرر فيها أربعين طالبًا، وأوقف عليها السلطان عدة قرى فى مصر كانت ترسل عوائدها فى كل عام نحو ألفى دينار ذهبًا ظلت تحمل لها حتى القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى[5]، كما ألحق بها السلطان قايتباى بعض المرافق الأخرى مثل كتاب للأيتام وسبيل، وقد استمرت المدرسة تؤدى رسالتها حتى العصر العثمانى[6].

قام النابلسى بزيارتها سنة ١١٠٥هـ خلال رحلته ووصفها بقوله بأنها: "على شكل قاعة بأربعة أواوين كلها بالحجارة المنحوتة الملونة والشبابيك الكبار من النحاس الأصفر، وفى وسطها الميدان المفروش بالبلاط المنقوش مرتفعة يصعد إليها بدرج

---

(١) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٤٥.

(٢) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٦٣.

(٣) الأشلة: لم أجد لها معنى فى القواميس العربية ولعل المقصود بها كما يفهم من سياق المعنى أن المعارضة كانت شديدة على السطان الأشرف (من جانب عساكر المماليك)..

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٦؛ السخاوى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٣ -٦٤٥.

(٥) محمد على فهيم بيومى، دور مصر فى الحياة العلمية فى الحجاز، ص ٧، ٨؛ طرفة عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة، ص ٧٧ - ٧٩.

(٦) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٠٧، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٤١٠، ٤١١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٢٩.

ودهليز مبلط وشبابيكها مطلة على داخل الحرم النبوى من جهة الغرب قبالة الحجرة النبوية[1]، وفيها الخلوات للمجاورين ولها شباك مطل على باب السلام"[2].

لا شك أن السلطان قايتباى هو أكثر سلاطين الجراكسة اهتمامًا ورعاية ببلاد الحجاز، فقد بنى وجدد العديد من المنشآت سواء فى مكة أو المدينة، منها فى المدينة تجديد وإعادة عمارة المسجد النبوى وبنى المدارس والأسبلة والرباع وغيرها، بالإضافة إلى أعمال البر والخير كبذل الأموال والصدقات لفقراء المدينة وغيرهم.

٦ - المدرسة المزهرية

فى سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م أنشأها أبو بكر بن مزهر[3] رئيس ديوان الإنشاء بمصر[4]، وتقع هذه المدرسة قريبة من باب الرحمة أحد أبواب المسجد النبوى الشريف، ذكر السخاوى أنه جاور فيها فى إحدى مجاوراته فى المدينة، فى سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م[5].

فضلًا عما ذكر كان هناك كثير من المدارس، منها السنجارية مقابل باب النساء، وإن كنا لا نعلم الكثير عن هذه المدارس، فإنه بلا شك أن نظامها لم يكن يختلف عن غيرها، كما أن مدارس المدينة المنورة فى فرشها وبنائها لم تختلف عن الكثير من مدارس المدن الإسلامية الأخرى. فقد اشتملت على كل ما يحتاجه طلبة العلم والصوفية ففيها مطبخ وبيت طهارة ومكان للصلاة وإيوانات.

---

(١) وقع خلاف بين العلماء حول مدرسة السلطان- قايتباى- بالمدينة المنورة فى سنة ٨٨٧هـ فى شعبان وقع الكلام بسبب المدرسة التى أنشأها السلطان بالمدينة المشرفة وجعل لها شبابيك تطل على الحرم النبوى وأنه هل يجوز ذلك أم لا ؟ من العلماء من جوز ذلك ومنهم من حرمه ومنهم من فضل ذلك والأليق أن ذلك لا يجوز؛ لأنه ﷺ معظمًا حرمته حيًا وميتًا (خبر خلاف العلماء فى: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ٣، ص ١٩٦). انظر: ابن شاهين الظاهرى، نيل الأمل فى ذيل الدول، مخطوطة مكتبة بودليان، ج ٢، ق ٧، ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٣٥.

(٣) هو أبو بكر بن محمد بن محمد الزين بن البدر الأنصارى الدمشقى يعرف بابن مزهر ولد سنة (٨٣١هـ) زار مكة والمدينة المنورة وغيرهما واشتهر بوفرة الذكاء حج غير مرة وله سبيل بمكة ومدرسة ورباط بالمدينة االمنورة وفاته سنة (٨٩٣هـ). انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ١، ص ٨٨، ٨٩.

(٤) أيوب صبرى باشا، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٨٧٥.

(٥) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٦.

وقد فرشت الأرضيات بالحصر أو البسط والسجاجيد التى كان يتم إحضارها من مصر، لما عرف عنها من شهرة فى صناعة الحصر[١].

كذلك كان لكل مدرسة الأوقاف المخصصة لها، يصرف من ريعها على رواتب المدرسين والطلاب واحتياجات معيشتهم، فضلًا عن صيانة المدرسة، وكان عندما يقل ريع هذه الأوقاف يقل عدد الطلاب، وقد تغلق المدرسة أبوابها[٢].

(٤) بيوت الصوفية فى المدينة المنورة[٣]

بالإضافة إلى المسجد النبوى والمدارس فى المدينة المنورة، كانت هناك أيضًا الأربطة والزوايا والخانقاوات، وقد أدت هذه البيوت دورًا ثقافيًا كبيرًا، إذ كان يعتبر كل منها بمثابة وحدة ثقافية قائمة بذاتها، يدرس بها الفقراء كثيرًا من العلوم سواء فى الفقه

(١) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ١٠١؛ عبد اللطيف إبراهيم على، المكتبة المملوكية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٤٣.

(٢) عبد الباسط عبد الرزاق بدر، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٦٠.

(٣) الرباط: اختلف معناه حسب الظروف والأحوال التى مرت بها الدولة الإسلامية ففى أول الأمر عندما كانت الدولة فى حالة غزو وجهاد فى سبيل الله أطلق الرباط على المكان الذى يرابط فيه جنود المسلمين للجهاد فى سبيل الله وبعد ذلك صار يطلق على المكان الذى يرابط فيه الصوفية للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والتوبة ومجاهدة النفس، ثم تطور بعد ذلك ليصبح مأوى للعاجزين والنساء والمطلقات واليتامى والفقراء ومسكنًا للفقهاء وأحيانًا لكبار العلماء وبذلك أصبح يؤدى خدمات اجتماعية ودينية وثقافية. انظر: سحر بنت عبد الرحمن الصديقى، أثر الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٢٩.

الخانقاه: هو الاسم الفارسى لكلمة ربط بالعربية ومعناها الدار أو البيت وقد جرت العادة أن يعين لكل خانقاه شيخ أو أكثر وعدد من الصوفية وقد اختلف عددهم فى كل خانقاه حسب اتساعه وريع أوقافه فتراوح عددهم بين مائة صوفى وعشرة نفر من الصوفية، واعتبرت مشيخة الخوانق من الوظائف التى يصدر بها قرار من السلطان وكل خانقاه يعامل شيخها فى المكاتبة السلطانية حسب أهمية الخانقاه التى يتولى مشيختها. انظر: سحر بنت عبد الرحمن الصديقى، أثر الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٢٩: ٣٤؛ على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٢٦٤.

الزوايا: هى فى الأصل ركن البناء وكانت تطلق فى بادئ الأمر على صومعة الراهب، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى تفريقًا بينها وبين الجامع ولا يزال هذا المعنى مستمرًا فى كثير من البلاد الإسلامية إلا إنه فى شمال إفريقيا له معنى أكثر شمولًا فهو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع دينى وهى تشبه الدير أو المدرسة، ثم أصبح استعمالها مقتصرًا على المساجد الصغيرة فى المشرق الإسلامى منذ العصور الوسطى. انظر: سحر بنت عبد الرحمن الصديقى، أثر الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٢٩- ٣٤.

أو علوم القرآن أو الحديث أو علوم العربية والسيرة والأدب، ويقوم مشايخ الصوفية بتدريس مختلف هذه العلوم[١].

تتشابه الكثير من هذه البيوت فيما تقوم به، لذلك سوف يقتصر الحديث على الأربطة ودورها فى الحركة العلمية والثقافية فى المدينة المنورة، ووجد فى المدينة المنورة عدد كبير من هذه البيوت، بعضها قبل عصر الجراكسة واستمر دورها، وبعضها أنشئ فى عصرهم ومن أهمها:

١ - رباط ناظر الخاص

فى سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م أنشأ الفخر ناظر الخاص هذا الرباط فى مقابل دار معاوية، وبابه يطل على سوق المدينة[٢]، وفى سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م قام بيسق الظاهرى[٣] بتجديد هذا الرباط وبنائه خلال حجه[٤].

٢ - رباط المغاربة

يعرف برباط سيدنا عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان هذا الرباط موقوفًا على طلاب العلم من المغاربة ويلازم فيه الفقراء من المغاربة، كذلك سمى برباط دكالة، وهو رباطان أحدهما للرجال والآخر للنساء[٥].

٣ - رباطى ريحان الهندى

أقام الخادم الهندى ريحان[٦] فى المدينة المنورة رباطين عم النفع بهما، وهو أحد خدام

(١) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ١١٨.

(٢) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٢٣.

(٣) الأمير بيسق عبد الله الشيخى الظاهرى: الأمير أخور الثانى أحد أمراء الطبلخانات وأمير حاج المحمل سنة ٨١١ هـ نفى إلى بلاد الروم فى الدولة المؤدية وله آثار بمكة والمدينة وكان محبًا للمال مع البر والصدقة وتوفى فى القدس سنة ٨٢١هـ. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٢، ٢٣؛ ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، ج ١، ص ٢١٠.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٥.

(٥) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٣١؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٦٥.

(٦) ريحان الهندى: كان يشتغل بخدمة المسجد النبوى وهو محب للخير حبس بره على الصالحين يتصف بعلو الهمة فى العمارة توفى بعد العشرين وسبعمائة. انظر: السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٧٢، ٧٣.

المسجد النبوى الشريف، كان مشهورًا بكثرة المعروف ومآثره حسنة فى المدينة المنورة[1]، منها رباطان وسقاية عم النفع بهما، وتوفى بعد العشرين وسبعمائة من الهجرة[2].

٤ - رباط الششترى

أنشأ هذا الرباط الشيخ شمس الدين الششترى، ذكر السمهودى أن هذا الرباط كان فى مقابلة بيت وزقاق، وعن طريقهما يصل الناس إلى الرباط[3].

٥ - رباط السبيل

هذا الرباط للقاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى، فى موضع دار عمرو بن العاص، وكان يسكن هذا الرباط الرجال[4].

٦ - رباط غياث الدين

أقام هذا الرباط غياث الدين سلطان بنجالة فى سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م، وذلك فى مكان دار مروان بن الحكم، التى كانت شارعة فى ناحية رحبة القضاء بجانب باب السلام[5].

٧ - رباط المراغى

أنشأ هذا الرباط قاضى القضاة أبى بكر المراغى (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)[6].

---

(١) يسرى أحمد زيدان، دور الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المماليك، م ١، ص ٢٤٩.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٧٢.

(٣) السخاوى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٥؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٩٥.

(٤) السخاوى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٥؛ السمهودى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٩٣، ٦٩٤.

(٥) السمهودى، خلاصة الوفا، ج ٢، ص ٩، ١٠.

(٦) أبو بكر المراغى: هو أبو بكر بن الحسين بن عمر العثمانى زين الدين الشافعى نزيل طيبة توفى سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، وله مؤلفات عديدة فى الحديث والفقه. انظر: المقريزى، السلوك، ج ٦، ص ٣٦٠؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٢٨.

٨ - رباط ابن أبى شاكر

أنشأ هذا الرباط فى أواخر سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م ابن أبى شاكر[١].

٩ - رباط زوجة السلطان الأشرف إينال

أنشأت زوجة السلطان إينال هذا الرباط فى المدينة المنورة، حين حجت فى سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م، وهو من الأربطة المخصصة للنساء فى المدينة، وأنشأت ميضأة فى الرباط نفسه، وخصصته للنساء المنقطعات والأرامل[٢].

١٠ - رباط السلطان قايتباى

أنشأه السلطان الأشرف قايتباى بجوار مدرسته بالمدينة المنورة[٣]، حيث أمر فى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م الخواجة شمس الدين بن الزمن بإنشاء رباط ومئذنة ومدرسة، وذلك فى أعقاب الحريق الذى حدث للمسجد سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م[٤]، وكلها تشرف على المسجد النبوى بين باب السلام وباب الرحمة، فقام شمس الدين بن الزمن بهدم دار الشباك والمدرسة الجوبانية وأقام المدرسة، ثم قام بشراء منازل آل عباس وبنى الرباط وربطه بالمدرسة، وبنيت كل من المدرسة والرباط على ثلاثين كمرًا وللبناء ثلاث بوابات كبيرة.

كان فى البداية الرباط والمدرسة يقعان جهة القبلة؛ حيث بدأ العمل على هذا الأساس، ولكن تغير الحال، وتم تزين كل منهما بالزجاج الملون وشبكت أطرافها الخارجية بالأسلاك النحاسية، وبنى الرباط بالقرب من باب السلام مكان الميضأة التى كانت موجودة، وأقيم أمام الرباط سبيل وحمام وعمل طاحونة مع تأسيس فرن

---

(١) ابن العماد، أبو الفلاح بن عبد الحى بن أحمد الحنبلى ت ١٠٨٩هـ، شذرات الذهب بأخبار من ذهب، الجزء السابع، القاهرة، د. ت.، ص ١٢٠.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٦٠.

(٣) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٤٥.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٦؛ السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٠٢.

لعمل الدشيشة، وكل ذلك فى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م[١]، وقد تم الانتهاء من الرباط وغيره من مدرسة ومئذنة وحمام وكتاب وسبيل، وكلها باسم السلطان قايتباى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م[٢].

(٥) منازل العلماء فى المدينة المنورة

كانت بداية التعليم فى الإسلام فى المنزل، قبل أن ينشأ المسجد وغيره من المدارس، وتعد بعض بيوت العلماء فى المدينة المنورة مكانًا شهد نشاطًا علميًا متخصصًا، ولا سيما فى قراءة القرآن الكريم وتعليمه[٣]، فكانت منازل العلماء مراكز تعليمية يؤمها بعض طلاب العلم للاستزادة منهم أو للتخصص فى بعض العلوم النادرة[٤]، وكان للمرأة نصيب كبير من التعليم فى المدينة، مما جعل لها دورًا فى ازدهار الحياة العلمية والثقافية، لذلك وجب توضيح هذا الدور.

* تعليم المرأة ودورها فى الحياة العلمية والثقافية

فى المدينة المنورة خلال عصر سلاطين الجراكسة كان النشاط العلمى للمرأة أكثر وضوحًا، إذ تبوأت المرأة مكانة عالية فى مجال التعليم، يدل على ذلك كثرة الألقاب التشريفية التى أطلقت على كثير من نساء ذلك العصر[٥]، حيث وجد نساء مشهورات فى الفقه والأحاديث والشعر مع الكتابة بشكل جيد، ليس فى المدينة وحدها بل فى العديد من مدن الحجاز[٦].

---

(١) ابن إياس، بائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٦.
(٢) عدنان على الفراجى، الحياة الفكرية فى المدينة المنورة، ص ٧١.
(٣) على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٢٧١.
(٤) النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص ٣٣٥.
(٥) أحمد محمد عدوان، المكانة العلمية للمرأة فى أرض الحرمين الشريفين، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة والعشرون، تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ، ص ١١.
(٦) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٩٠، ٩١.

وأخذ كثير من طلبة العلم ومشايخه من الذين وفدوا على المدينة المنورة عن كثيرات منهن، يدل على ذلك عبارات كثيرة مثل " روى عنها " و" قرأ عليها " و" درست على جملة من مشايخ عصرها " و" أخذ عنها جملة من العلماء الأعلام " و"تردد إليها كثير من طلبة العلم ". ورغم تشابه هذه العبارات فإنها تدل على نشاط المرأة العلمي[1]، ومن الأمثلة على ذلك " رقية المدنية " التي أجازت لكثيرين من مشاهير العلماء في عصرها[2].

وحصلت المرأة على إجازات علمية شفوية أو مكتوبة مثلها مثل الرجال[3]، والتي غالبًا ما تكتب على الكتاب الذي أجازه الشيخ لتلميذه، وهناك الإجازات التي تكتب في كراسة يكتبها الشيخ بخطه وباسمه الشخصي، والتي تتضمن صفة صاحب الإجازة أو صاحبتها والألقاب الشريفة التي يرى الشيخ بأن تلميذه يستحقها.

لم تكتف الكثيرات بالحصول على إجازة واحدة، وإنما تعددت الإجازات لهن، فهناك إشارات كثيرة تقول:"وأجاز لها كثيرون " أو " أجاز لها جماعة "، فمثلًا الشيخة كمالية ابنة علي بن أحمد النويري حصلت على إحدى وثلاثين إجازة، ويذكر ابن فهد بعد ذلك:"وأجاز لها آخرون"[4].

---

(١) فقد قرأ السخاوي على ابنة عبد الله بن علي بن محمد... ثلاثيات مسند أحمد... وقد حدثت وسمع منها فضلاء. انظر: السخاوي في الضوء اللامع.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٨، ص ١٢٩.

(٣) الإجازات

الأول: إجازة معين لمعين وهذا أرفع أنواع الإجازة المجردة عن المناولة.

الثاني: أن يعين الشخص المجاز له دون الكتاب المجاز.

الثالث: أن يعم المجازله فلا يعينه كقوله:"أجزت للمسلمين أو لكل أحد... ".

الرابع: الإجازة للمجهول أو بالمجهول.

الخامس: الإجازة المعلقة بالمشيئة.

السادس: الإجازة للمعدوم وهي على قسمين:

- أحدهما: أن يعطف المعدوم على الموجود كقوله:"أجزت لفلان ولولده ما تناسلوا "

- الآخر:"أن يخصص المعدوم بالإجازة من غير عطف على موجود كقوله: " أجزت لمن يولد لفلان".

السابع: الإجازة لمن ليس بأهل حين الإجازة للأداء والأخذ عنه.

الثامن: إجازة ما سيحمله المميز مما لم يسمعه قبل ذلك.

التاسع: إجازة المجاز كقوله:"أجزت لك مجازاتي ونحو ذلك "

انظر: الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٨٠٦هـ)، شرح فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٠٠.

(٤) أحمد محمد عدوان، المكانة العلمية للمرأة، ص ٢٤ - ٢٦.

لم يقتصر الأمر على ذلك بل كان للنساء نصيب فى منح الإجازات العلمية، ومنها الإجازة التى حصل عليها ابن رشيد الرحالة المعروف من امرأة تسمى أم الخير فاطمة البطائحى، التى جاءت للحج وجلست فى المسجد النبوى، وتصدت للتدريس به وأجازت لعدد من الطلبة، كان منهم ابن رشيد[1]. وشاركت بعضهن فى الأعمال التى لها صلة بالعملية التعليمية، مثل: إنشاء المدارس والأربطة ورعاية الأيتام والفقراء وتعليمهم[2]، ومن ذلك يتضح أن المرأة قد أدت دورًا مهمًا فى الحياة العلمية والثقافية فى المدينة المنورة خلال عصر سلاطين الجراكسة.

ثانيًا ـ خزائن الكتب (المكتبات)

(١) خـزائن كـتب المسـجد النـبوى الشريف

اهتم حكام المسلمين وسلاطين المماليك وكثير من الأمراء، بخزائن كتب الحرم النبوى الشريف، فقد أوقف الشاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزدى سلطان بلاد فارس (ت ٧٨٧هـ/ ١٣٨٣م)، خزانة كتب للمسجد النبوى عندما زار المدينة المنورة، فيذكر السخاوى عن آثاره فى المدينة المنورة " الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها فما من طالب مقتبس إلا وهو يستفيد من جواهر زواخرها "[3].

وعندما زار مؤرخ المدينة الشهير السمهودى القاهرة سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، فى عصر السلطان الأشرف قايتباى، أمر السلطان بتعويض مكتبات الحرم النبوى الشريف تعويضًا عما أحرق من كنوز التراث من المصاحف والكتب الدينية المختلفة وغيرها، ترسل فى صحبة السمهودى وذلك عند عودته، حيث عوض بأكثر مما كان فيه قبل الحريق.

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ج ٣، ص ٣٠١؛ ابن رشيد، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، ج ٥، ص ٢١.

(٢) أحمد محمد عدوان، المكانة العلمية والاجتماعية للمرأة فى مصر فى العصر المملوكى، مجلة العصور، الجزء الأول، المجلد الرابع، دار المريخ للنشر، لندن، جمادى الأولى ١٤٠٩هـ/ يناير ١٩٨٩م، ص ١٥٠.

(٣) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢٠٩، ٢١٠.

كما عين السلطان ناظرًا للحرم النبوى الشريف ليشرف على إعادة بناء خزائن الكتب فى الجدار الشرقى، وصار ناظر الحرم الشريف الأمير الكبير فخر الدين قاسم الفقيه، يباشر أمر بناء الربعات والمصاحف بنفسه ومماليكه، واتخذ لها كراسى صغارًا توضع عليها بالروضة الشريفة فى أوقات الصلوات النهارية فيقرأ الناس فيها فعم نفعها[1].

بعث السلطان قايتباى سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م إلى الحرم النبوى الشريف كثير من الكتب فى مختلف العلوم العقلية والنقلية، أرسلها مع بهاء الدين أبى البقاء بن الجيعان الذى وصل المدينة فى السابع من شهر ذى القعدة من نفس السنة ومعه أحمال كتب العلوم الشرعية وغيرها، ومما أرسله معه مصحف كبير الحجم حمل على جمل بمفرده "مصحف حمايلى"، والذى اعتبر لا مثيل له ومن النوادر على حد قول ابن إياس المؤرخ المعاصر[2].

كان ازدهار خزائن كتب المسجد النبوى الشريف على مر العصور، بفضل ما قام به كثير من الحكام والسلاطين والعلماء، بتزويد خزائنه بمختلف أنواع الكتب القيمة، وذلك نظرًا لمكانته الروحية فى نفوسهم.

(٢) خزائن الكتب فى المدارس

كان تزويد الخزائن المدرسية بالكثير من الكتب تلبية لحاجة المدرسين والطلاب، حيث أوقف عليها كتب فى مختلف أنواع المعرفة، كما خصصت لتلك الخزائن أماكن فى المدارس، فلا نجد مدرسة إلا وخصص بها مكانًا داخل تصميمها المعمارى ليكون خزانة لكتبها[3]، فى وسط بناء المدرسة بين الإيوانات الأربعة أو بين الإيوانين، إذ كانت المدرسة مبنية من إيوانين فقط، حتى يسهل الوصول إليها، وغالبًا ما كانت خزانة الكتب مكانها إيوان القبلة. ولعل السبب فى ذلك أن تكون كتبها فى متناول الجميع من العلماء والطلبة الدارسين فى مختلف الإيوانات[4].

---

(١) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٢٤٤.

(٢) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٥٩٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٩.

(٣) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(٤) على السيد على، المرجع نفسه، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

نالت مدارس المدينة المنورة نصيبًا من وقفيات الكتب، فقد أوقف محيى الدين ابن زكريا الحورانى خزانة للكتب عظيمة على المدرسة الشهابية[1]. التى أشاد بها السخاوى بقوله: "بها من الكتب ما لا يحصى"[2]، كما قام السلطان مظفر شاه (٩١٦-٩٣٢هـ/ ١٥١٠-١٥٢٦م) سلطان دولة الكجرات بالهند بتزويد الخزائن بالكتب حيث كان له اهتمام بالعلم[3].

واحتوت خزائن الكتب على كتب فى مختلف العلوم " لتخدم القراء من الفقهاء والعلماء والأدباء والدارسين للفقه وأصوله على المذاهب الأربعة وعلوم القرآن والتفسير والحديث والقراءات والتاريخ والأدب والتوحيد والفرائض واللغة والطب والمنطق والهندسة والحساب والجبر وغيرها من العلوم"[4].

وكان يوجد فى بعض مدارس المدينة المنورة خازن للكتب، والذى يعتبر من أهم موظفى خزائن الكتب، كما أنه فى بعض الأحيان كان يتولى شئون هذه الوظيفة أحد كبار العلماء، فقد ولى السلطان قايتباى، المؤرخ السمهودى الإشراف على خزانة الكتب فى المدرسة الأشرفية، التى بناها السلطان فى المدينة المنورة[5].

(٣) خزائن الكتب فى بيوت الصوفية

لم تكن خزائن الكتب قاصرة على المسجد النبوى الشريف والمدارس فى المدينة المنورة فى عصر سلاطين الجراكسة، بل كانت موجودة داخل الأربطة والزوايا والخانقاوات من بيوت الصوفية، التى كانت منتشرة بكثرة بالمدينة، وبداخلها أعداد كبيرة من الطلبة والمشايخ.

---

(١) الفاسى، العقد الثمين، ج ٧، ص ٤٣٥.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٤.

(٣) عبد الغنى محمود عبد العاطى، التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، ص ٣٢.

(٤) عبد الوهاب عزام، اهتمام المسلمين بدور العلم وخزائن الكتب، مجلة جامعة الملك سعود، العدد الثانى، السنة الثانية، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م، ص ١٣.

(٥) حمد الجاسر، رسائل فى تاريخ المدينة، ص ٧٢.

يذكر السخاوى أن عدد الأربطة حول المسجد النبوى، كانت أكثر من أربعين رباطًا[1]، وذلك فى أواخر القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى، ولا شك أنه قد تم وقف الكثير من الكتب على تلك البيوت، لكى يستفيد منها طلبة العلم والمشايخ[2].

(٤) خزائن الكتب الخاصة (خزائن العلماء)

وجد بالمدينة المنورة عدد كبير من العلماء سواء المقيمون أو القادمون إليها، ومنهم من تميز بالغنى والثراء[3] فامتلك خزائن خاصة للكتب، منهم رشيد بن عبد الله شهاب الدين الفقيه المتدين المتعبد، كان يصطحب العلماء ويأخذ عنهم ويشترى كتب العلم ويوقفها عليهم[4]، كما أوقف إبراهيم بن رجب بن حماد العارى السلمانى الشافعى كتب نفيسة على المسجد النبوى، حيث كانت لديه خزائن للكتب[5].

كما تميزت المدينة المنورة بجذبها لعدد كبير من مثقفى ذلك العصر، كان منهم الشغوف باقتناء الكتب، فضلًا عن تأسيس مكتبات خاصة بهم[6]، وقد كان لهذه الخزائن الخاصة دور كبير فى المحافظة على ذخائر الكتب ونوادر المخطوطات.

أشار السخاوى أن بلاد الحجاز فى العصر المملوكى عرفت الفهرسة الخاصة بالكتب فى خزائنها، وكانت معظم خزائن الكتب فى المدينة المنورة، تحتوى على دواليب كبيرة وصغيرة، لضخامة أعداد الكتب فيها، وكان على كل منها ورقة بعناوين الكتب التى تحتويها هذه الدواليب، بالإضافة إلى أرقامها، حيث كان يكتب عنوان الكتاب واسم

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٧.
(٢) السخاوى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٥.
(٣) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٢٦٧.
(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٦٤، ٦٥.
(٥) السخاوى، المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٤.
(٦) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٢٦٩.

المؤلف على كعب الكتاب المجلد، بل وعلى أطراف الصفحات مجتمعة، ليسهل على المناول التعرف عليها[1].

(٥) أسواق الكتب

أدى ازدهار الحياة العلمية والثقافية فى المدينة المنورة فى عصر الجراكسة، إلى نشاط تجارة الكتب، ووجود مجموعة من الأسواق والمتاجر الخاصة بالكتب، يأتى إليها العلماء وطلاب العلم، كان لها صفة الدوام، ووجد أيضًا مراكز للنسخ والتجليد ساعد على ازدهارها هذا العدد الكبير من المدارس والأربطة وغيرها[2]، وللدلالة على كثرة الكتب فى المدينة وتنوعها، ما ذكر من أنه:"ما من عالم صنف كتابًا بالمشرق أو بالسند أو بالهند أو العراق أو غيرها من الأقاليم إلا يصرف نسخة للمدينة المشرفة تبركًا ورجاء الإقبال على كتبه "[3].

يتبين مما ذكر قدر ما بذل فى سبيل العناية بالكتب، والتنافس على اقتنائها والتفاخر بها، وبذل النفائس فى سبيل تحصيلها، وكد النساخ فى نسخها، وافتنان الوراقين فى تجليدها، وكل ما قام به الخلفاء والسلاطين فى إنشاء الخزائن لها، وتسهيل قراءتها لكل راغب[4].

ثالثًا ـ أنواع العلوم

قسم الفقهاء العلم إلى قسمين عدوه فيهما فرضًا، فقالوا إن العلم الذى هو فرض عين، هو ما يجب أن يتعلمه كل مسلم من أمور دينه ومعاشه، وهو الذى ورد فى حديث

(١) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٤٤؛ انظر أيضًا: سحر بنت عبد الرحمن الصديقى، أثر الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٥٩.

(٢) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٣) محمد المنونى، الجزيرة العربية فى الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثانى، د. ت.، ص ٣٠١.

(٤) عبد الوهاب عزام، اهتمام المسلمين بدور العلم وخزائن الكتب، ص ١٢.

النبى ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[1]، وقال عنه المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها، وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام"[2]، أما العلم الذى هو فرض كفاية، فهو العلم الذى" لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب والحساب...، وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين... "[3].

وقد تعددت العلوم التى وجدت فى دور العلم فى المدينة المنورة، وتناولها العلماء بالتدريس والطلاب بالتعلم ولعل منها:

أ - العلوم النقلية

(١) علوم القرآن الكريم

كان القرآن الكريم أول العلوم التى وجدت اهتمامًا كبيرًا، خاصة أنه مرتبط بفريضة الصلاة التى يجب تعلمها[4]، كما ظهرت الكثير من العلوم ذات الصلة به، منها علوم التفسير والقراءات وغيرها[5]، واحتلت القراءات السبع والقراءات العشر[6] مكانًا

---

(١) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ٢٠٩ - ٢٧٣هـ سنن ابن ماجه، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق/ بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٨١.

(٢) الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ت ٥٠٥هـ إحياء علوم الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت، د. ت.، ص ١٤- ١٦.

(٣) أحمد فؤاد الأهوانى، التربية فى الإسلام والتعليم فى رأى القابسى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٩٢.

(٤) أحمد محمد عدوان، المكانة العلمية للمرأة، ص ٢٧.

(٥) عدنان على الفراجى، الحياة الفكرية فى المدينة المنورة، ص ٤٤.

(٦) القراءات السبع: يقرأ القرآن بسبع طرق تواتر نقلها وتنسب إلى من اشتهر بروايتها وهى أصول القراءة وزيدت بعد ذلك طرق أخرى لحقت بالسبع حتى وصلت إلى أربع عشرة رواية. انظر: على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٧٩.
القراء السبع: أى أصحاب القراءات للقرآن الكريم وهم:
١- نافع. ٢- ابن كثير. ٣- أبو عمرو بن العلاء.
٤- عبد الله بن عامر. ٥- عاصم ابن أبى النجود. ٦- حمزة الزيات. ٧- الكسائى.

كبيرًا عند العلماء والطلاب الدارسين لهذا العلم، ساعد على ذلك كثرة مشاهير علمائه في المدينة المنورة[1].

من علماء القراءات في المدينة المنورة عصر الجراكسة، الشيخ شمس الدين محمد ابن محمد بن صالح بن إسماعيل الكناني المدني، لقب بشمس الدين بن شمس الدين (٧٧٠-٨١٤هـ/ ١٣٦٨-١٤١١م)، قال عنه الفاسي:"ولد سنة سبعين وسبعمائة بالمدينة ونشأ بها، وحفظ كتبًا في فنون من العلم وقرأ القرآن بالروايات السبع أو بعضها على والده، وأذن له في الإقراء بذلك، وسمع الحديث من قاضي المدينة بدر الدين عبد الرحمن في الحكم والخطابة والإمامة بالمدينة المنورة، وكان ذا نباهة في الفقه وغيره وفيه خير وديانة، قدم مكة غير مرة للحج والعمرة وقدم في أول المحرم سنة أربع عشرة وثمانمائة، فأدركه الأجل بها بعد قضاء نسكه في أول صفر سنة أربع عشرة ودفن بالمعلاة، وهو سبط القاضي بدر الدين عبد الله بن محمد بن فرحون المدني"[2].

ومنهم الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عبد الكافي الحسيني، كان من قراء الحرمين وأحد شيوخ القراءات العشر (ت ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م)[3]. أخذ علم القراءات في المدينة المنورة عن محمد الكيلاني، وفي مكة المكرمة عن الشهاب الشوائطي، وهم من كبار مشاهير هذا العصر في القراءات[4]. ومن ذلك يتضح أن المشتغل بعلم القراءات يتحتم عليه حفظ القرآن الكريم والإلمام بالنحو والصرف والفقه والقراءات السبع أو العشر المعروفة، بالإضافة إلى علوم أخرى مساعدة مثل: السيرة والتاريخ وأصول الدين والحساب[5].

والقراءة إفرادًا أن يقرأ لكل واحد من المذكورين ختمًا كاملًا على مذهبه، ثم يقرأ ختمًا جمعًا وكيفية قراءة الجمع أن يقرأ الآية على مذهب قارئ، ثم يعيد قراءتها على مذهب قارئ آخر حتى يأتي على أوجة قراءات هؤلاء القراء السبعة في آية واحدة ثم يأخذ في قراءة الآية التي تليها. انظر: محمد أحمد الدهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٢٢.

(١) أحمد هاشم بدر شيني، أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية في مكة والمدينة، ص ٥٦.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ١٤، ١٥.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٠١.

(٥) على السيد على، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص ١٩٨.

وبالنسبة إلى التفسير فقد وجد فى أواخر عصر المماليك، عبد المعطى بن أحمد بن محمد السخاوى المدنى، وصفه بابا التنبكتى فقال:"الفقيه العالم المصنف الجامع "، وله تفسيره المسمى " فتح الحميد " فى ستة أجزاء[1].

(٢) الحديث النبوى الشريف

ازدهر علم الحديث فى المدينة المنورة فى عصر سلاطين الجراكسة، بفضل العلماء المقيمين فيها والقادمين إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامى. وقد تميز فى علم الحديث فى المدينة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الخجندى المدنى الحنفى، أبو محمد بن العلامة جلال الدين أبى الطاهر (٧٧٩-٨٥٠هـ/ ١٣٧٧-١٤٤٦م)، سمع الحديث عن ابن صديق والمراغى، وكذلك أجاز له التنوخى وابن الذهبى، وقام بشرح الأربعين النووية، وكان له نظم ونثر، مات بالمدينة المنورة، وقد جاوز السبعين من العمر.

كذلك الشيخ محب الدين أبو المعالى المطرى (٧٨٠-٨٥٦هـ/ ١٣٧٨-١٤٥٢م)، هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن خليف بن عيسى بن عباس ابن بدر بن على بن يوسف بن عثمان، ابن قاضى القضاة الرضى بن حامد الأنصارى الخزرجى الأصل المدنى الشافعى، سبط الزين أبى بكر المراغى، ويعرف بالمطرى، ولد فى المدينة المنورة ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم والمنهاج، وسمع الحديث على الجمال الأسيوطى والبرهان بن فرحون والقاضى على النويرى والزين العراقى وجده، ولما سافر إلى القاهرة سمع بها على الجمال الحنفيلى، كما زار بيت المقدس، وقد أجاز له كل من التنوخى وابن الذهبى وغيرهم، وهو من مشاهير علماء المدينة وقد مات بها[2].

منهم الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الجلال أبو الطاهر بن الشمس ابن الجلال بن الجمال الخجندى المدنى الحنفى (ت ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)، من كبار

---

(١) بابا التنبكتى، أبو العباس أحمد باب بن أحمد ت ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الطبعة الأولى، تحقيق/ عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٨٧.

(٢) السخاوى، التبر المسبوك، ص ٤١٦، ٤١٧.

علماء الحديث فى عصره، له تصنفات كثيرة منها شرح البردة وشرح الأربعين النووية والأربعين التوحيدية المسمى بالأنوار التغريرية فى شرح الجوامع الأربعينية[1].

كما وجد بعض من نساء المدينة المنورة اهتممن بدارسة الحديث النبوى، منهن فاطمة ابنة أبى اليمن درست الحديث فى المدينة المنورة[2]، كما خرج السخاوى أربعين حديثًا لأنسى ابنة عبد الكريم بن أحمد[3].

(٣) الفقـه

علم أحكام التكاليف الشرعية كالعبادات والمعاملات، وما يتصل بالأمور الدنيوية من قضائية وسياسية وحربية[4]، اهتم علماء المدينة المنورة اهتمامًا كبيرًا بعلم الفقه، كما كان لانتشار المذاهب الفقهية الأربعة أثره فى ازدهاره، وأول هذه المذاهب انتشارًا المذهب الشافعى، مما يفسر كثرة مصنفات فقهاء هذا المذهب مقارنة بالمذاهب الأخرى، حيث شجع سلاطين المماليك أصحابه بالأموال التى تم وقفها عليهم، كما قصروا بعض المناصب الدينية على علماء الشافعية، مما جعل الكثيرين يتحولون إليه، كما تميز إمام المذهب الشافعى ببدئه الصلاة فى الحرم النبوى الشريف[5].

ممـن تمـيز فى علم الفقه فى المدينة عصر الجراكسة القاضى تاج الدين الأنصارى (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)، وهو عبد الواحد بن عمر بن عباد، أخذ الفقه والعربية عن البدر بن فرحون، حتى صار من المعتبر بهم فى المدينة، وقد اختصر " مغنى اللبيب " فى كراريس، سماه " المدنى إلى فوائد المغنى "، كما كان من كبار القضاة بالمدينة المنورة.

ومنهم الشيخ إبراهيم بن على بن فرحون (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)، ولد ونشأ بالمدينة المنورة تعلم الفقه وبرع فيه، كما صنف وجمع الكثير، وتولى قضاء المدينة، وتعددت

---

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٥٣.

(٢) السخاوى المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٤٧، ٥٤٨.

(٣) السخاوى، الضوء اللامع، ج ١٢، ص ١٠، ١١.

(٤) سيد سابق، فقه السنة، الجزء الأول، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٣٦٥هـ ص ١٢.

(٥) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقـاف الحرمين الشريفين، ص ٣٨٥، أثـر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية فى مكة والمدينة، ص ٨٤.

مؤلفاته، منها كتاب فى الأحكام، وآخر فى طبقات المالكية سماه " الديباج المذهب "، وتوفى بالمدينة قرابة السبعين من عمره.

منهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن خلف الخزرجى المدنى، أبو حامد رضى الدين بن تقى الدين بن المطرى (ت٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، ولد فى المدينة المنورة سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، كان بارعًا فى الفقه، كما كان حسن الخط وله نظم، وكان مؤذنًا للمسجد النبوى الشريف، وتولى قضاء المدينة المنورة قبل وفاته.

من فقهاء المدينة الشيخ طاهر الخجندى، كان واحدًا من كبار الفقهاء فى المدينة فى ذلك العصر، وهو طاهر بن أحمد بن محمد بن محمد الشيخ عز الدين أبو المعالى بن الشيخ جلال الدين الخجندى المدنى الحنفى (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، ولد فى المدينة المنورة فى سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، سمع الفقه على أبيه وغيره من الفقهاء، وكان بارعًا فى الفقه والأصول والنحو، ومن أعيان فقهاء الحنفية المعدودين فى المدينة المنورة حتى وفاته[1].

ومن كبار علماء الفقه فى المدينة المنورة الشريف السمهودى (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) مؤرخ المدينة، قال عنه السخاوى " وبالجملة فهو جمال لأهل المدينة عالم مفنن فى الفقه والأصلين مع نظم ونثر، متوجه للعبادة وإرخاء العذبة، مديم للمطالعة والاستفادة والكتابة، بحيث ارتقى عما كان يعهد منه، وأمره فى ازدياد وتأليفه كثيرة التعداد، وللمباحثة والمناظرة قوى الجلادة على ذلك طلق العبارة، فيه مغرم به مع قوة نفس وتكلف فيما يظهر له، وقد وقفت له على عدة تصانيف، منها جواهر العقدين فى فضل الشرفين شرف العلم والنسب... "[2].

(٤) العقائد

لم يكن هناك اهتمام بهذا العلم لقلة المشتغلين به، وكانت عقيدة السنة هى السائدة فى دولة المماليك سواء بمصر أو الشام أو الحجاز، حيث كان صدى الخلافات فى بحوث

---

(١) ابن تغرى، المنهل الصافى، ج ٣، ص ٣٦٥.

(٢) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٢٢٧ - ٢٣٠.

العقيدة تنتقل بين هذه البلاد، وممن ألف فى هذا العلم[1]، السمهودى ألف " الأنوار السنية فى أجوبة الأسئلة اليمنية " وهى ثمانية أسئلة فى العقيدة، وردت من الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد بن مجيد اليمنى سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، وقد أجاب عنها السمهودى[2].

كما اهتم بهذا العلم عبد رب النبى بن محمد بن عبد رب النبى المغربى الدمشقى المالكى (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، درس بالحرمين أصول الدين لمبتدئى الطلبة[3].

(٥) التاريخ

كان ما سجله مؤرخو المدينة فى عصر الجراكسة مصدرًا أساسيًا لمعرفة أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية، ومن أهم ما كتب عنها فى عصر سلاطين الجراكسة:

- كتاب "التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة" لمحمد بن عبد الرحمن السخاوى، ترجم فيه لكل ما وصل إلى علمه من أهل المدينة والوافدين إليها منذ عهد الرسول حتى عصره، وكتابه الآخر " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع "[4].

ويمكن التدليل على قدر وعلم السخاوى، من تتبع كتابه " التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة "، الذى ألفه خلال مجاورته فى المدينة بعد اطلاعه على ما تم تأليفه من كتب عن المدينة المنورة، وهو يبين دافعه إلى تأليفه بقوله:"وكان مما حدانى على هذا الجمع الذى تقر به العين ويصغى إليه صحيح السمع، أننى لم أجد فيه مصنفًا يشفى الغليل... مع مسيس الحاجة إليه والتنفس به عن المكروب "[5]. وهذا القول يؤكد رغبته فى تغطية

---

(١) أحمد هاشم بدر شينى، أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية فى مكة والمدينة، ص ٨٩.

(٢) حاجى خليفة ت ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، الجزء الأول، تحقيق/ محمد شرف الدين بالتقايا، دار إحياء التراث العربى، د. ت.، ص ١٩٤.

(٣) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٩٠.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٢٢؛ الضوء اللامع، ج ٨، ص ١٧.

(٥) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ١٨٠، ١٨١.

أوجه القصور فيما سبقه من كتابات عن المدينة المنورة، وقد استفاد السخاوى فى كتابه هذا من نور الدين السمهودى، وكتبه عن المدينة المنورة حيث كان معاصرًا له.

وهذا الكتاب لا غنى عنه لكل المهتمين بالبحث فى تاريخ المدينة المنورة منذ ظهور الإسلام وحتى عصره، فقد ترجم فيه لمن قطن فى المدينة من الغرباء ولو لسنة واحدة. فيذكر ذلك بقوله:"توجهت لبيان أحوال أهل طيبة المشار إليها والمخصوصة بالمزيد من الفضائل المنبه عليها، وألحقت فيهم من تخلف عن طريقهم، ولم يتعرف على ما أنعم الله به عليه، ولا تبعهم فى توفيقهم، بل لم اقتصر على هؤلاء، حيث ذكرت من قطنها من الغرباء ولو سنة، بشرط أن يكون درس فيها أو حدث أو أفتى بالطريقة المرضية والسنة الواضحة الحسنة "، وقال:"رجاء أن يكون كتابى بذلك مشتملًا على الخصوص والعموم، وأن يصير كالبدر فى التمام والبحر فى الطموم "[1].

– ومن أشهر مؤرخى المدينة المنورة، نور الدين على بن عبد الله السمهودى صاحب المؤلفات العديدة فى تاريخ المدينة، منها " الوفا بما يجب لحضرة المصطفى"أو " اقتضاء الوفا بأخبار دار المصطفى "، وقد احترق هذا الكتاب قبل إتمامه فى حريق المسجد النبوى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م.

ومن مؤلفاته " وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى "، لخص فيه ما اطلع عليه من تواريخ المدينة فى مؤلفات ابن زبالة وابن شبه وابن النجار والمطرى والفيروزآبادى وآثارها، ويقدم الكتاب صورة طيبة عن بعض أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأحوال العمرانية للمسجد النبوى وما يحيط به، وما طرأ على تلك المعالم من تغيير خلال العصر المملوكى، كما أن له كتابًا " خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى "[2].

– كتاب " تاريخ المدينة " ألفه عبد المعطى بن محمد السخاوى، أوائل العصر العثمانى[3].

---

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٨-٢١.

(٢) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٤٦.

(٣) بابا التنبكى، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٢٨٧.

- كتاب "عمدة الأخبار فى مدينة المختار" ألفه أحمد بن عبد الحميد العباسى، فى العصر العثمانى وقد عده حمد الجاسر تلخيصًا لكتاب " خلاصة الوفاء " للسمهودى[1].

(٦) الجغرافيا

ومما جاء فى علم الجغرافيا، ما ذكره السمهودى فى الفصل الثامن من كتاب "وفاء الوفا"، واحتوى على بقاع المدينة المنورة وأعمالها، ورتب أسماءها على حروف المعجم[2]..

(٧) علوم اللغة العربية

تعتبر علوم اللغة العربية من العلوم الأساسية للدراسات الدينية، وأركانها أربعة "اللغة والنحو والبيان والأدب "، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، فمآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهما بلغة العرب"[3]، وقد تميز فى علوم اللغة على بن محمد بن على بن يوسف، تولى قضاء المدينة المنورة سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٥م، له ثقافة كبيرة فى العلوم اللغوية، حيث أعطى دروسًا فى النحو فى المسجد النبوى، وأخذ عنه أبو الفرج المراغى دروسًا، وأخذ عنه أيضًا الشمس محمد بن عبد العزيز الكازرونى النحو والصرف وإعراب القرآن وغيرهم[4].

منهم أحمد بن محمد الشهاب بن الكمال الهندى الحنفى (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)، كان عالمًا فى النحو والصرف وغيرهما.

منهم البرهان الهندى، وكان ماهرًا فى النحو والمعانى والبيان، تتلمذ على يديه فى هذه العلوم، عالم الحجاز ورئيسه إبراهيم بن على المكى الملقب بابن ظهيرة (ت٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)[5].

---

(١) الفيروزآبادى، المغانم المطابة، المقدمة ص ك.

(٢) السمهودى، وفاء الوفا، ج ٤، ص ١٣٢.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج ١، ص ٥١٤.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٢٥٠.

(٥) يسرى أحمد زيدان، دور الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين، ص ٢٥٢.

منهم كما ذكر السخاوى القاضى نور الدين على أبو الحسن الزرندى، توفى ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م أنه " كان إمامًا بارعًا دينًا شهمًا بشوشًا جميل الهيئة بارعًا فى العربية والتفسير " تعلم على يد الكثيرين منهم الشمس محمد بن عبد العزيز الكازرونى، أخذ عنه النحو والصرف والمعانى والبيان وإعراب القرآن[1].

كما كان للشعر مكانة بارزة فى المدينة المنورة، ومن شعراء المدينة الذين عاشوا فى عصر سلاطين الجراكسة، محمد بن محمد الأنصارى الزمورى، ولد بزمورة فى المغرب سنة ٧٧٧هـ / ١٣٦٨م، ورحل إلى المدينة المنورة وأقام بها[2]، اشتغل بالعلم والفقه وعلوم العربية، وتوفى بمكة سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، ومن شعره فى مدح المدينة المنورة.

لا كـالمدينة مـنزل وكـفى بهـا   شـرفًا حـلول محـمد بفناها

حظيت ببهجة خير من وطئ الثرى   وأجلهم قدرًا فكيف تراها[3].

منهم الشاعر شمس الدين (ت ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)، وهو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن العلامة جلال الدين الخجندى الأصل المدنى الحنفى، ولد فى المدينة المنورة فى ربيع الأول سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م، وحفظ بها القرآن الكريم والأربعين النووية فى الحديث وألفية ابن مالك، وتولى منصب الإمامة فى المسجد النبوى الشريف، وكتب نظمًا ونثرًا فى سرقة قناديل المدينة المنورة سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، سماه" عجائب القرن فيمن تهجم على قناديل الحجرة "، يقصد الحجرة النبوية الشريفة ومما كتبه:

أمل يطول وفى آجالنا قصـر   والدهـر ينكـى وفى الأيام مـعتبر

والنفس فى غفلة عما يراد بها   والقلب من قسوة كأنه حجر[4].

---

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٢٥٠؛ انظر أيضًا: آمنة حسين جلال، الأسرات العلمية فى المدينة المنورة خلال العصر المملوكى ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، مجلة قطاع الدراسات الإنسانية، المجلد الثانى، العدد الرابع، يونيو ٢٠٠٩م، ص ٥٣٩.

(٢) بابا التنبكى، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٥٢١؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٧، ص ٢٥٢.

(٣) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٧، ص ٢٥٢.

(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٤٥٠، ٤٥١.

ووجد عدد من النساء لهن اهتمام به، منهن آمنة بنت عثمان بن أحمد بن عثمان ومن شعرها

لا يكـون الأمـــر سـهلًا	كـله إنما الدنيا سـهول وحزون
هون الأمر تعش فى راحة	قـــل ما هـــونت إلا سـيهـــون
تطلب الراحة فى دار الفنا	خاب من يطلب شيئًا لا يكون

وهذا الشعر هو دعوة إلى الإيمان بالله وقدرته والتوكل عليه، ودعوة إلى الزهد فى التكالب على مباهج الحياة الفانية[1].

ب - العلوم العقلية

(١) الطب

وجد بيمارستان[2] فى المدينة المنورة فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى حوالى سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م[3]، ولا بد أن كان له أطباء وممرضون وفراشون وأدوية تصرف للمرضى، إضافة إلى رواتب شهرية تعطى للعاملين به، قياسًا على البيمارستان الذى أنشأه السلطان الأشرف شعبان فى مكة[4].

ولا شك أنه نتيجة لازدهار الحياة الثقافية فى المدينة، ازدهرت دراسة الطب، ولقى بيمارستان المدينة رعاية وعناية كبيرة، فلم يكن مكانًا للعلاج فقط، بل كان أيضًا مدرسة

---

(١) أحمد محمد عدوان، المكانة العلمية للمرأة، ص ٣٠، ٣١.

(٢) البيمارستان: لفظ مركب من (بيمار) أى مريض و(ستان) أى محل أو دار أو مكان وهو مكان لمعالجة جميع الأمراض العقلية والجسدية والجراحية وكان يختار موقع بناء المستشفى بدقة وعقلانية متناهية فيراعى المكان الصحى المناسب والذى يتوافر فيه الماء النقى والجو الصحى والبيمارستان لفظ فارسى فالفرس كانوا فى أوائل من عرفوه. انظر: المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول، القسم الثالث، ص ٧١٦؛ انظر أيضًا: عبد الله السعيد، المستشفيات الإسلامية من العصر الأموى إلى العصر العثمانى، الطبعة الأولى، دار الضياء، الأردن، ١٤٠٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٥.

(٣) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ٤٨٤؛ ابن فهد، الدرر الكمين بذيل العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، مخطوطة رقم (٣٠٣٢)، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة، ص ٦٩.

(٤) راشد سعد راشد القحطانى، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهدالوطنية، الرياض، السعودية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١١٢، ١١٣.

لتعليم الطب، فقد كان رئيس البيمارستان أو حكيم البيمارستان يجمع الطلبة بعد مرورهم على المرضى، ويشرح لهم كيفية التعرف على الأمراض المختلفة[1].

من أبرز أطباء المدينة خلال عصر سلاطين الجراكسة، محمد بن حسين بن على بن رستم، قال عنه ابن فرحون:"وهو الفقيه الفاضل اشتغل بالطب ورحل إلى الشام وخالط الصوفية "[2].

كذلك أبو على الحسن الحجام، والحجام تدل على اشتغاله بمهنة الحجامة وكان يختن الأطفال[3].

(٢) الكيمياء

وجد فى المدينة المنورة من اشتغل بالكيمياء، منهم الشيخ برهان الدين أبو إسحاق المدنى الشافعى (ت ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م)، وهو إبراهيم بن عبد الرحمن بن حسين بن حسن بن قاسم، ولد ونشأ فى المدينة المنورة، حفظ القرآن الكريم ونال قسطًا من العربية، كما اشتغل بالكيمياء[4].

اشتغل بعض أبناء أسرة المطرى بعلم الكيمياء، منهم الشيخ أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد المطرى المدنى (ت ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م)، ولد ونشأ فى المدينة المنورة وتعلم بعضًا من العلوم الدينية، وكان يشتغل بالكيمياء وينسب إليها، وفاته المنية فى المدينة المنورة[5].

(٣) الرياضيات

ازدهرت علوم الرياضيات فى المدينة المنورة، حيث اشتغل بها كثير من علماء المدينة

---

(١) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ١٣٥.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ج ٥، ص ٤٨؛ السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٥٦٠، ٥٦١.

(٣) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٥٠٠.

(٤) السخاوى، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٢.

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج ٧، ص ١٥٤.

وطلبة العلم بها، حيث لا تكاد توجد ترجمة من ترجمات علماء المدينة، إلا ونجد أنه قد تعلم أحد علوم الرياضيات وأهمها علم الحساب.

تميز فى هذه العلوم الشيخ محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر الشمس أبو عبد الله التونسى المالكى، استوطن المدينة المنورة سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م، واستقر بها حتى وفاته فى سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م، كان له اهتمام بعدد كبير من العلوم، منها علوم التفسير والأصلين والمنطق والعربية واشتهر بالفرائض، فضلًا عن علوم الحساب والجبر والمقابلة[١].

منهم محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسى المالكى المعروف بالوانوغى، حيث كان له اهتمام بعلوم الحساب والجبر والمقابلة. وكذلك أحمد بن يونس القسطنطينى المغربى المالكى، الذى وصف بأنه إمام فى الحساب والمنطق[٢].

ومن ذلك يمكن القول إنه وجدت فى المدينة المنورة فى عصر سلاطين الجراكسة حركة علمية وثقافية شاملة، جعلت المدينة إحدى منارات الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى.

رابعًا ـ أثر الأوقاف على الحياة العلمية والثقافية فى المدينة المنورة

ثبتت الأوقاف أركان المؤسسات التعليمية، خاصة المدارس ودعمت نظامها ومكنتها من أداء رسالتها، فمن ريع الوقف على المدرسة شهريًا أو سنويًا نقدًا أو عينًا تم ضمان استمرار عملها[٣]، رغم ذلك هناك بعض الأمثلة لمؤسسات تعليمية، تجمد ما تقوم به من أنشطة لضياع ما أوقف عليها فى حالة موت منشئها[٤]، كما كانت وثائق الوقف بمثابة اللائحة الأساسية لهذه المؤسسات، فتشمل الأسس التعليمية والشروط الواجب توافرها فى العاملين بها، ومواعيد الدراسة وغيرها[٥]، بل لم يكتف الواقفون

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٤٧٩.
(٢) السخاوى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٤؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٥٢.
(٣) حجة وقف السلطان قايتباى، رقم الحجة (٨٩٠ ج)، الأوقاف.
(٤) على سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية، ص ٣٩١.
(٥) على سالم النباهين، المرجع نفسه، ص ٣٩٢.

بما حددوه من شروط لاختيار المدرسين، فقد اشترط بعضهم كتبًا معينة وحرص بعضهم على توفير معيد أو أكثر لمساعدة المدرس، فيقوم بتحضير الدروس ويقرؤها على الطلاب[1].

كما أثرت الأوقاف على العلماء، حيث وفرت لهم حياة كريمة، فتفرغوا لأعمال وظائفهم من القراءة والإسماع والوعظ والتدريس وتعليم الطلاب ومساعدتهم على تحصيل العلم، ليصبحوا من العلماء المشتغلين بخدمة العلم ونشره[2].

وعنى الواقفون بتعليم الأطفال الأيتام، فجاء ضمن حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسنى المؤرخة فى ٢٧ محرم سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م[3]، النص على " الصرف على عشرة أيتام يتعلمون القرآن العظيم والخط العربى على عادة أمثالهم، فى ذلك فى غرة كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم النقرة الجيدة، أو ما يقوم مقامها من النقود بقيمة الفضة البيضاء معاملة الديار المصرية، لكل نفر منهم عشرة دراهم نقرة فضة بيضًا"[4]، كما نصت على تعيين مدرس لهم حافظ لكتاب الله يقوم بتأديبهم وتعليمهم القرآن الكريم والخط العربى فى كل يوم من أيام الأسبوع عدا أيام البطالة[5].

وتم تخصيص من ريع الوقف على دروس العلم بالمسجد النبوى، حيث خصص السلطان الغورى فى وثيقة وقفه جزءًا من ريع وقفه، على عالم حافظ لكتاب الله ليقرأ يوميًا ما تيسر له قراءته من القرآن بالروضة تجاه الحجرة الشريفة، كذلك أوقف على عالم حافظ متقن لحديث الرسول ﷺ أن يقرأ فى كل سنة من أوائل شهر رجب وشعبان ورمضان صحيح البخارى بالروضة الشريفة تجاه الحجرة النبوية الشريفة، ويختم قراءته بذكر الله تعالى والصلاة على النبى ﷺ فى كل مجلس[6].

---

(١) سحر بنت عبد الرحمن الصديقى، أثر الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ١٨.

(٢) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣٠٤.

(٣) شاهين بن عبد الله الحسنى الطواشى كانت وفاته سنة ٨١٥هـ. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ترجمة رقم (١١٢٤).

(٤) حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسنى، المؤرخة فى ٢٧ محرم سنة ٨٠٨هـ، رقم الحجة (٦٢)، رقم المحفظة (١٠)، دار الوثائق القومية.

(٥) أحمد هاشم أحمد بدر شينى، أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٦) حجة وقف السلطان الغورى، رقم الحجة (٨٨٢ ق)، الأوقاف، ص ٥٥٥- دراسة/ عبد اللطيف إبراهيم على.

وجاء فى حجة وقف أحد الأعيان، وهو أيتمش بن عبد الله[1] المؤرخة ١٩ محرم ٨٥١هـ / ١٤٤٧م، ما يبين مدى اهتمامه وعنايته بالحركة العلمية فى الحرمين بعامة والمدينة بخاصة فمن أوجه الصرف بها والخاصة بالمدينة، حددت الوثيقة ألفًا ومائتى درهم نقرة لعشرة قراء من الحافظين للقرآن الكريم يرتبهم الناظر بالحرم النبوى، فيقرأ اثنان منهم بعد الصلوات الخمس بين الروضة والمنبر، ثم يدعو أحدهما بثواب القراءة للسلطان الملك الظاهر وللواقف ولذريتهما والمسلمين، ويختم بالصلاة على النبى ﷺ.

وحددت الوثيقة أيضًا لمدرس المذهب الحنفى ستمائة درهم نقرة سنويًا، كما حددت لطلبته السبعة ثمانمائة وأربعين درهمًا نقرة سنويًا، توزع بينهم بالتساوى، وعلى من يختاره الناظر لضبط الغياب ثلاثين درهمًا نقرة سنويًا، وكان سير الدراسة باجتماع المدرس مع طلبته بالحرم النبوى، فيما بين طلوع الشمس إلى الزوال فى كل يوم من أيام الأسبوع، عدا الجمعة والثلاثاء وأيام البطالة العادية، ويبدءون بقراءة سورة الملك، ثم يقوم أحدهم بالدعاء مهديًا ثواب قراءته للسلطان الملك الظاهر وللواقف ولذريته وللمسلمين، وبعدها يلقى المدرس عليهم ما أعده من فقه مذهبه ويناقشهم فيه[2]. كذلك قام شيخ خدام المسجد النبوى الشريف، مسرور بن عبد الله الحبشى المعروف بالشلبى (ت ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، بتخصيص مبلغ ألف درهم نقرة من ريع أوقافه يتم صرفها سنويًا فى الحرم النبوى منها ٣٠٠ درهم لقارئ مصحف بحرم المدينة المنورة و ٣٥٠ درهمًا فى مصالح الحرم النبوى، وذلك فيما يحتاجه من عمارة وترميم وفرش ووقود وآلة وغير ذلك و ٣٥٠ درهمًا للفقراء بالمدينة الذكور والإناث السنيين غير الزيدية والروافض على ما يراه الناظر، وذكر أنه فى حالة تعذر الصرف للحرم المدنى، فإنها تصرف للحرم المكى، وذلك على ما شرطه الواقف لحرم المدينة المنورة، وهذا الوقف عبارة عن قطع أراض لضرب الطوب فيما بين القاهرة والفسطاط[3].

---

(١) أيتمش بن عبد الله الخضرى الظاهرى برقوق كان من مماليك برقوق، ثم صار من جملة الدوادارية فى أيام ابنه الناصر فرج مات بالقاهرة سنة ٨٤٦هـ. انظر: ابن تغرى، الدليل الشافى، ج ١، ص ١٦٤؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٢) حجة وقف السيفى أيتمش بن عبد الله الظاهرى، رقم الحجة (١١٤٣ ق)، الأوقاف.

(٣) عبد اللطيف إبراهيم على، وثيقة وقف مسرور عبد الله الشبلى الجمدار، مجلة كلية الآداب، الجزء الثانى، المجلد الحادى والعشرون، جامعة القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٣٩ - ١٦٦.

من الأوقاف على أربطة المدينة المنورة، ما أوقفه عبد العزيز بن عبد السلام الزرندى (ت ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م)، وكانت له ثروة أنفقها فى أعمال الخير، حيث أوقف مزرعة كانت لديه، وجعل لكل رباط فى المدينة عائد نخلة من نخيل هذه المزرعة[١]. كما يذكر السخاوى أن كثيرًا ممن تولوا بعض الوظائف الدينية فى المسجد النبوى الشريف، خاصة الخدام الطواشية أوقفوا الكثير من العقارات والنخيل فى أنحاء متفرقة من المدينة وبجوارها، على طلبة العلم والعلماء والمؤسسات الثقافية فى المدينة المنورة طوال العصر المملوكى[٢].

وهكذا كانت العادة أن يتم إنشاء المدرسة، ويتم تخصيص الأوقاف للصرف على المدرسين والموظفين والطلاب، حتى ينصرف الجميع إلى أداء رسالته، دون انشغال بأمور حياته، بل إن كثيرين قاموا بوقف الأوقاف على مدرسة شيدها غيرهم طلبًا للمغفرة وحسن الثواب[٣].

وكان إرسال الكتب إلى دور العلم ووقفها بخزانات الكتب على طلبة العلم من أهم أعمال الخير لينتفع بها المدرسون والطلبة أثره على الحياة العلمية والثقافية.

فقد أوقف السلطان الأشرف قايتباى، مجموعة ضخمة من الكتب على مكتبة المدرسة الأشرفية، وبقيت هذه المكتبة عامرة بالكتب حتى بعد قيام الدولة العثمانية بنصف قرن، يدل على ذلك أن قطب الدين النهروالى مؤرخ مكة سنة ٩٧٦هـ زارها، وذكر:"وكان نزولى فى خزانة كتب الأشرف قايتباى رحمه الله"[٤].

كما يذكر السخاوى أن السمهودى كان يشرف على هذه المكتبة، وعندما قام الأمير داود بن عيسى بن عمر شيخ عرب هوارة بصعيد مصر بزيارة المدينة أثناء حجه، وقف عدة كتب مثل: كتاب فتح البارى فى شرح صحيح البخارى، سلمها للشيخ السمهودى ليضمها إلى خزانة الكتب فى المدرسة الأشرفية[٥].

---

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٣١.
(٢) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ١٠٩.
(٣) على السيد على، المرجع نفسه، ص ٢٦٣، ٢٦٤.
(٤) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٧٤، ١٧٥.
(٥) السخاوى، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٣٤.

كما أرسل قايتباى مصحفًا كبيرًا إلى المسجد النبوى الشريف حمل على جمل وحده، قال عنه ابن إياس، أنه من النوادر "كتبه شاهين النورى ومات ولم يكمله فأكمله الشيخ خطاب بأمر السلطان"[1]، حيث كانت المصاحف هى أقدم ما كان يوقف للمسجد، ومع ازدهار الحياة العلمية وكثرة المؤلفات، بدأ وقف الكتب بشكل واسع على المساجد[2].

وتعددت مصادر الأوقاف على المؤسسات العلمية والثقافية، فى البلاد الخاضعة لسلطنة المماليك مثل مصر والشام، والتى اشتهرت باسم أوقاف الحرمين الشريفين. عرف أربابها " بأهل الصر "، حيث كانوا يتلقون رواتبهم فى صرر تأتى من القاهرة[3]، وهى التى أشار إليها السخاوى بالأحباس " ويلى هذه الجهة قاضى الشافعية، وفيها ما حبس على الحرمين الشريفين"[4]، ويؤكد السخاوى أن أموال هذه الصرر كانت توزع على أصحاب الوظائف المختلفة من صغيرهم وكبيرهم فى المدينة حتى نهاية العصر المملوكى[5]، كما يشير إلى أن كثيرًا من سلاطين المماليك، قد أوقفوا مخابز فى المدينة المنورة لتمد العلماء وطلبة العلم والقائمين على العمل فى المؤسسات الدينية والثقافية وغيرها، ومن هذه المخابز " المخبز الأشرفى بالمدينة "، وقد تولى فيه الشهاب النشوى القاهرى (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) وظيفة كاتب[6].

بل كانت هناك أوقاف خارج سلطنة المماليك خصصت على بعض المؤسسات العلمية، منها ما قام به الشيخ شمس الدين محمد بن على بن عمر بن البنا، من أنه توجه وكيلًا عن شيخ الخدام بالمسجد النبوى الشريف وأهل المدينة، فى استخلاص أوقافهم ببلاد العجم وذلك فى سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م. كما كانت هناك أوقاف عديدة للمسافة

---

(١) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى، ص ٣٤٥.

(٢) يحيى محمود جنيد الساعاتى، الوقف وبنية المكتبة العربية، استبطان الموروث الثقافى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، د. ت.، ص ٦٤.

(٣) راشد سعد راشد القحطانى، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ص ٨٢؛ على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص ٢٦٠.

(٤) الفاسى، العقد الثمين، ج ٣، ص ١٥٧ - ١٦٤.

(٥) على السيد على، الحياة الثقافية فى المدينة المنورة، ص٢٦١.

(٦) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ٣، ص ٧٧.

أهل مسوف من بلاد المغرب الأقصى، حيث أوقفها أصحابها على المجاورين فى المدينة المنورة، وخاصة من المغاربة[1].

كانت نتيجة كل ذلك أن كثر طلاب العلم فى المؤسسات العلمية فى المدينة المنورة، لما تم إتاحته لهم من مساعدات مادية وعينية، متمثلة فى الأوقاف فأقبلوا على العلم والدراسة، حيث كفل لهم ريع الأوقاف الاستمرار، ووجدوا فى هذه المؤسسات ما يكفيهم من مؤونة السكن والمأكل والملبس وغيرها من أمور معيشتهم، إلى جانب المنح الشهرية أو السنوية، وأيضًا ما كان يقدم إليهم من هبات فى المواسم والأعياد لتشجيعهم على العلم[2].

يظهر من ذلك الأثر الواضح للصدقات والأوقاف فى النهضة العلمية، التى بدونها ما كان هناك توافد لكثير من العلماء على المدينة المنورة والاستقرار فيها، ولما ظهرت هذه النهضة العلمية الكبيرة فى المدينة فى ذلك العصر.

(١) السخاوى، التحفة اللطيفة، ج ١، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٢) أحمد هاشم بدر شينى، أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية فى مكة والمدينة، ص ٦٠.

الخـاتمـة

وبعد استعراض هذه الدراسة بعنوان " المدينة المنورة فى عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة " يمكن استخلاص أهم نتائجها والتى تدور حول:

أولًا - استطاعت دولة المماليك الجراكسة الاحتفاظ بنفوذها فى المدينة المنورة، والتدخل عند حدوث خلل أمنى نتيجة صراع الأمراء على ولايتها، كذلك أوقف سلاطين الجراكسة الكثير من الأوقاف والمخصصات على المدينة وأهلها.

ثانيًا - تميز هذا العصر بكثرة الصراعات بين أمراء الأشراف على تولى الإمارة، تلك الصراعات التى كانت سمة أساسية لهذا العصر، والتى كانت غالبًا ما تنتهى بسقوط أمير وتعيين أمير آخر.

ثالثًا - لم يقتصر الصراع بين الأمراء على استخدام العنف فيما بينهم، وإنما اتخذ بعضهم ما يمكن أن نطلق عليه الطرق الدبلوماسية لتولى الإمارة، والتى تتوقف على حسن التوسط لدى السلطان لاستصدار مرسوم الولاية.

رابعًا - كان لاضطراب الأحوال السياسية فى المدينة المنورة أثره على الحياة الاقتصادية، مما أدى إلى إعراض القوافل التجارية عنها، ورغم ذلك تمتعت المدينة فى بعض الفترات بنشاط تجارى كبير، عندما تتحول التجارة إلى مينائها بدلًا من ميناء جدة، الذى كان يفرض به الكثير من الضرائب.

خامسًا ـ تميزت الحياة الاجتماعية فى المدينة المنورة مثلها مثل مكة المكرمة بعوامل خاصة، كان لها تأثيرها الكبير على مظاهر الحياة الاجتماعية بها مثل: الحج والعمرة والأوقاف على الحرم والمجاورين.

سادسًا ـ نالت عمارة المدينة المنورة اهتمام سلاطين المماليك الجراكسة خاصة المسجد النبوى الشريف، الذى نال قدرًا كبيرًا من الاهتمام فى عصر السلطان قايتباى.

سابعًا ـ شهدت المدينة المنورة نشاطًا علميًا وثقافيًا كبيرًا خلال هذا العصر، حيث وفد إليها عدد كبير من علماء العالم الإسلامى، فضلًا عن اهتمام السلاطين وغيرهم بإنشاء المدارس والأربطة والكتاتيب ووقف الأوقاف على الأنشطة التعليمية، مما ساعد على عودة دورها الثقافى فى العالم الإسلامى.

وجدير بالملاحظة أنه كان للأوقاف أثرها الكبير على الكثير من جوانب الحياة فى المدينة المنورة، سواء أكانت الاقتصادية أم الاجتماعية، كذلك لعبت دورًا مهمًا فى خدمة النواحى العلمية والثقافية.

الملاحق

أولًا ـ الجداول

- جدول (١) الخلفاء العباسيون فى مصر زمن سلاطين المماليك الجراكسة.
- جدول (٢) سلاطين المماليك الجراكسة .
- جدول (٣) أمراء المدينة المنورة فى عصر المماليك الجراكسة.

ثانيًا ـ البيانات

- بيان (١) تطور مساحة وعمارة المسجد النبوى الشريف.
- بيان (٢) السنين التى مرت بين العمارة والعمارة فى المسجد النبوى.

ثالثًا ـ الخرائط والرسومات والأشكال

- خريطة (١) القرى والمناطق القديمة فى منطقة المدينة المنورة.
- رسم (١) رسم تقريبى لميناء الجار.
- شكل (١) بعض العملات من العصر المملوكى الجركسى مع جدول لشرحها.
- شكل (٢) المسجد النبوى الشريف وما حدث فيه من عمارة .

- شكل (٣) عمارة السلطان قايتباى للمسجد النبوى الشريف.

- شكل (٤) مكان المدرسة الباسطية فى المدينة المنورة.

رابعًا ـ نسخة تقليد بإمارة المدينة المنورة .

أولًا - الجداول

جدول (١)

الخلفاء العباسيون فى مصر زمن سلاطين المماليك الجراكسة(*)

الرقم	اسم الخليفة	سنوات خلافته	السلاطين الذين عاصرهم
١	المتوكل على الله محمد بن المعتضد	٧٦٣ ٧٨٤هـ/ ١٣٦١-١٣٨٢م	شعبان بن حسين (أواخر الدولة المملوكية الأولى) على بن شعبان
٢	المعتصم بالله زكريا بن إبراهيم (عودة المتوكل)	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م لمدة ١٥ يومًا ٧٨٤-٧٨٥هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٣م	على بن شعبان على بن شعبان - برقوق (سلطنته الأولى)

٣	الواثق بالله عمر بن إبراهيم (عودة المعتصم) (عودة المتوكل)	٧٨٥-٧٨٨هـ/ ١٣٨٣-١٣٨٦م ٧٨٨-٧٩١هـ/ ١٣٨٦-١٣٨٩م ٧٩١-٨٠٨هـ/ ١٣٨٩-١٤٠٦م	برقوق برقوق برقوق- حاجى بن شعبان- برقوق (سلطنته الثانية) - فرج (سلطنته الأولى)- عبد العزيز بن برقوق - فرج (سلطنته الثانية)
٤	المستعين بالله العباس بن المتوكل	٨٠٨-٨١٦هـ/ ١٤٠٦-١٤١٢م	فرج - شيخ
٥	المعتضد بالله بن المتوكل	٨١٦-٨٤٥هـ/ ١٤١٢-١٤٤١م	شيخ - أحمد بن شيخ - ططر- محمد بن ططر - برسباى- يوسف بن برسباى- جمقمق
٦	المستكفى بالله بن المتوكل	٨٤٥-٨٥٥هـ/ ١٤٤١-١٤٥١م	جقمق
٧	القائم بأمر الله بن المتوكل	٨٥٥-٨٥٩هـ/ ١٤٥١-١٤٥٥م	جقمق -عثمان بن جقمق - اينال
٨	المستنجد بالله بن المتوكل	٨٥٩-٨٨٤هـ/ ١٤٥٥-١٤٧٩م	اينال - أحمد بن اينال - خشقدم - بلباى المجنون - تمربغا - خير بك (سلطان ليله) -- قايتباى
٩	المتوكل على الله بن يعقوب بن المتوكل	٨٨٤-٩٠٣هـ/ ١٤٧٩-١٤٩٧م	قايتباى- محمد بن قايتباى (سلطنته الأولى) - قانصوه خمسمائة

١٠	المستمسك بالله بن عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل	٩٠٣-٩١٤هـ/ ١٤٩٧-١٥٠٩م	محمد بن قايتباى (سلطنته الثانية)- قانصوه الأشرفى - جانبلاط - طومان باى الأول - قانصوه الغورى
١١	المتوكل على الله بن المستمسك	٩١٤-٩٤٥هـ/ ١٥٠٩-١٥٣٨م	قانصوه الغورى - طومان باى الثانى (سليم العثمانى - سليمان القانونى)

* إبراهيم على طرخان، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢هـ/ ١٥١٧م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.

جـــدول (٢)

سلاطين المماليك الجراكسة(*)

(٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م)

السلطان	بداية سلطنته	نهاية سلطنته	مدة سلطنته	ملاحظات
الظاهر أبو سعيد برقوق	١٩ رمضان ٧٨٤هـ	٥ جمادى الآخرة ٧٩١هـ	٦ سنين، ٨ شهور ٢٧ يومًا	سلطنته الأولى- خلع ثم عاد
المنصور الصالح حاجى	٦ جمادى الآخرة٧٩١هـ	١٤ صفر ٧٩٢هـ	٨ شهور وأيام	سلطنته الثانية - خلع
الظاهر أبو سعيد برقوق	١٩ رمضان ٧٩١هـ	شوال ٨٠١هـ	١٠ سنين إلا أيام سلطنته كاملة ١٦ سنة وأيام	توليته على مبايعة أهل الكرك له وهى سلطنته الثانية - توفى
الناصر فرج بن برقوق	١٥ شوال ٨٠١هـ	١٥ ربيع الأول ٨٠٨هـ	٦ سنين، ٥ شهور	سلطنته الأولى- خلع ثم عاد
عبد العزيز ابن برقوق	١٦ ربيع الأول ٨٠٨هـ	٤ جمادى الآخرة ٨٠٨هـ	شهرين، ١٠ أيام	خلع

الناصر فرج بن برقوق	٥ جمادى الآخرة ٨٠٨هـ	١٦ صفر ٨١٥هـ	٦ سنين، ١٠ شهور سلطنته كاملة ١٤ سنة	سلطنته الثانية - قتل
الخليفة المستعين بالله	٥ محرم ٨١٥هـ	١ شعبان ٨١٥هـ	٧ شهور	خلع
المؤيد شيخ المحمودى	١ شعبان ٨١٥هـ	٨ محرم ٨٢٤هـ	٨ سنين، ٤ شهور، ٢٣ يومًا	توفى
المظفر أحمد بن المؤيد	٨ محرم ٨٢٤هـ	١٩ شعبان ٨٢٤هـ	٨ شهور	تسلطن طفلًا - خلع
الظاهر ططر	١٩ شعبان ٨٢٤هـ	٤ من ذى الحجة ٨٢٤هـ	٣ شهور ويومين	توفى
الصالح محمد بن ططر	٤ من ذى الحجة ٨٢٤هـ	٨ ربيع الآخر ٨٢٥هـ	٤ شهور، ٤ أيام	خلع
الأشرف برسباى	٨ ربيع الآخر ٨٢٥هـ	١٣ من ذى الحجة ٨٤١هـ	١٦ سنة، ٩ شهور، ١٠ أيام	توفى
العزيز يوسف بن برسباى	١٣ من ذى الحجة ٨٤١هـ	١٩ ربيع الأول ٨٤٢هـ	٣ شهور، ٦ أيام	خلع
الظاهر جقمق	١٩ ربيع الأول ٨٤٢هـ	٣ صفر ٨٥٧هـ	١٤ سنة، ١٠ شهور ويومين	أستعفى لمرضه

المنصور عثمان بن جقمق	١١ محرم ٨٥٧هـ	٥ ربيع الأول ٨٥٧هـ	٤٣ يومًا	خلع
الأشرف إينال	٨ ربيع الأول ٨٥٧هـ	١٤ جمادى الأولى ٨٦٥هـ	٨ سنين، شهران، ٧ أيام	أستعفى لمرضه
المؤيد أحمد ابن إينال	١٤ جمادى الأولى ٨٦٥هـ	١٨ رمضان ٨٦٥هـ	٤ شهور، ٣ أيام	خلع
الظاهر خشقدم	١٩ رمضان ٨٦٥هـ	١٠ ربيع الأول ٨٧٢هـ	٦ سنين، ٥ شهور، ٢٠ يومًا	توفى
الظاهر يلباى الإينالى	١٠ ربيع الأول ٨٧٢هـ	٧ جمادى الأولى ٨٧٢هـ	أقل من شهرين	خلع
الظاهر تمربغا	٧ جمادى الأولى ٨٧٢هـ	٦ رجب ٨٧٢هـ	أقل من شهرين	خلع
خاير بك...	....	....	يومًا واحدًا	....
الأشرف قايتباى	٦ رجب ٨٧٢هـ	١٧ من ذى القعدة ٩٠١هـ	٢٩ سنة، ٤ شهور، ٢١ يومًا	توفى
الناصر محمد بن قايتباى	١٧ ذى القعدة ٩٠١هـ	١٥ ربيع الأول ٩٠١هـ	قرابة أربعة أشهر	سلطنته الأولى- خلع ثم عاد
الأشرف قانصوه خمسمائة	١٨ جمادى الأولى ٩٠٢هـ	٢٠ جمادى الأولى ٩٠٢هـ	٣ أيام	خلع
الناصر محمد بن قايتباى	٢٠ جمادى الأولى ٩٠٢هـ	١٧ ربيع الأول ٩٠٤هـ	ستين إلا أيام	قتل

الظاهر قانصوه المحمدى	١٧ ربيع الأول ٩٠٤هـ	١٩ من ذى القعدة ٩٠٥هـ	٢٠ شهر، ٩ أيام	خلع
الأشرف جانبلاط	٢ من ذى الحجة ٩٠٥هـ	١٨ جمادى الآخرة ٩٠٦هـ	٦ شهور، ٦ أيام	خلع
العادل طومان باى الأول	١٨ جمادى الآخرة ٩٠٦هـ	١ شوال ٩٠٦هـ	١٠٠ يوم	قتل
الأشرف قانصوه الغورى	١ شوال ٩٠٦هـ	١٥ رجب ٩٢٢هـ	١٥ سنة، ٩ شهور، ٢٥ يومًا	قتل
الأشرف طومان باى الثانى	٩٢٢هـ	١١ ربيع الأول ٩٢٣هـ		قتل شنقًا

✽ من عمل الباحث

جدول (٣)

أمراء المدينة المنورة فى عصر المماليك الجراكسة(*)

(٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م)

الرقم	اسم الأمير	سنوات ولايته	ملاحظات
١	نعير بن منصور بن جماز ابن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا	ذو القعدة ٧٨٣هـ- (مات) ١٥ من ذى القعدة ٧٨٣هـ	بالوكالة عن أخيه عطية بن منصور
٢	جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	ذو القعدة ٧٨٣- ٧٨٥هـ	(إمارته الأولى)
٣	محمد بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة	٧٨٥-٧٨٦هـ	(إمارته الأولى) مشاركًا لابن عمه جماز بن هبة
٤	محمد بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة	٧٨٧هـ- (مات) جمادى الأولى ٧٨٨هـ	(إمارته الثانية)
٥	جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	٧٨٨هـ- ٧٩٨هـ	(إمارته الثانية)
٦	ابن جماز بن هبة بن جماز بن منصور	٧٨٩هـ-٧٨٩هـ	نائب عن والده جماز بن هبة
٧	على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة	٧٨٩هـ- (مات) ٧٨٩هـ	تولى الإمارة استيلاء
٨	ثابت بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة	٧٩٨هـ- ٨٠٥هـ	(إمارته الأولى)
٩	جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	٨٠٥هـ- ٨٠٧هـ	(إمارته الثالثة)

١٠	ثابت بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة	٨٠٧هـ- ٨٠٩هـ	(إمارته الثانية)
١١	جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	٨٠٩هـ- (قتل) جمادى الأخرة ٨١٢هـ	(إمارته الرابعة)
١٢	ثابت بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة	٨١١هـ - (مات) صفر ٨١١هـ	(إمارته الثالثة)
١٣	حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي	٨١١هـ-(عزل عن ولاية الحجاز) ٨١٨هـ	تولى ولاية الحجاز مكة والمدينة
١٤	عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة	ربيع الآخر ٨١١هـ- ٨١٥هـ	(إمارته الأولى) نائبًا عن الحسن بن عجلان أمير الحجاز
١٥	سليمان بن هبة بن جماز بن منصور بن شيحة	٨١٥هـ- (مات) ٨١٧هـ	نائب عن الحسن بن عجلان أمير الحجاز
١٦	غرير بن هيازع بن ثقبه بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	ذى الحجة ٨١٥هـ- ٨١٩هـ	(إمارته الأولى) تولى الإمارة بعد القبض على عمه سليمان بن هبة
١٧	رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة	٨١٨هـ- (مات) رجب ٨٣٧هـ	أمير الحجاز مكة والمدينة
١٨	عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة	ذو الحجة٨١٩هـ- ٨٢١هـ	(إمارته الثانية)
١٩	غرير بن هيازع بن ثقبه بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	٨٢١هـ-٨٢٤هـ	(إمارته الثانية)
٢٠	عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة	ذو الحجة٨٢٤هـ- ٨٢٩هـ	(إمارته الثالثة)

٢١	ثابت بن نعير بن هبه بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	٨٢٩هـ-٨٢٩هـ	أخو عجلان بن نعير تولى الإمارة استيلاء
٢٢	خشرم بن دوغان بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة	شوال ٨٢٩هـ- ٨٣٠هـ	اعتقل بالقاهرة سنة ٨٣٠هـ وقتل ذى الحجة ٨٣٢هـ
٢٣	مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة	٢٤ من ذى الحجة ٨٣٠هـ- (قتل) ١٠ جمادى الأخرة ٨٣٩هـ	قتل مانع بن على بن عطية من قبل حيدرة بن دوغان بدم أخيه خشرم بن دوغان
٢٤	أميان بن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة	رمضان ٨٣٩هـ - (عزل) ذى الحجة ٨٤٣هـ	(إمارته الأولى)
٢٥	سليمان بن غرير بن هيازع بن هبة بن جماز	٨٤٣هـ- (مات) ربيع الآخر ٨٤٦هـ	عين حيدرة بن دوغان قاتل مانع بن على والد أميان نائبًا له على المدينة
٢٦	حيدرة بن دوغان بن جعفر بم هبة بن جماز	٨٤٣هـ- (قتل) رمضان ٨٤٦هـ	نائب عن سليمان بن غرير
٢٧	موسى بن كبيش بن هبه بن جماز بن منصور	رمضان ٨٤٦هـ- محرم ٨٤٧هـ	يسمى أيضًا مؤنس
٢٨	ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن نعير بن منصور	محرم ٨٤٧هـ- محرم ٨٥٠هـ	(إمارته الأولى)
٢٩	أميان بن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة	محرم ٨٥٠هـ- (مات) ٨٥٣هـ	(إمارته الثانية)

٣٠	محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة	٨٥٩هـ- ٩٠٣هـ	أمير الحجاز مكة والمدينة وحلى بنى يعقوب وجازان
٣١	زبيرى بن قيس بن ثابت بن نعير بن منصور	٨٥٣هـ- (عزل) ٨٦٥هـ	(إمارته الأولى)
٣٢	زهير بن سليمان بن هبه بن جماز بن منصور	٨٦٥هـ- شوال ٨٦٥هـ	(إمارته الأولى)
٣٣	ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن نعير بن منصور	٨٦٥هـ- ٨٦٥هـ	(إمارته الثانية) مدة أربعة أشهر
٣٤	زهير بن سليمان بن هبه بن جماز بن منصور	٨٦٥هـ- ٨٦٩هـ	(إمارته الثانية)
٣٥	ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن نعير بن منصور	٨٧٠هـ- محرم٨٧٠هـ	(إمارته الثالثة) مدة أربعة أشهر
٣٦	زهير بن سليمان بن هبه بن جماز بن منصور	محرم٨٧٠هـ - (مات) ٨٧٤هـ	(إمارته الثالثة)
٣٧	ضيغم بن خشرم بن نجاد ابن ثابت بن نعير بن منصور	صفر٨٧٤هـ- ٨٨٣هـ	(إمارته الرابعة)
٣٨	شامان بن زهير بن سليمان	٨٧٨هـ- (مات) ٨٨٣هـ	خال أمير مكة محمد بن بركات
٣٩	مجول بن صخر بن مقبل الحسنى	٨٨٣هـ	نائب عن أمير الحجاز
٤٠	قسيطل بن زهير بن سليمان بن هبه بن جماز	٨٨٣هـ- ٨٨٧هـ	تولى بمساندة أمير الحجاز محمد بن بركات
٤١	زبيرى بن قيس بن ثابت بن نعير بن منصور	٨٨٧هـ- (مات) ٨٨٧هـ	(إمارته الثانية)

٤٢	حسن بن زبيرى بن قيس بن ثابت بن نعير	٨٨٧هـ- ٩٠١هـ	نائب عن أمير الحجاز محمد بن بركات
٤٣	سرداح الحميضى بن مقبل بن نخيار بن مقبل الحسنى الينبعى	٩٠١هـ	تولى الإمارة بدون مرسوم باختيار أهل المدينة
٤٤	دراج بن معزى الحسينى	ربيع الأول ٩٠١هـ	أمير الينبوع تولى الإمارة لمدة يومين لحفظ الأمن فى المدينة بعد واقعة الحسن بن زبيرى
٤٥	محمد بن بركات	٩٠١هـ	أمير مكة
٤٦	فارس بن شامان بن زهير بن سليمان بن زيان بن منصور	رجب ٩٠١هـ- ٩٠٣هـ	نائب أمير مكة محمد بن بركات
٤٧	مانع بن زبيرى بن قيس بن ثابت بن نعير	٩٠٣هـ- ٩١٨هـ	تولى الإمارة لمدة طويلة بسبب صراع أمراء مكة على إمارتها وإنشغالهم عن شئون المدينة
٤٨	ثابت بن ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت	٩١٩هـ- ٩٣٣هـ	خلال إمارته انتقلت السلطة فى مصر من المماليك الجراكسة إلى العثمانيين ٩٢٣هـ

* من عمل الباحث.

ثانيًا: البيــــــانات

بيـان (١)

تطور مساحة وعمارة المسجد النبوى الشريف[١]

الفترة سنة		المساحة م٢
٧هـ	بعد أن أعاد الرسول ﷺ بناءه	٢٤٧٥
١٧هـ	زيــادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١١٠٠
٢٩ ـ ٣٠هـ	زيادة عثمان بن عفان رضى الله عنه	٤٩٦
٨٨ ـ ٩١هـ	زيادة الوليد بن عبد الملك الأموى	٢٣٦٩
١٦١ ـ ١٦٥هـ	زيادة المهدى العباسى	٢٤٥٠
٨٨٨هـ	زيادة الأشرف قايتباى	١٢٠
١٢٦٥ ـ ١٢٧٧هـ	زيادة السلطان عبد المجيد العثمانى	١٢٩٣
١٣٧٠ ـ ١٣٧٥هـ	زيادة الملك عبد العزيز آل سعود	٦٠٢٤
جمـلــة		١٦٣٢٧م٢

---

(١) - أحمد ياسين الخيارى، تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م؛ انظر أيضًا: د/ عمر الفاروق سيد رجب، المدينة المنورة، التركيب الوظيفى... النمو والتغيرات، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧م.

بيـــــان (٢)

السنين التى مرت بين العمارة والعمارة فى المسجد النبوى[1]

عدد السنين بالتقريب

١٠ بين عمارة النبى ﷺ بعد فتح خيبر وعمارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

١٣ بين عمارة عمر بن الخطاب وعمارة عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

٦٣ بين عمارة عثمان بن عفان رضي الله عنه وعمارة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك.

٧٢ بين عمارة الوليد بن عبد الملك وعمارة الخليفة العباسى المهدى.

٧٢٤ بين عمارة المهدى العباسى وعمارة الملوك والحكام المسلمين الذين تعاونوا عليها بعد الحريق الأول.

٢١ بين عمارة الملوك والحكام المسلمين وعمارة السلطان المملوكى قايتباى بعد الحريق الثانى

٣٨٧ بين عمارة قايتباى وعمارة السلطان العثمانى عبد المجيد.

٩٨ بين عمارة السلطان عبد المجيد وعمارة الملك عبد العزيز آل سعود.

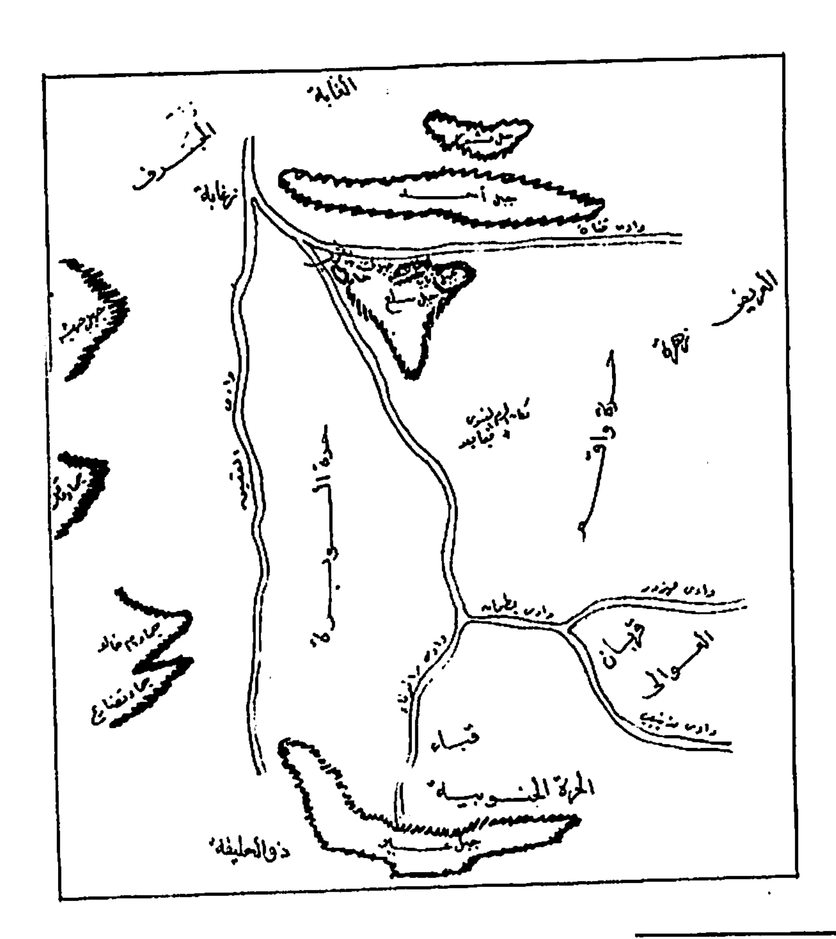
---

(١) – على حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، دون تاريخ..

ثالثًا ـ الخرائط والرسومات والأشكال

خريطة (١)[1]

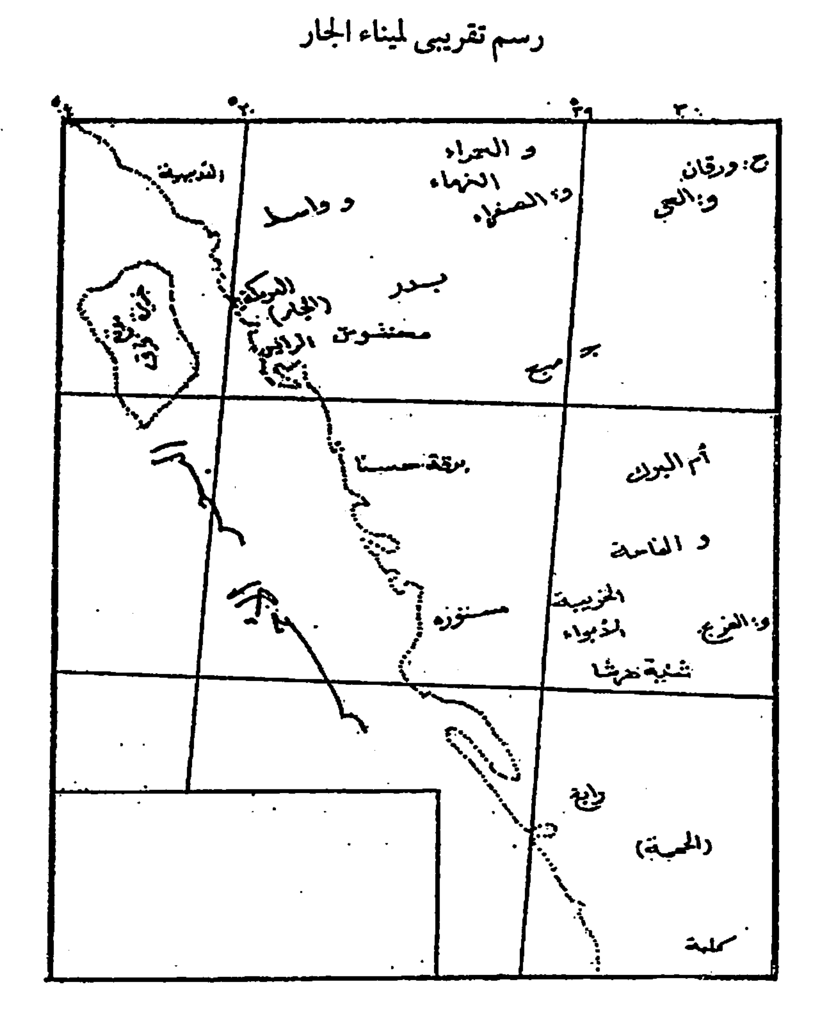
القرى والمناطق القديمة فى منطقة المدينة المنورة



(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

رســــم (١)[١]

رسم تقريبى لميناء الجار



رسم تقريبى لموقع الجار (ميناء المدينة القديم)

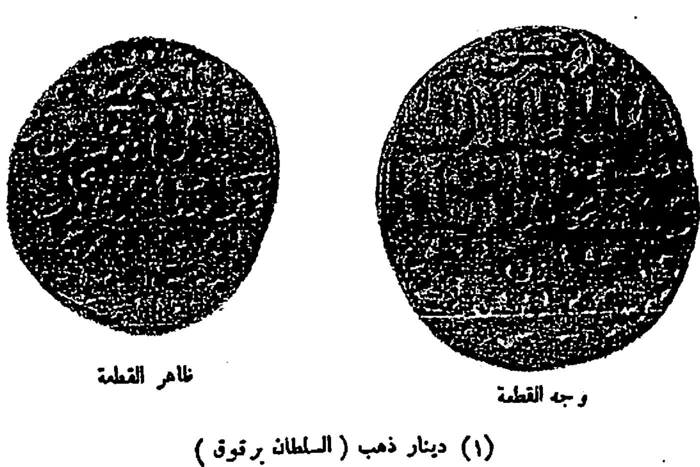
و= وادى – ج = جبل

---

(١) عمر الفاروق سيد رجب، المدن الحجازية الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.

شـــــكل (١)[1]

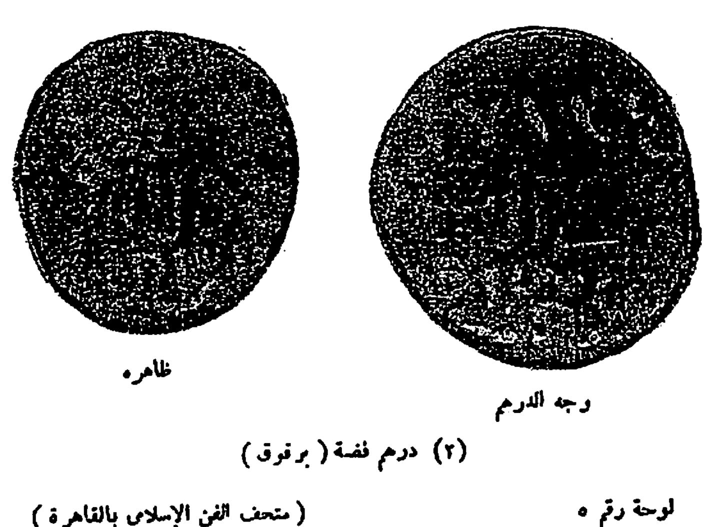
بعض العملات من العصر المملوكى الجركسى مع جدول لشرحها



ظاهر القطعة

وجه القطعة

(١) دينار ذهب (السلطان برقوق)



ظاهره

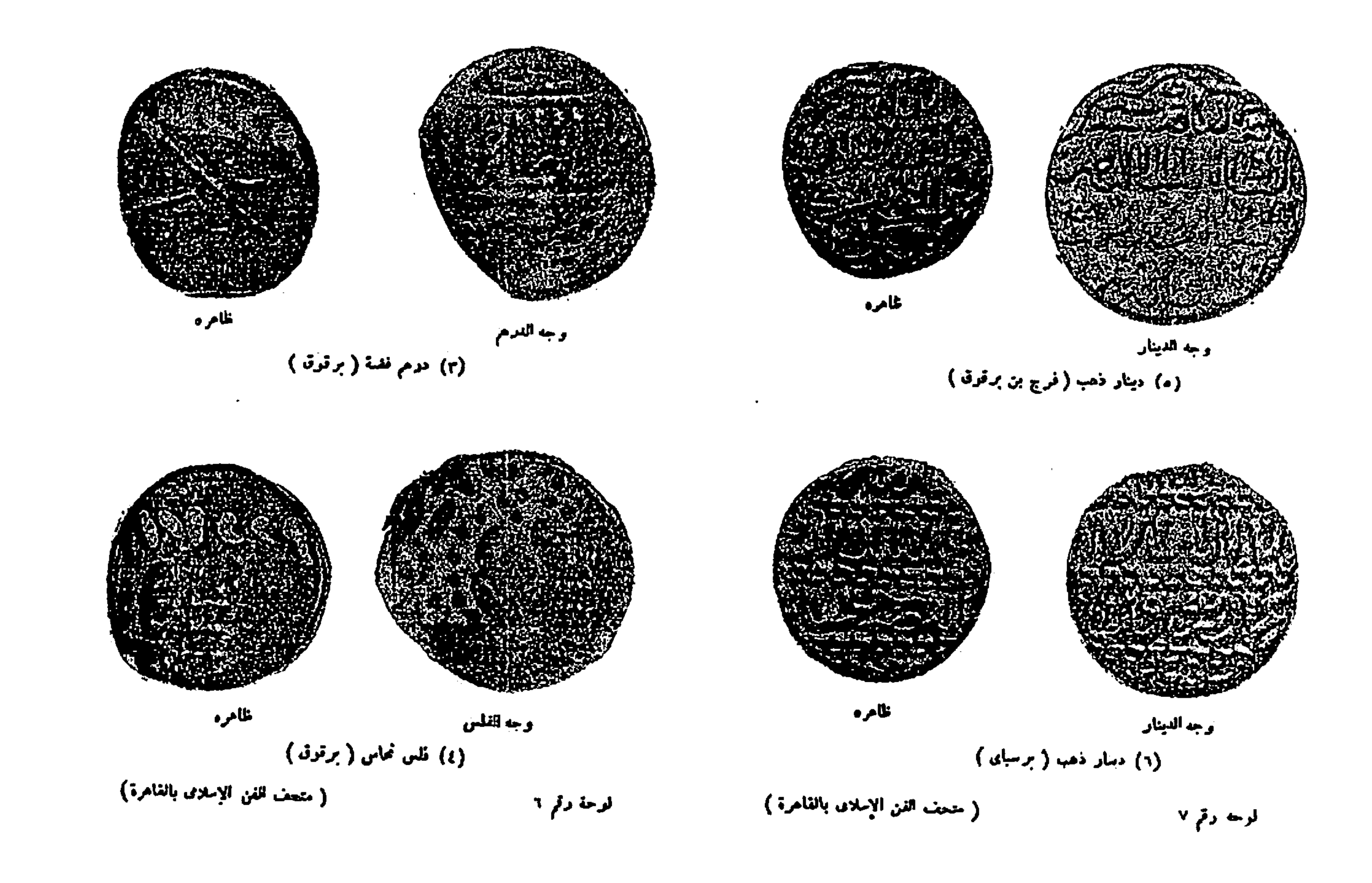
وجه الدرهم

(٢) درهم فضة (برقوق)

لوحة رقم ٥

(متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

(١) (متحف الفن الإسلامى بالقاهرة) عن إبراهيم على طرخان، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢هـ/ ١٥١٧م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م..



(٣) درهم فضة (برقوق)

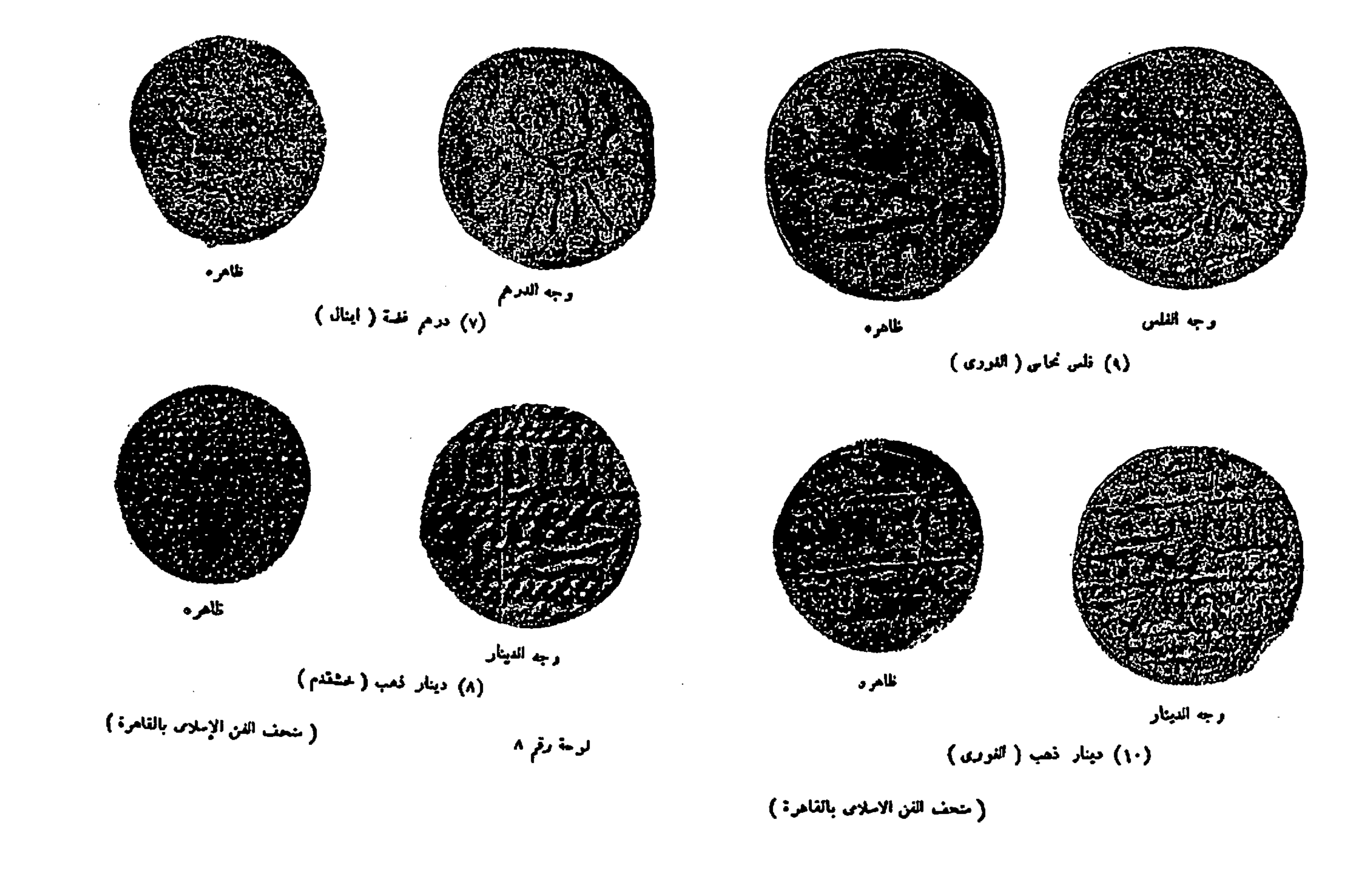
(٤) فلس نحاس (برقوق)

لوحة رقم ٦ (متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

(٥) دينار ذهب (فرج بن برقوق)

(٦) دينار ذهب (برسباى)

لوحة رقم ٧ (متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)



وجه الدرهم ظاهره

(٧) درهم فضة (اينال)

وجه الفلس ظاهره

(٩) فلس نحاس (الغوري)

وجه الدينار ظاهره

(٨) دينار ذهب (خشقدم)

(متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

وجه الدينار ظاهره

(١٠) دينار ذهب (الغوري)

(متحف الفن الاسلامي بالقاهرة)

لوحة رقم ٨

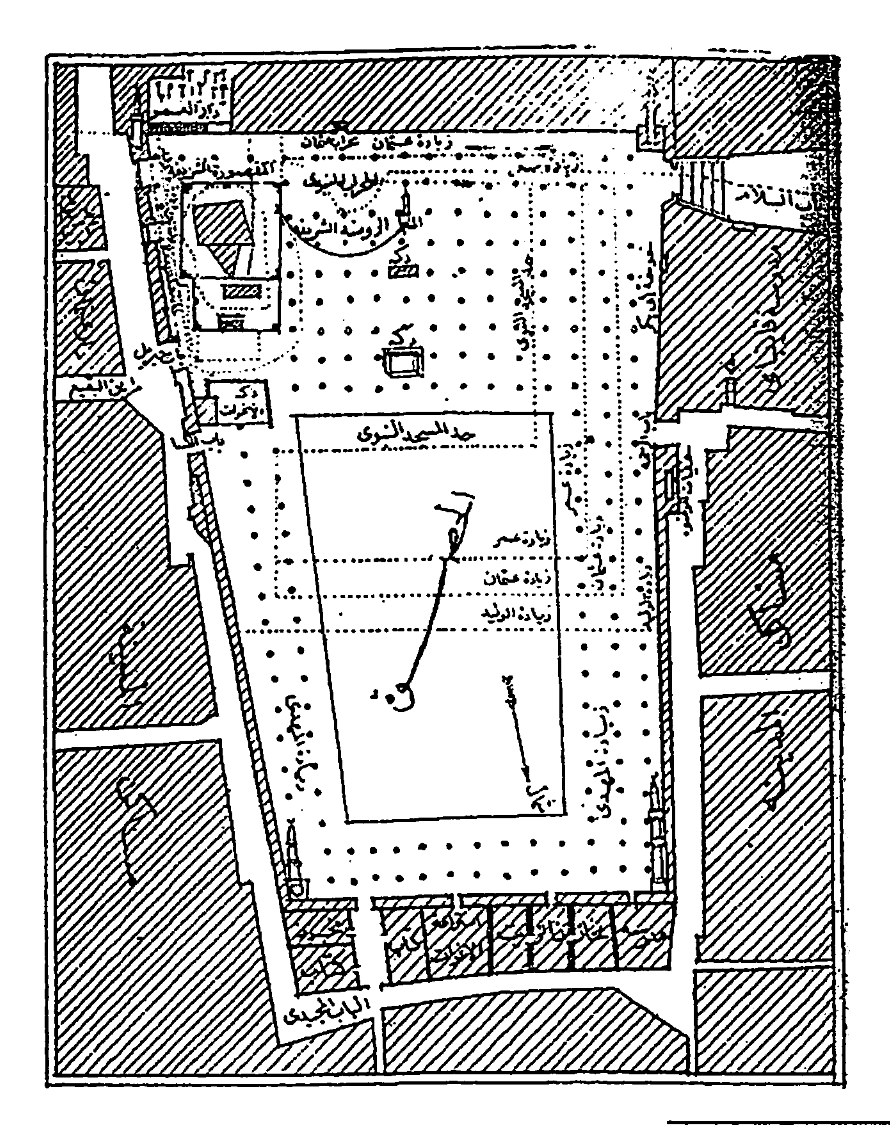
جداول لشرح النقود

رقم اللوحة	نوعها	صاحبها	رقم التسجيل	الشكل السلطانية: وجه القطعة	ظاهرها
	دينار ذهب	برقوق	١٨٥١٤	[ضرب بدمشق] السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين برقوق عز نصره	وما النصر إلا من عند الله [لا] إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
٢	درهم فضة	برقوق	١٧١٣٤	[السلطان الملك] الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق	[لا إله إلا] الله [محمد] رسول الله أرسله بالهدى ودين [الحق]
٣	درهم فضة	برقوق	١٧٢٢٥	برقوق ... ضرب بدمشق	في سنة سبع
٤	فلس نحاس	برقوق	١٧٢٤٩	برقوق	الملك [الظاهر] أبو سعيد
٥	دينار ذهب	[illegible]	١٨٦٧٣	ضرب ... الملك الناصر ... [مرقوم]	لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

رقم اللوحة	نوعها	صاحبها	رقم التسجيل	الشكل السلطانية: وجه القطعة	ظاهرها
٦	دينار ذهب	برسباي	١٨٤٧١	لا إله إلا الله محمد رسول الله	بالقاهرة / السلطان الملك الأشرف / ... برسباي ...
٧	درهم فضة	إينال	١٩٥٠٢	السلطان الملك الأشرف إينال ...	(كتابة مزدحمة)
٨	دينار ذهب	خشقدم	١٨٤٧٥	السلطان الملك الظاهر أبو سعيد خشقدم	ضرب القاهرة / لا إله إلا الله / محمد رسول الله
٩	فلس نحاس	الغوري	١٧٢٣٨	قانصوه (...)	بالقاهرة
١٠	دينار ذهب	الغوري	١٨٥١٥	السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري	بالقاهرة / لا إله إلا الله / محمد رسول الله

شـــــكل (٢)[1]

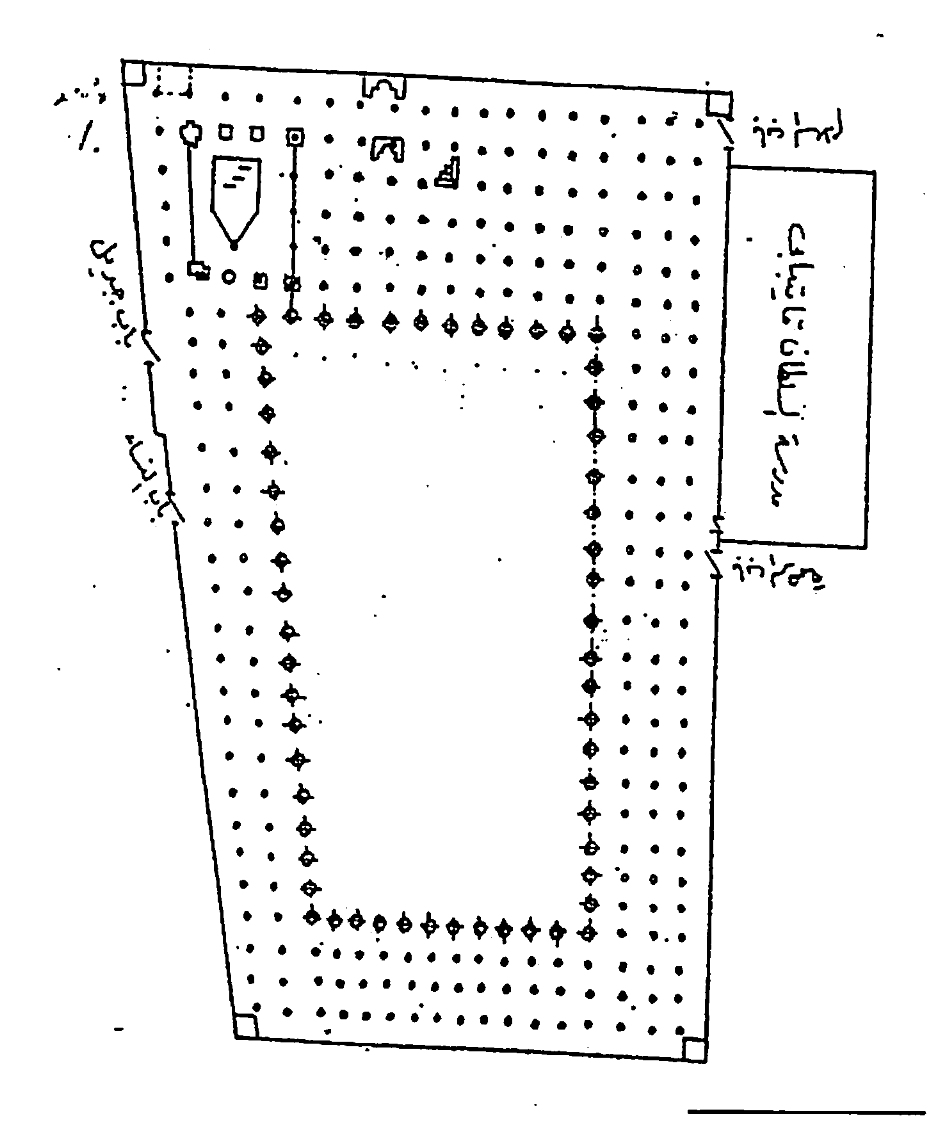
المسجد النبوى الشريف وما حدث فيه من عمارة



(١) محمد حسين هيكل، فى منزل الوحى، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

شـــــكل (٣)[١]

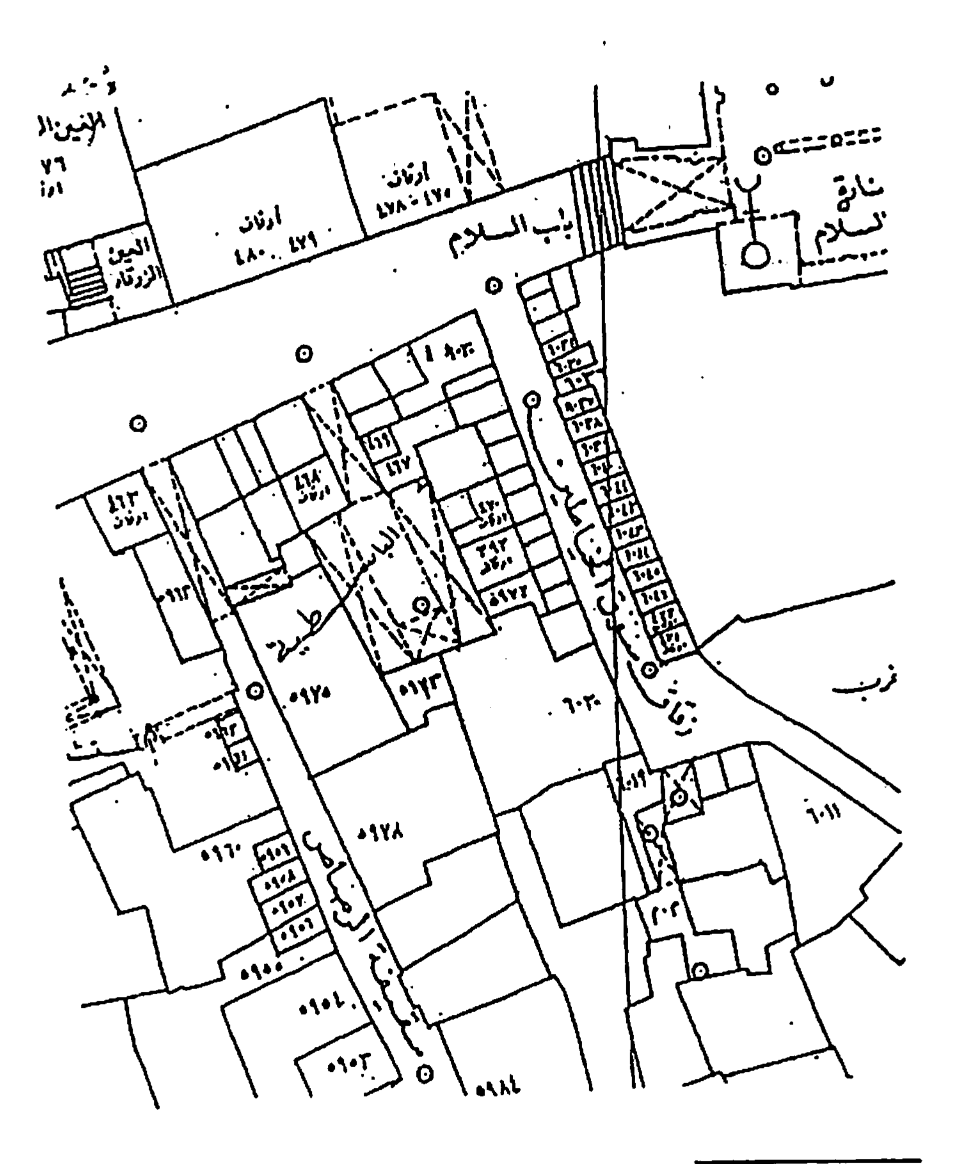
عمارة السلطان قايتباى للمسجد النبوى الشريف ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م



(١) محمد هزاع الشهرى، عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكى، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

شـــــكل (٤)[1]

مكان المدرسة الباسطية فى المدينة المنورة



(١) مستخرجة من خريطة هيئة المساحة المصرية.

رابعًا ـ نسخة تقليد بإمارة المدينة المنورة

تقاليد ما يجرى به القلم ويمضى السيف الحسام أفرادًا فى التحكيم وأنفة لمثله من ضرر التقسيم وفرارًا من الشركة المشتقة من الشرك ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] ولاية تامة عامة كاملة شاملة لا يبقى من أهل نجد من لا يدخل فى حكمها وينضاف إلى قسمها وتقابل السوابق فى غاياتها وتقابل الجحافل تحت راياتها ويعد مع أهل بدر فيها ويعد من حقوقها ما يوفيها.

وقد سبق من الوصايا ما فيه غنى إلا ما لا تخل العوائد به مما يذكر هنا وقد حويت بحمد الله فى جميع طباعك وجميل الحمد لله الفرد بلا ربك الواحد لا من أعداد تقتضى التشويك المليك الذى يتناهى إليه تقليد كل مليك.

نحمده حمدًا يكمل مواهب التمليك ويحمد عواقب التسليك ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع التشكيك وتصد كل أفيك وتسد خلل التدريك ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير من حمى به عريك وحمى عليه تريك وحمل حتى تأتى له التحرير فى التحريك وتأنى وما فاته على أعدائه النصر الوشيك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تخلص كالذهب السبيك وترفع ما شيد وتمنع ما شيك وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد فلما كانت المدينة الشريفة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - حرمًا لا يستباح وحمى ليس إلا لمن انتهكه دم مباح وجنابًا ما على من حله جناح ومهبط وحى لا يمسح بأركانه لغير الملائكة جناح ولا يمسك بعصمة من أغضى فيه على قذى وسكت لساكنيه على أذى[2].

ولما اتصل بنا عن الروافض ما لا صبر لمسلم يرجو الله واليوم الآخر عليه ولا وجه

---

(١) (سورة لقمان، الآية: ١٣).

(٢) القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، الجزء الثانى عشر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

لمن قنع فيها بإخراج يديه ولا عذر لمن لقى الله مغضبًا لما ينهى إليه لا مغضبًا لما ينال رسول الله ﷺ من التعرض إلى صاحبيه مما تقاضى منا ما يمحو ظلامه الممتد وظلمه المشتد وبدعهم فسواء من ابتدعها ومن ارتد - فمكنا بتقليدنا الشريف من أعطى الله وأعطانا على قوله موثقًا وجرد عزائم لا تردها من خدعهم الرقى وأشهد الله عليه ومن حضر أنه لا يدع هذه الفرقة الضالة حتى يدع يتيمها ويعد لمقاتل السيوف حطيمها: مما تضمنه نص ماضى ذلك التقليد وما ضم ذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ونبهنا على أنه بدر لم يبق مع طلوعه ظلمة ولا ظلامة ولا إضاعة ولا إضامة.

ولا ما تتجنب به الركائب تمام الحج فى مواقفها ولا تنكر ما جهلت فى قباب قباء من معارفها وترد أعطانها ولا يسوقها إلى الأبرق بارق على إطلاله ولا يعجبها أن خيلا لها فى النخيل مقيل فى ظلاله.

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته - هو المتكفل بتطهير ذلك الحرم الشريف من آلم كل قول يفترى ولم كل باطل يلم يقظة أو طيف كرى وإزالة كل شح فيها على من أمل قرى أم القرى وأماتة كل بدعة تسكب على مثلها العبرات وإماطة كل أذى من طريق منى والجمرات ومنع شقاشق شيعة تغلى مراجلها من الزفرات وقطع كل نجوى ينادون بها من وراء الحجرات وقلع طائفة لولا إقامة حدد الله لكفاهم ما يقطع أكبادهم من الحسرات وكان بها من أولاد أخيه، بل بعضه منه وبعضه من بنى أبيه من النهى عما تتحلى به شيم الشريفة وانتهى إلى ما لا يعنيه ولا يغنيه فى تأخر خليفة وتقديم خليفة وأهمل حقوقًا عواقبها مع الله تعالى ورسوله ﷺ مخيفة وأوهم عقوقًا لأصحابه بل له لقوله:"دعوا لى أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مدى أحدهم ولا نصيفه " وبقى يتصل بنا فى هذا المعنى ما لا يقال مما يقال عنهم ويصل أذاهم إلى رسول الله ﷺ فى صاحبيه وقد قال:"إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع فى أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم يطلبون فى التقديم على من قدمه الله رد فئت ما جرى به القدر ويضربون صفحًا عما لا أراده الله ولا رسوله ﷺ فى قوله:"لا أدرى ما قد بقى لى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر " مع ما أضيف إلى هذا من قوادح نواب وفواتح أبواب وحوداث تزعج مقر النبوة أنباؤها

وتمتد على مشارق الأنواء ظلماؤها وتغير عوائد الوفود فى كرامة زائرهم وإدامة بشاشة الملتقى لسائرهم وأمن سربهم وشربهم أن يراع وأن يتمثل به لغير برق شعاع وضمنهم إلى ذلك الحمى الذى لا يضام نزيله ولا يرام فى طريق المجرة سبيله ولا يضل سار إليه ووجوه سكان الحمى دليله ولا يضيع وقد تلقاه من النسيم بليله ولا يقف وقفة المريب وضوء الصباح من أيمن النقا قنديله ولا يخشى وشعب ذلك الحى شعبه وقبيله قبيله وإراحة ركابهم التى أزعجها حادى السرى وإمتاعهم بقرب الجوار عوضًا من دموعهم عما جرى.

فلما لم يبق لمن أشرنا إليه - ممن أعطانى عهد موثقه وسار لا يريد إلا نقاء نقاه وبراءة أبرقه - إلا أن يحط بالمدينة الشريفة ركابه ويبعد الشكوى مما لا عهد من معاهدها اقترابه - أصر من فيها من ذوى قرابته على منعه أن يدخلها إلا بقتال يحل مقاعد الحرم ويحل معاقد الحرم ويشعل نارًا يصلى بها من لم تمتد له يد إليها إلى وقود ويروع من الألف فيها من يمتد له فى غير مراتع غزلان النقا سجاف قيام معقود وقدم إلى أبوابنا العالية من كان فيها مقيمًا.

وأنعمنا عليه بإبقاء النصف ففاته الكل لما لم يقنع أن يكون قسيمًا فأبت حميتنا لله ولرسوله ﷺ ولتلك المواطن المعظمة إلا أن نطهرها مما أسبلت على سريره أذيالها وما أطاقت على مضضه الأليم احتمالها.

فرسم بالأمر الشريف - ما زال قدره عاليًا وبره لا يخل بودى ولا يخلى مواليًا - أن تفوض إليه إمرة المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: مستقلا بأعبائها مستهلًا سحابه على أرجائها إمرة تستوعب جميعها وتستوعى أمر اسمه رباها وربوعها وعاصيها ومطيعها وتهائمها ونجودها وقريبها وبعيدها وكل ما يدخل لها فى حد وينتظم لها فى عد وأهل حاضرتها وباديتها وما تقف عليه من السحب ركائب رواعيها وغاديتها ومن تتبسم بهم ثناياها وتتنسم لهم أرواح بكرها وعشاياها ومن يضمهم جناحها المفضل ويلمهم وشاحها المفصل ويجمعهم جيشها السائر ويلفهم فى شمله الدجى قمرها الزاهر - تفويضًا يدخل فيه كل شريف ومشروف ومجهول ومعروف ومستوطن من أهلها وغريب انتهت به إليها مطارح سبلها ما فيه تأويل ولا

تعليل ولا استثناء ولا انثناء ولا تخرج منه الأرض المغبرة ولا الروضة الغناء لا شبهة فيه لداحض ولا حجة لمعارض يستقل بها جميعها بدره التمام وبره الغمام وبحره الذى يأبى فريده أن يواخى فى نظام وأمره الذى يتلقى به عن الثقة من سادات بيته مقاليد الأحكام انطباعك من حق اعتزامك وصدق التزامك ما هو كالسنا للشمس والمنى للنفس مما تحسد على شرفه النجوم وتنافس العلياء ما تعلق به الغيوم.

فكمل بتقوى الله شرفك وأتبع فى الشريعة الشريفة سلفك وكتاب الله المنزل أنتم أهل بيت فيكم تنزل وسنة جدكم سيدنا رسول الله ﷺ لا تهمل وهى مجدكم المؤثل ومعرفة حق من مضى عنكم وإلا فعمن تنقل ومنكم وإلا فممن تؤمل وإزالة البدع وإلا فلأى شيء سيوفكم تصقل ولماذا رماحكم تعدل والرافضة وغلاة الشيعة هم دنس من انتمى إلى هذا البيت الشريف بولائه وسبب وقوف من يقصد الدخول تحت لوائه فهم وأن حسبوا من أمداده ليسوا - وحاشى نوره الساطع - إلا من المكثرين لسواده أرادوا حفظ المودة فى القربى فأخلوا وقصدوا تكثير عددهم فقلوا وأنف من هو بريء من سوء مذهبهم أن يتظاهر بالولاء فيعد من أهل البدع بسببهم مع أنهم طمعوا فى رضاء الله فأخطاتهم المطامع وصحيح أنهم زادوهم عددًا إلا إنها كزيادة الشغياء أو كزيادة الأصابع. فصصم عزمك على ما عاهدت الله عليه من رفع أيدى قضاتهم ومنعهم هم ومن اتبع خطوات الشيطان فى سبيل مرضاتهم وحذرهم مما لا يعود معه على أحد منهم ستر يسبل ولا يبقى بعده لغير السيف حكم يقبل فمن خاض للسلف الصالح بذم أغرق فى تياره أو قدح فيهم زناد عناد أحرق بناره وألزم أهل المدينة الشريفة - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - بكلمة السنة فإنها أول ما رفعت بتلك المواطن المعظمة أعلامها وسمعت فى تلك الحجرة المكرمة أحاكمها مع تعفية آثار ما ينشأ على هذه البدعة من الفتن حتى لا ينعقد لها نقع مثار وتوطئة أكناف الحمى لئلّا يبقى به لمبطل فى مدراج نطقه عثار والوصية بسكان هذا الحرم الشريف ومن ينزل به من نزيل ويجاور به مستقرًا فى مهاد إقامة أو مستوفزًا على جناح رحيل ومن يهوى إليهم من ركائب ويأوى إليهم من رفقة مالت من نشوات الكرى بهم راقصات النجائب ومن يصل من ركبان الآفاق وأخوان لوى يتشاكون إليهم مر الفراق ومن يتلاقى بهم من طوائف

كلهم فى بيوت هذا الحى عشاق وأمم شتى جموعهم من مصر وشام ويمن وعراق وما يصل معهم فى مسيل وفودنا وسبيل جودنا ومحاملنا الشريفة التى ينصب لنا بها فى كل أرض سرير وأعلامنا التى ما سميت بالعقبان إلا وهى إليها من الأشواق تطير فمتى شعرت بمقدم ركابهم أو برقت لك عوارض الأقمار من سماء قبابهم فبادر إلى تلقيهم وقبل لنا الأرض فى آثار مواطيهم وقم بما يجب فى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وطاعتنا وأخرج عنهم كل يد ولا تخرجهم عن جماعتنا وأهل البادية هم حزبك الجيش اللهام وحربك إذا كان وقودها جثث وهام وهم قوم لم يؤدبهم الحضر ولا يبيت أحد منهم لا فته على حذر فاستجلب بمداراتك قلوبهم الأشتات وبادر حبال إبلهم النافرة قبل الثبات وترقب مراسمنا المطاعة إذا ذرت لك مشارقها.

وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك من الحروب بوارقها وأحسن كما أحسن الله إليك ولولا أن السيف لا يحتاج إلى حلية لطلنا حمائل ما نمليه عليك فما شهد للشريف بصحة نسبه أزكى من عمله بحسبه والله تعالى يقوى أسبابك المتينة ويمتع العيون بلوامعك المبينة ويمسك بك ما طال به أرجاف أهل المدينة.

المصادر والمراجع

أولًا – المصادر

(١) حجج الأوقاف

(٢) المصادر المخطوطة

(٣) المصادر المطبوعة

ثانيًا – المراجع

(١) المراجع العربية

(٢) المراجع الأجنبية المترجمة للعربية

(٣) المراجع الأجنبية

ثالثًا – الرسائل العلمية

(١) رسائل الماجستير

(٢) رسائل الدكتوراه

رابعًا – الدوريات العلمية

أولًا - المصـــادر

(١) حجج الأوقاف

(١) حجة وقف السيفى أيتمش بن عبد الله الظاهرى مؤرخة فى ١٩ محرم سنة ٨٥١هـ، رقم الحجة (١١٤٣ ق)، الأوقاف.

(٢) حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسنى مؤرخة فى ٢٧ محرم سنة ٨٠٨هـ، رقم الحجة (٦٢)، رقم المحفظة (١٠)، دار الوثائق القومية.

(٣) حجة وقف الزينى عبد اللطيف الزمام مؤرخة فى ١١ جمادى الأولى سنة ٩٠٣هـ، رقم الحجة (٢٢٢)، رقم المحفظة (٣٥)، دار الوثائق القومية.

(٤) حجة وقف السلطان الغورى رقم الحجة (٨٨٢ ق)، (٨٨٣)، أوقاف، دراسة عبد اللطيف إبراهيم على.

(٥) حجة وقف السلطان قايتباى مؤرخة فى ١٥ ذى الحجة سنة ٨٩٥هـ، رقم الحجة (٨٩٠)، أوقاف، دار الوثائق القومية.

(٦) حجة وقف السلطان الناصر فرج بن برقوق مؤرخة فى ٧ محرم سنة ٨١٢هـ، رقم الحجة (٦٦)، رقم المحفظة (١١)، دار الوثائق القومية.

(٢) المصادر المخطوطة

* علي بن موسى (كان موجودًا سنة ١٣٠٣هـ)

(١) رسالة في وصف المدينة المنورة، مخطوطة رقم (١٦٤٤) تاريخ، ميكروفيلم رقم (٣٠٧٧٩)، دار الكتب المصرية.

* ابن فهد (نجم الدين عمر بن محمد ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م).

(٢) الدرر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مخطوطة رقم (٣٠٣٢)، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة.

* القليوبي (شهاب الدين أحمد القليوبي الأزهري الشافعي توفي أواخر شوال سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م)

(٣) نبذة لطيفة في مباحث شريفة في تاريخ الحجاز ومعالمه، مخطوطة رقم (٢٤٩٢) تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم (٢٨٧١٦)، دار الكتب المصرية.

* مؤلف مجهول

(٤) المدينة المنورة وفضلها والقبر الشريف، مخطوطة رقم (١٩١٨) تاريخ طلعت، ميكروفيلم رقم (١٣٧٧٤)، دار الكتب المصرية.

(٣) المصادر المطبوعة

(أ) القرآن الكريم

(ب) المصادر

* الإسحاقي (محمد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد المغني بن علي الإسحاقي المنوفي من علماء القرن الحادي عشر الهجري).

(١) لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الشويخ، الكويت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

* الإصطخرى (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخرى المعروف بالكرخى ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)

(٢) المسالك والممالك تحقيق د/ محمد جابر عبد العال الحسينى، مراجعة د/ محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، الإدارة العامة للثقافة، دار القلم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م

* ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد الحنفى ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م).

(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق/ محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

* ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشى ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م).

(٤) معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق/ محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.

* الألوسى (السيد محمود شكرى ت ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م)

(٥) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، الجزء الثالث، شرحه وصححه وضبطه/ محمد بهجت الأثرى، نشر/ أمين دمج، دار الشروق العربى، بيروت، دون تاريخ.

* بابا التنبكتى (أبو العباس أحمد باب بن أحمد ت ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م).

(٦) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الطبعة الأولى، تحقيق/ عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٩م.

* ابن بطوطة (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

(٧) رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق/ عبد الهادى التازى، المغرب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* البكرى (عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى ت ٤٨٧هـ).

(٨) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، الجزء الأول، الثالث، الطبعة الثالثة، تحقيق/ مصطفى السقا، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ٨١٣- ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

(٩) حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور، الجزء الثانى، تحقيق/ محمد كمال الدين عز الدين، دون تاريخ.

(١٠) الدليل الشافى على المنهل الصافى، الجزء الأول، الثانى، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(١١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، عدة أجزاء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(١٢) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، الجزء الثالث، الرابع، تحقيق د/ نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥-١٩٨٦م.

* ابن جبير (أبى الحسين محمد بن أحمد بن جبير ٥٤٠- ٦١٤هـ/ ١١٤٥-١٢١٧م).

(١٣) رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

* الجزيرى (عبد القادر بن محمد الأنصارى ت ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م).

(١٤) درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، الجزء الأول، الثانى، الطبعة الأولى، تحقيق/ حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م).

(١٥) المدخل، مدخل إلى الشرع الشريف على المذاهب، عدة أجزاء، القاهرة، ١٩٢٩م.

* ابن حجر (الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى ٧٧٣-٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

(١٦) إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق د/ حسن حبشى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(١٧) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، عدة أجزاء، الطبعة الثانية، تحقيق/ محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، دون تاريخ.

* الحسينى (محمد كبريت بن عبد الله الحسينى المدنى الموسوى ١٠١٢-١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م).

(١٨) الجواهر الثمينة فى محاسن المدينة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق د/ عائض الردادى، صفر ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م.

* ابن حوقل (محمد بن على بن حوقل البغدادى ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)

(١٩) صورة الأرض، القسم الأول، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٦٧م.

* ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

(٢٠) مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ.

(٢١) العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبرالجزء، الأول، الرابع، الطبعة الأولى، تحقيق/ خليل شحادة، مراجعة/ سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* الخوارزمى (محمد بن أحمد بن يوسف ت ٣٨٧هـ).

(٢٢) مفاتيح العلوم، الطبعة الأولى، تحقيق/ إبراهيم الإنبارى، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* دحلان (أحمد بن زينى ت ١٢٠٤هـ).

(٢٣) خلاصة الكلام فى أخبار أمراء البيت الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ.

* ابن رشيد (أبو عبد الله محمد بن عمر رشيد الفهرى السبتى ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م).

(٢٤) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، الجزء الخامس، الطبعة الأولى، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجه، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* ابن الرومى (محمد بن خضر الرومى الحنفى توفى فى القرن العاشر الهجرى).

(٢٥) التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة الطبعة الأولى، ضمن رسائل فى تاريخ المدينة، تقديم وإشراف/ حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

* السخاوى (الإمام شمس الدين السخاوى ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).

(٢٦) التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة، عدة أجزاء، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٢٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، عدة أجزاء، القاهرة، ١٩٣٤م.

(٢٨) التبر المسبوك فى ذيل السلوك، الجزء الأول، الثانى، تحقيق أ.د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢٩) وجيز الكلام فى الذيل على دول الإسلام، الجزء الثالث، تحقيق/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

* السمهودى (على بن عبد الله بن أحمد الحسنى ٨٤٤- ٩٢٢هـ).

(٣٠) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، عدة أجزاء، الطبعة الرابعة، تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٣١) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى، تقديم/ حمد الجاسر، ضمن رسائل فى تاريخ المدينة، الرياض، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٣٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ، الجزء الأول، الثانى، الطبعة الأولى، تحقيق د/ على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

* السيوطى (الإمام جلال الدين السيوطى ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

(٣٣) الحجج المبينة فى التفضيل بين مكة والمدينة، تحقيق د/ محمد زينهم محمد عزب، دار الأمين، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

* ابن شاهين الظاهرى (زين الدين عبد الباسط بن خليل الحنفى ٨٤٤- ٩٢٠هـ).

(٣٤) نيل الأمل فى ذيل الدول، مخطوطة مكتبة بوديتان بأكسفورد رقم ٦١٠، HUNT ٢٨٥، القسم السادس من الجزء الثانى ٨٦١- ٨٧٥هـ، القسم السابع من الجزء الثانى ٨٧٦- ٨٩٠هـ، القسم الثامن من الجزء الثانى ٨٩١- ٨٩٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمرى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

* ابن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)

(٣٥) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، الطبعة الثانية، نشره بولس راويس، دار العرب، القاهرة، ١٩٨٨م.

* ابن شبة (أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى ١٧٣هـ - ٢٦٢هـ).

(٣٦) تاريخ المدينة المنورة، الجزء الأول، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

* ابن الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود الصيرفى ت ٩٠٠هـ).

(٣٧) إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق د/ حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٣٨) نزهة النفوس والأبدان فى تاريخ الزمان، الجزء الأول، تحقيق أ.د/ حسن حبشى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م. الجزء الثالث، الرابع، تحقيق أ.د/ حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

* ابن طولون (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن على بن أحمد ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م).

(٣٩) مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان "تاريخ مصر والشام"، القسم الأول من سنة ٨٨٤ إلى سنة ٩٢١هـ (١٤٨٠-١٥١٥م)، تحقيق/ محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

* ابن ظهيرة، شمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن ظهيرة الحنفى.

(٤٠) روضة الأديب ونزهة الأريب، منشور ضمن بحوث الندوة الدولية فى تاريخ القاهرة، عن النظم الإدارية بمصر فى القرن التاسع الهجرى، القاهرة، ١٩٧١م.

* العباسى (الشيخ أحمد بن عبد الحميد العباسى ت ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م).

(٤١) عمدة الأخبار فى مدينة المختار، الجزء الخامس، تصحيح وتحرير الألفاظ / الشيخ محمد الطيب الأنصارى، أوضح غوامضه وأضاف إليه ناشره السيد/ أسعد طرابزونى، طبعه/ أسعد طربرازونى الحسينى، دون تاريخ.

* عبد العزيز بن فهد (عز الدين بن عبد العزيز بن عمر بن محمد ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م).

(٤٢) غاية المرام بأخبار البلد الحرام، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٤٣) بلوغ القرى فى الذيل على إتحاف الورى، الجزء الأول، دون تاريخ.

* العصامى (عبد الملك بن حسين ت ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م).

(٤٤) سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى، الجزء الرابع، المطبعة السلفية، القاهرة، دون تاريخ.

* ابن العماد (أبو الفلاح بن عبد الحى بن أحمد الحنبلى ت ١٠٨٩هـ).

(٤٥) شذرات الذهب بأخبار من ذهب، الجزء السابع، القاهرة، دون تاريخ.

* عمر بن فهد (محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد ٨١٢هـ - ٨٨٥هـ)

(٤٦) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الجزء الثالث، الرابع، تحقيق وتقديم/ فهيم محمد شلتوت، دار المدنى، جدة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

* العينى (بدرالدين محمود بن أحمد بن موسى ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

(٤٧) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق د/ محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٨م.

* الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ).

(٤٨) إحياء علوم الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت، دون تاريخ.

* الغزى (نجم الدين محمد ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م).

(٤٩) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، الطبعة الثانية، تحقيق/ جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

* الفاسى (الحافظ أبى الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن على المكى المالكى ٧٧٥-٨٣٢هـ).

(٥٠) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الجزء الأول، الثانى، دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

(٥١) العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، عدة أجزاء عدة أجزاء، تحقيق/ فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* الفيروزآبادى (مجد الدين أبى الطاهر محمد بن يعقوب ٧٢٩-٨٢٣هـ/ ١٣٢٩- ١٤١٥م).

(٥٢) المغانم المطابة فى معالم طابة، الطبعة الأولى، تحقيق/ حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

(٥٣) القاموس المحيط، الجزء الأول، المؤسسة العربية للطباعة، بيروت، دون تاريخ.

* القلقشندى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على القلقشندى ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

(٥٤) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، عدة أجزاء، تعليق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ٢٠٩ - ٢٧٣هـ).

(٥٥) سنن ابن ماجه، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق/ بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

* ابن المجاور (جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد).

(٥٦) صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماه تاريخ المستبصر، تحقيق/ أوسكر لوفغرين، دون تاريخ.

* المراغى (زين الدين أبى بكر بن الحسين ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م).

(٥٧) تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، الطبعة الثانية، تحقيق/ محمد عبد الجواد الأصمعى، المكتبة العلمية، المدينة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء المعروف بالبشارى ت ٣٨٧هـ).

(٥٨) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

* المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ٧٦٦- ٨٤٥هـ).

(٥٩) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، الجزء الأول، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

(٦٠) السلوك لمعرفة دول الملوك، عدة أجزاء، تحقيق د/ محمد مصطفى زيادة، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٠م.

* الملطى (عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطى ٨٤٤-٩٢٠هـ).

(٦١) نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، الطبعة الأولى، تحقيق/ محمد كمال الدين عز الدين على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* ابن منظور (محمد بن مكرم بن على ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).

(٦٢) لسان العرب المحيط، عدة أجزاء، إعداد/ يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، دون تاريخ.

* النابلسى (عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م).

(٦٣) الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد د/ أحمد عبد المجيد هريدى، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

* ابن النجار (الحافظ محمد بن محمود ٥٧٣-٦٤٧هـ).

(٦٤) الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة، الطبعة الأولى، تقديم وتحقيق وتعليق/ محمد زينهم محمد عزب، من تراث الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

* النهروالى (محمد بن أحمد بن محمد النهروالى ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م).

(٦٥) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، عدة أجزاء، تحقيق د/ على محمد عمر، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

* ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

(٦٦) معجم الأدباء، الجزء السادس عشر، دار المستشرق، بيروت، دون تاريخ

(٦٧) معجم البلدان، المجلد الخامس، تراث العرب، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* اليعقوبى (أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت ٢٨٤هـ).

(٦٨) البلدان، دون طبع، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

* اليوسفى (موسى بن محمد بن يحيى اليوسفى ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م).

(٦٩) نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر، الطبعة الأولى، تحقيق/ أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

ثانيًا - المراجع

(١)- المراجع العربية

* إبراهيم البيومى غانم (دكتور).

(١) الأوقاف والسياسة فى مصر، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

* إبراهيم حسن سعيد (دكتور).

(٢) البحرية فى عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

* إبراهيم حلمى.

(٣) المحمل، مكتبة التراث الإسلامى، دون تاريخ.

* إبراهيم رفعت باشا.

(٤) مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، الجزء الأول، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.

* أحمد إبراهيم الشريف (دكتور).

(٥) مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

* أحمد دراج (دكتور).

(٦) المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦١م.

* أحمد عبد الرازق أحمد (دكتور).

(٧) البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

* أحمد رجب محمد على (دكتور).

(٨) المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، رمضان ١٤٢٠هـ/ يناير ٢٠٠٠م.

* أحمد السباعى.

(٩) تاريخ مكة، دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الجزء الأول، الثانى، الطبعة السادسة، مطبوعات نادى مكة الثقافى، مكة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* أحمد الشرباصى.

(١٠) المعجم الاقتصادى الإسلامى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.

* أحمد عمر الزيلعى.

(١١) مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١-٤٨٧هـ)، الرياض، المملكة العربية السعودية، دون تاريخ.

* أحمد فؤاد الأهوانى.
(١٢) التربية فى الإسلام والتعليم فى رأى القابسى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.

* أحمد بن محمد البرادعى.
(١٣) الدرر السنية فى الأنساب الحسنية والحسينية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٤هـ.

* أحمد هاشم أحمد بدر شينى (دكتور).
(١٤) أوقاف الحرمين الشريفين فى العصر المملوكى (دراسة تاريخية وثائقية حضارية) الطبعة الأولى، إصدار خاص بمناسبة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

* أحمد ياسين الخيارى.
(١٥) تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* عبد الله بن صالح الرقيبة (دكتور).
(١٦) الحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة التوسعات والتطوير، صدرت هذه السلسلة عن وزارة التعليم العالى والجامعات السعودية بمناسبة مرور ٢٠ عامًا على تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم ١٤٠٢هـ- ١٤٢٢هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ- ١٤٢٢هـ.

* عبد الله عبد العزيز بن إدريس.
(١٧) مجتمع المدينة فى عهد الرسول ﷺ، الطبعة الأولى، الناشر عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* عبد الله قاسم الوشلى.
(١٨) المسجد ودوره التعليمى عبر العصور من خلال الحلق العلمية، سلسلة نحو النور (٩)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، دون تاريخ.
* عبد الباسط بدر (دكتور).
(١٩) التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الجزء الثانى، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
* توفيق اليوزبكى (دكتور).
(٢٠) تاريخ تجارة مصر البحرية فى العصر المملوكى، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، جامعة الموصل، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
* جميل حرب محمود حسين (دكتور).
(٢١) الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى الطبعة الأولى، دار تهامة، جدة، السعودية، ١٩٨٥م.
* حاجى خليفة (ت ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م).
(٢٢) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون الجزء الأول، تحقيق/ محمد شرف الدين بالتقايا، دار إحياء التراث العربى، دون تاريخ.
* حامد زيان غانم (دكتور).
(٢٣) الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٦م.
* حسن إبراهيم حسن (دكتور).
(٢٤) تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، الجزء الثانى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م.

* حسن الباشا (دكتور).

(٢٥) الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

* حسنين محمد ربيع (دكتور).

(٢٦) وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانئ الحجاز واليمن فى العصورالوسطى، ضمن الكتاب الأول من مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ١٩٧٩م.

* حسين على المصطفى.

(٢٧) أضواء على معالم المدينة المنورة وتاريخها، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

* حكيم أمين عبد السيد (دكتور).

(٢٨) قيام دولة المماليك الثانية تقديم د/ محمد مصطفى زيادة، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، وزارة الثقافة، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م.

* حمد الجاسر.

(٢٩) رسائل فى تاريخ المدينة، تقديم وإشراف/ حمد الجاسر، الطبعة الأولى، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٣٠) بلاد ينبع، لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة، منشورات دار اليمامة، الرياض، دون تاريخ.

* حياة ناصر الحجى (دكتورة).

(٣١) أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى سلطنة المماليك فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، الكويت، ١٩٩٥م.

* دخيل الله عبد الله الحيدرى.

(٣٢) التعليم الأهلى فى المدينة المنورة من ١٣٤٤هـ إلى ١٤٠٨هـ، دراسة تاريخية وصفية، منشورات نادى المدينة المنورة الأدبى (٧٠)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* راشد سعد راشد القحطانى .

(٣٣) أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

* رأفت محمد النبراوى (دكتور).

(٣٤) السكة الإسلامية فى مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، الطبعة الأولى، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.

* عبد الرازق القرموط.

(٣٥) العلاقات المصرية العثمانية، الطبعة الأولى، دار الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م.

* زكريا هميمى (دكتور) .

(٣٦) الحرم النبوى الشريف وصفحات من تاريخ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠٠٧م.

* سحر بنت عبد الرحمن مفتى الصديقى.

(٣٧) أثر الوقف الإسلامى فى الحياة العلمية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

* سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور).

(٣٨) الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، دار النهضة العربية، ١٩٩٦م.

(٣٩) العصر المماليكى فى مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٤٠) المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.

* عبد السلام هاشم حافظ .

(٤١) المدينة المنورة فى التاريخ، دراسة شاملة، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث، دون تاريخ.

* سـيد سـابق .

(٤٢) فقـه السنة، الجزء الأول، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٣٦٥هـ.

* صالح لمعى مصطفى.

(٤٣) المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

* صبحى عبد المنعم محمد (دكتور).

(٤٤) العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، العربى للنشر والتوزيع، دون تاريخ.

(٤٥) المجتمع الحجازى فى العصر المملوكى، الطبعة الأولى، المكتبة التاريخية، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

* طرفة عبد العزيز العبيكان.

(٤٦) الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة فى القرنين السابع والثامن للهجرة، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

* طـه عـرفـة.

(٤٧) فضائل المدينة المنورة، تقديم/ محمد عبد المنعم البرى، حمدى عبد المقصود، القاهرة، ١٩٩٥م.

* عارف أحمد عبد الغنى.

(٤٨) تاريخ أمراء المدينة المنورة ١هـ- ١٤١٧هـ، سلسلة كتب تواريخ المدن (٣)، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، دون تاريخ.

* عائشة بنت عبد الله باقاسى.

(٤٩) بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى (٥٦٧ - ٦٤٨هـ/ ١١٧١- ١٢٥٠م)، الطبعة الأولى، منشورات نادى مكة الثقافى، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

* عثمان على محمد عطا.

(٥٠) الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى وأثرها السياسى والاقتصادى والاجتماعى (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) تاريخ المصريين (٢١٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون تاريخ.

* عدنان على الفراجى (دكتور).

(٥١) الحياة الفكرية فى المدينة المنورة فى القرنين الأول والثانى للهجرة الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

* عدنان محمد فايز الحارثى .

(٥٢) عمارة المدرسة فى مصر والحجاز (فى القرن ٩هـ/ ١٥م)، دراسة ومقارنة الجزء الأول، ضمن سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها (١٣)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

* على حافظ.

(٥٣) فصول من تاريخ المدينة المنورة شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، دون تاريخ.

* علی سالم النباهین.

(٥٤) نظام التربية الإسلامية فی عصر دولة الماليك فی مصر، الطبعة الأولى، مكتبة التربية الإسلامية (٣)، إشراف د/ إبراهيم عصمت مطاوع، د/ عبد الغنی عبود، دار الفكر العربی، ١٩٨١م.

* علی السيد علی (دكتور).

(٥٥) الحياة الثقافية فی المدينة المنورة عصر سلاطين الماليك ٦٤٢-٩٢٣هـ، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٥٦) الحياة الاقتصادية فی جدة فی عصر سلاطين الماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٩١م.

* علی بن حسين السليمان.

(٥٧) العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين الماليك، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

(٥٨) النشاط التجاری فی شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى الطبعة الأولى، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١م.

* عمر الفاروق سيد رجب (دكتور).

(٥٩) الحجاز، أرضه وسكانه، دراسة إيكولوجية، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٦٠) المدن الحجازية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.

(٦١) المدينة المنورة التركيب الوظيفی... النمو والتغيرات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧م.

* عواطف محمد يوسف نواب .

(٦٢) الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز فی القرنين السابع والثامن الهجريين - دراسة تحليلية مقارنة -، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* فاروق أباظة .

(٦٣) عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٨١م.

* فالح حسين حسين .

(٦٤) الحياة الزراعية فى بلاد الشام فى العصر الأموى، مطبعة دار الشعب، عمان، ١٩٧٨م.

* فليب حـتى .

(٦٥) تاريخ العرب، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ترجمة/ محمد مبروك نافع، ١٩٥٢م.

* قاسم عبده قاسم (دكتور) .

(٦٦) النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

* قاسم عبده قاسم، على السيد على (دكتوران) .

(٦٧) الأيوبيون والمماليك (التاريخ السياسى والعسكرى)، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م.

* عبد القدوس الأنصارى .

(٦٨) آثـار المدينـة المنـورة، الطبعـة الثالثـة، المكتبـة السـلفية، المدينـة المنـورة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

* عبد اللطيف إبراهيم على (دكتور) .

(٦٩) وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، الجزء الثانى، الثالث، الكتاب الأول، من أبحاث المؤتمر الدولى لتاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٩٧٩م

(٧٠) المكتبة المملوكية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٢م.

* عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش (دكتور).

(٧١) عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوى فى العهد السعودى، دراسة تاريخية حضارية، صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* محمد أحمد دهمان

(٧٢) معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

* محمد جمال الدين سرور (دكتور).

(٧٣) تاريخ الدولة الفاطمية، تقديم د/ عصام عبد الرءوف الفقى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٥م.

* محمد حسين هيكل.

(٧٤) فى منزل الوحى الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

* محمد حمزة إسماعيل الحداد.

(٧٥) الأسبلة فى العمارة الإسلامية بمكة المكرمة والمدينة المنورة " دراسة تاريخية آثارية "، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، سلسلة العمارة الإسلامية فى الجزيرة العربية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٤م.

* محمد الخضرى (دكتور).

(٧٦) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* محمد عبد الرحمن الشامخ.

(٧٧) التعليم فى مكة والمدينة، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢م.

* محمد صالح البليهشى

(٧٨) المدينة المنورة، الطبعة الأولى، هذه بلادنا (٧)، دون تاريخ.

* محمد على فهيم بيومى (دكتور) .

(٧٩) دور مصر فى الحياة العلمية فى الحجاز إبان العصر العثمانى (٩٢٣-١٢٢٠هـ/ ١٥١٧-١٨٠٥م)، دار القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

(٨٠) مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العصر العثمانى فى الفترة من٩٢٣ - ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧ - ١٨٠٥ م، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

* محمد لبيب البتنونى.

(٨١) الرحلة الحجازية لولى النعم الحاج عباس حلمى باشا الثانى خديوى مصر، الطبعة الأولى، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٣٢٧هـ.

* محمد عبد اللطيف هريدى (دكتور).

(٨٢) شئون الحرمين الشريفين فى العهد العثمانى فى ضوء الوثائق التركية العثمانية الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

* محمد محمد أمين (دكتور).

(٨٣) الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.

* محمد محمود خلف العناقرة .

(٨٤) الحياة الاقتصادية فى الحجاز فى عصر دولة المماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

* محمد المنونى.

(٨٥) الجزيرة العربية فى الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، الجزء الثانى، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، دون تاريخ.

* محمد هزاع الشهرى.

(٨٦) عمارة المسجد النبوى منذ أنشائه حتى نهاية العصر المملوكى، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

* محمود الشرقاوى .

(٨٧) المدينة المنورة، دار الشعب، القاهرة، دون تاريخ.

* مختار محمد بلول.

(٨٨) المدينة المنورة درة المدائن، الطبعة الأولى، دار بلول للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

* نعيم زكى فهمى (دكتور).

(٨٩) طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

* يحيى محمود جنيد الساعاتى.

(٩٠) الوقف وبنية المكتبة العربية، استبطان الموروث الثقافى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، دون تاريخ.

(٢) المراجع الأجنبية المترجمة للعربية

* أستيف.

(١) كتاب وصف مصر، النظام المالى والإدارى، الجزء الخامس، ترجمة/ زهير الشايب، دار الشايب، القاهرة، ١٩٧٩م.

* آدم مـتز.

(٢) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، الجزء الثانى، ترجمة/ محمد عبد الهادى أبو ريدة، مكتبة الخانجى، القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

* آيوب صبرى باشا.

(٣) مرآة جزيرة العرب، الجزء الأول، ترجمة د/ أحمد فؤاد متولى، د/ الصفصافى أحمد المرسى، دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* ك. سنوك هورخرونيه.

(٤) صفحات من تاريخ مكة المكرمة، الجزء الأول، ترجمة د/ على عودة الشيوخ، تعليق/ محمد محمود السرياتى، د/ معراج نواب مرزا، مراجعة د/ محمد إبراهيم على، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* فالتر هنتس.

(٥) المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة/ كامل العلى، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

(٣)- الـمراجع الأجـنبية

* Ashtor Eliyahu

(1) East-West Trade In The Medieval Mediterranean Variorur Reprints London ، 1986.

* Lane Poole

(2) History Of Egypt In The Middle Ages, London، 1925.

ثالثًا - الرســائل العلمية

* أحمد عبد الحميد خفاجي

(١) موقف مصر من الحجاز فى عصر المماليك الجراكسة (٨٤٢-٩٢٣هـ/ ١٤٣٨-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٨م.

* أمنه حسين محمد على جلال.

(٢) طرق الحج ومرافقه فى الحجاز فى العصر المملوكى (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٨-١٥١٧م)، رسالة دكتوراه فى التاريخ الإسلامى، إشراف أ.د/ أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* ريتشارد مورتيل.

(٣) الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراه فى الآداب، إشراف د/ محمد جمال الدين سرور، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* سليمان صالح كمال.

(٤) إمارة الحج فى العصر العباسى (١٣٢-٢٤٧هـ/ ٧٤٩-٨٦١م)، رسالة ماجستير فى الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف د/ السيد محمد أبو العزم داود، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* سليمان عطية.

(٥) سياسة المماليك فى البحر الأحمر حتى نهاية عصر السلطان برسباى (١٢٥٠-١٤٣٨م)، رسالة دكتوراه، إشراف دكتور/ محمد مصطفى زيادة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٩م.

* سوزان مصطفى محمد.

(٦) الأوضاع السياسية والحضارية لمصر فى عصر السلطان أبو سعيد الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م)، رسالة ماجستير، الجزء الأول، إشراف

د/ عبد العزيز محمود عبد الدايم، د/ رأفت محمد النبراوى، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

* عائشة مانع عبيد العبدلى

(٧) إمارة الحج فى عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٨- ١٥١٧م)، دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير فى التاريخ الإسلامى، إشراف د/ جميل عبد الله المصرى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* عبد العظيم حامد خطاب

(٨) قانصوه الغورى ونهاية الدولة المملوكية فى مصر والشام، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د/ حسن حبشى، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣م.

* عبد الغنى محمود عبد العاطى.

(٩) التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير، إشراف د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

* عبد الفتاح أحمد دسوقى.

(١٠) الجغرافيا التاريخية للمدينة المنورة، رسالة ماجستير، إشراف أ.د/ محمد صبحى عبد الحكيم، معهد الدراسات الإسلامية، دون تاريخ.

* عبد اللطيف إبراهيم على.

(١١) دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، رسالة دكتوراه، الجزء الأول، الجزء الثانى، إشراف أ.د/ محمد مصطفى زيادة، د/ فريد شافعى، فرع الآثار الإسلامية، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

* محمد أمين صالح.

(١٢) التنظيمات الحكومية لتجارة مصر فى عصر المماليك الجراكسة، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د/ حسن حبشى، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ديسمبر ١٩٦٩م.

* محمد عفيفى عبد الخالق عفيفى.

(١٣) الأوقاف ودورها فى الحياة الاقتصادية فى مصر (٩٢٣-١٠٦٩هـ/ ١٥١٧-١٦٥٨م)، رسالة ماجستير، إشراف د/ رءوف عباس حامد، د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م.

* محمد محمد حسن بحرية شراب.

(١٤) تاريخ المدينة المنورة فى العصر الأموى، رسالة ماجستير، إشراف أ.د/ على حسنى الخربوطلى، معهد الدراسات الإسلامية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* عبد الواحد محمود عبد الله يوسف.

(١٥) الوقف ودوره فى تنمية المجتمع رسالة ماجستير، إشراف أ.د/ محمد شوقى الفنجرى، معهد الدراسات الإسلامية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

رابعًا - الدوريات العلمية

* أحمد هاشم أحمد بدرشينى.

(١) أثر الأوقاف على الحياة الثقافية والاقتصادية فى مكة والمدينة فى العهد المملوكى، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الرابع عشر، رجب - ذو الحجة ١٤٢٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥م - يناير ٢٠٠٦م.

(٢) مظاهر الحياة الاجتماعية فى مكة والمدينة إبان القرن الثامن الهجرى من خلال كتب الرحالة، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الرابع

عشر والخامس عشر، رجب - ذو الحجة ١٤٢٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥م - يناير٢٠٠٦م.

* أحمد محمد شعبان.

(٣) أسوار المدينة المنورة فى التاريخ، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثانى عشر، محرم - ربيع الأول ١٤٢٦هـ/ مارس- مايو ٢٠٠٥م.

* أحمد محمد عدوان (دكتور).

(٤) المكانة العلمية والاجتماعية للمرأة فى مصر فى العصر المملوكى، مجلة العصور، الجزء الأول، المجلد الرابع، دار المريخ للنشر، لندن، جمادى الأولى١٤٠٩هـ يناير ١٩٨٩م.

(٥) المكانة العلمية للمرأة فى أرض الحرمين الشريفين، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة والعشرون، تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.

* آمنة حسين جلال (دكتورة).

(٦) الأسرات العلمية فى المدينة المنورة خلال العصر المملوكى٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، مجلة قطاع الدراسات الإنسانية، المجلد الثانى، العدد الرابع، يونيو ٢٠٠٩م.

* عبد الباسط عبد الرزاق بدر.

(٧) الحياة الثقافية فى المدينة المنورة فى العصر المملوكى، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الخامس، ربيع الثانى - جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ/ يونيو - أغسطس ٢٠٠٣م.

* جميل حرب محمود حسين (دكتور).

(٨) المدينة المنورة فى العصر الأيوبى، نادى المدينة المنورة الأدبى، المجلد الثانى، الطبعة الأولى، ضمن دراسات حول المدينة المنورة من محاضرات النادى الأدبى، الكتاب رقم (٩٨)، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

* حسين سيد عبد الله مراد .

(٩) المجاورون المصريون فى الحرمين الشريفين (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، المجلة التاريخية المصرية، المجلد (٣٨)، القاهرة، ١٩٩١- ١٩٩٥م.

* خالد بن محمد بن إبراهيم أحمد النعمان.

(١٠) تاريخ أسواق المدينة المنورة، نادى المدينة المنورة الأدبى، المجلد الثانى، الطبعة الأولى، ضمن دراسات حول المدينة المنورة من محاضرات النادى الأدبى، الكتاب رقم (٩٨)، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

* سهيل صابان (دكتور).

(١١) أوليا جلبى ورحلته إلى الحجاز فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة السابعة والعشرون، تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.

* عائشة عبد العزيز محمد التهامى.

(١٢) أضواء على بعض التحف الفنية التى أهداها السلطان قايتباى للحجرة النبوية، مجلة المؤرخ العربى، العدد الخامس، المجلد الأول، مارس ١٩٩٧م.

* عبد الكريم كريم.

(١٣) بلاد الحجاز فى المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر للهجرة، مجلة التاريخ العربى، العدد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

* عبد اللطيف إبراهيم على.

(١٤) وثيقة وقف مسرور عبد الله الشيلى الجمدار (دراسة)، مجلة كلية الآداب، الجزء الثانى، المجلد الحادى والعشرون، جامعة القاهرة، ١٩٦٣م.

* عبد الوهاب عزام.

(١٥) اهتمام المسلمين بدور العلم وخزائن الكتب، مجلة جامعة الملك سعود، العدد الثانى، السنة الثانية، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

* ليلى سعيد سويلم الجهنى.

(١٦) رحلة القيسى إلى المدينة المنورة المسماة " أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب "، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد السادس، رجب - رمضان ١٤٢٤هـ/ سبتمبر - نوفمبر ٢٠٠٣م.

* مصطفى نبيل.

(١٧) المدينة المنورة طيبة الحجاز، مجلة العربى، العدد ٢٥٢، ذو القعدة ١٣٩٩هـ/ نوفمبر ١٩٧٩م.

* محمد القاضى.

(١٨) المدينة المنورة فى رحلة أبى سالم العياشى، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الحادى والعشرون، ربيع الثانى - جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ/ مايو - يولية ٢٠٠٧م.

* محمد محمود السريانى (دكتور).

(١٩) السكن الحضرى ضمن كتاب المدينة المنورة البيئة والإنسان " دراسة علمية محكمة "، الطبعة الأولى، إشراف أ.د/ محمد أحمد الروثى، أ.د/ مصطفى محمد خوجلى، ١٤١٨- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٧- ١٩٩٨م.

* يسرى أحمد زيدان (دكتور) .

(٢٠) دور الهنود فى الحياة الثقافية بالحرمين الشريفين زمن سلاطين المماليك مجلة المؤرخ العربى، المجلد الأول، العدد الثانى عشر، القاهرة، مارس ٢٠٠٤م.

المؤلف في سطور

الاسم: حسن أحمد حسن بركة.

الشهرة: حسن بركة.

تاريخ الميلاد: ٢٠/ ٣/ ١٩٧٣م

محل الميلاد: قرية أتريس ـ مركز منشأة القناطر (مركز إمبابة سابقًا) ـ محافظة الجيزة.

المؤهلات:

- ليسانس تاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس.
- دبلوم المعهد العالى للدراسات الإسلامية
- ماجستير في التاريخ الإسلامى.
- دبلوم العلاقات العامة والإعلان ـ كلية الإعلام ـ جامعة القاهرة.
- باحث دكتوراه ـ كلية الآداب ـ جامعة طنطا.

العضوية:

- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- عضو جمعية العلاقات العامة العربية.
- عضو جمعية خريجى الإعلام.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

صدر للمؤلف:

دُروب الأمل "مجموعة قصصية". ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

الفهرس

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

٢٥٧٧٥٠٠٠

ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤

٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - اسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢

مكتبــات ووكـــلاء

البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة-
بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيروت - الفرع الجديد - شارع
الصيدانى - الحمراء - رأس بيروت -
بناية سنتر ماريا
ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -
سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد -
المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦
- الجمهورية العربية السورية

تونس

المكتبة الحديثة . ٤ شارع الطاهر صفر-
٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض
(ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع
طريق الملك فهد مع طريق العروبة -
هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨ .

**٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات
والأدوات الكتابية** - جدة - الشرفية -
شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة :
٢١٤٨٧ - ت : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ -
٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -
الرياض - المملكة العربية السعودية -
ص. ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت:
٤٥٩٣٤٥١.

**٤ - مؤسسة عبد الرحمن
السديرى الخيرية** - الجوف -
المملكة العربية السعودية - دار الجوف
للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف:
٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
ت: ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ +
تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب